تاريخ مدينة المرية الأندلسية

فى العصر الإسلامى

دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى

تأليف

دكتور محمد أحمد أبو الفضل

أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

كلية الآداب - جامعة طنطا

١٩٩٦

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتير - اسكندرية

ت ٤٨٣٠١٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

"وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً"

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم

اهتم فريق من مؤرخى الإسلام بتسجيل محاسن مدنهم التى نشأوا فيها وخواصها ، وتخليد مآثر بلادهم وفضائلها، وإبراز مناقب علمائها والمتفقهين من أعلامها اعتزازا بأوطانهم، وتعبيرا صادقاً عن ارتباطهم بأراضيهم، وتعصبا واضحا لاقاليمهم. وقد اصطلح على تسمية هذا اللون من الكتابة التاريخية فى علم التاريخ بالتاريخ المحلى الذى يعرفونه بأنه وليد الشعور بالقومية والتعصب للاقليمية. ومن المعروف أن اقدم أمثلة الكتابة فى التاريخ المحلى فى المشرق الإسلامى تتمثل فيما كتبه أحمد بن أبى طاهر طيفور (ت ٢٨٨هـ)عن تاريخ بغداد، وعمر بن شبه (ت٢١٣ هـ) عن خطط البصرة، وأن أقدم أمثلته فى الاندلس كتاب فى صفة قرطبة وخططها ومنازل الاعيان بها لاحمد بن عيسى الرازى (ت ٣٢٤هـ).

وقد لاقت الكتابة فى التاريخ المحلى اقبالا كبيرا من جانب مؤرخى الاندلس لان بلاد الاندلس تتميز قبل كل شئ بتنوع واضح فى طبيعتها الجغرافية، سواء من حيث السطح أو المناخ أو البيئة نفسها بحيث وضح الاختلاف فى سائر كورها وأقاليمها ما ترتب عليه النزوع الى الانتزاء، والميل إلى الانسلاخ عن الحكومة المركزية، وهى ظاهرة وضحت عبر حقب التاريخ الإسلامى، وساعد ذلك على قيام أكثر من عصر الدويلات المنقطعة - إذا صحت هذه التسمية - اصطلح على تسميتها بدويلات الطوائف، ما كان يتم إدماجها فى الحكم المركزى فى كل مرة إلا فى الفترات التى تظهر فيها شخصية قوية، كالشأن فى شخصية عبد الرحمن بن محمد، أو قوة فنية كدولة المرابطين أو دولة الموحدين، ولعل ذلك يفسر إلى حد كبير الاختلاف الواضح فى العادات والتقاليد وحتى فى اللسان واللهجات فى مختلف أقاليم أسبانيا فى وقتنا الحاضر، كالجلالقة، والبشكنس، والقطلان، والبلنسيين، وأهل الجنوب، فلكل من هؤلاء لغته أو لهجته الخاصة، وهذا يوضح ظاهرة الانفصالية التى تسود اليوم فى أقاليم اسبانيا وترتب عنها حتى الان قيام دولة قطالونية ودولة الباسك.

وإذا كان مؤرخوا الاندلس قد صرفوا اهتمامهم الى التفاخر ببلدهم الأندلس وذكر أخباره، فى كتاباتهم الاهتمام بتاريخه ووصف جغرافيته وتسجيل مآثره،

بحيث أصبحت عناوين مصنفاتهم تدور حول اسم الاندلس. كالشأن فى الامثلة الآتية:

البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى.

تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية القرطبى

تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضى

الصلة فى تاريخ أئمة الاندلس لابن بشكوال

الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني

المقتبس من ابناء أهل الأندلس لابن حيان

مطمح الانفس ومسرح التأنس فى ملح اهل الاندلس لابن خاقان

جذوة المقتبس فى ذكر رجال أهل الأندلس للحميدى

بغية الملتمس فى تاريخ أهل الاندلس للضبى

فرحة الأنفس فى تاريخ الاندلس لابن غالب

فان ظاهرة الكتابة فى تاريخ مدن الأندلس لم تكن واضحة بنفس وضوحها بالنسبة لبلد الأندلس، فقد كان مؤرخوا الأندلس، رغم اعتزازهم باقليميتهم لاينزعون كثيرا إلى التفاخر بمدنهم، ولذلك لانعرف عن كتاباتهم فى هذا المجال سوى الامثلة الآتية:

صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها، لأحمد بن محمد الرازى.

تاريخ قضاه قرطبة، للخشنى.

تاريخ بلنسبة المعروف بكتاب البيان الواضح فى الملم الفادح لمحمد بن علقمة.

تاريخ مالقة لأبى عبد الله بن عسكر وأتمه ابن أخيه أبو بكر بن خمسين.

تاريخ علماء البيرة لأبى القاسم محمد بن الواحد الغافق الملاحى.

تاريخ شقورة لابن ادريس.

الاعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة لأبى العباس أصبغ بن العباس

الاحتفال فى أعلام الرجال (تاريخ قرطبة) لأبى بكر الحسن بن محمد بن مفرج.

تاريخ الرؤساء والفقهاء والقضاة بطليطلة لأبى جعفر بن مظاهر

تاريخ فقهاء قرطبة لابن حيان.

تاريخ الجزيرة الخضراء لابن خمسين

تاريخ قلعة يحصب المسمى بالطالع السعيد لأبى الحسن بن سعيد

تاريخ بقيرة لأبى عبد الله بن المؤذن

الدرة المكنونة فى أخبار أشبونه لأبى بكر بن محمد بن ادريس العزابى الغالوسى

مزية المرية لأبى جعفر أحمد بن خاتمة الأنصارى

تاريخ المرية وباجة لأبى البركات بن الحاج

غير أن مؤرخى إسبانيا المحدثين على خلاف مؤرخى الأندلس المسلمين أولوا الكتابة فى تاريخ المدن الأسبانية جانبا كبيراً من عنايتهم بدافع الشعوربالأقليمية فأسرفوا فى ذلك إسرافا تعبر عنه كثرة مصنفاتهم الإقليمية عن مدن إسبانيا فى العصر الاسلامى أو عبر حقب التاريخ بحيث أصبحت مكتبة المدن الاسبانية تضم مئاتا من الكتب، وفيما يلى أمثلة لبعضها:

1 - Arellano, Historia de Cordoba

(أريانو،تاريخ قرطبة)

2 - Francisco Rios, Zaragoza

(فرنشسكو ريوس، سرقسطة)

3 - Gillen Robles' Malaga Musulmana

(جيين روبليس، مالقه الاسلامية)

4 - Gaspar Remiro, Historia de Murcia Musulmana

(جاسبار ريميرو ، تاريخ مرسية الاسلامية)

5 - Huici Miranda, Historia Musulmana de Valencia

(أو يثى ميراند، تاريخ بلنسبة الاسلامية)

6 - Chabas, Histoira de la ciudad de Denia

(شاباس، تاريخ مدينة دانية)

7 - Tapia garrido, Almeria Musulmana

(تابيا جاريدو، المرية الاسلامية)

كما صدرت لبعض مؤرخى العرب المحدثين دراسات عن مدن أندلسية، دفعهم إلى الاهتمام بتأليفها، اعجابهم الشديد بتاريخ هذه المدن فى العصر الاسلامى، أو حرصهم على ابراز أمجاد إسلامية تكمن فى هذا التاريخ، ومن أمثلة هذه الكتب:

تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة أسطول الأندلس للدكتور السيد عبد العزيز سالم.

قرطبة حاضرة الخلافة الأموية فى الأندلس، لنفس المؤلف

مملكة سرقسطة فى عصر الطوائف للدكتور عفيف ترك

مملكة غرناطة فى عهد محمد الخامس للدكتور أحمد مختار العبادى

* * *

والكتاب الذى بين يدى القارئ كتاب فى التاريخ المحلى الأندلسى، وبالذات فى تاريخ مدينة أندلسية هى المرية، كان لها دور عسكرى واقتصادى هام فى التاريخ الاسلامى، ولم يكن هذا الكتاب وليد شعور بالتفاخر القومى ولا التعصب للأرض وإنما جاء ثمرة دراسة مستفيضة لفرع فى التاريخ الاسلامى لم يحظ بعد بالاهتمام الذى يستحقه، وأعنى به تاريخ الأندلس الذى تهز أحداثه النفس، وتستثير حضارته مشاعر متداخله من العزة والفخار والحزن والأسى على أمجاد إسلامية بادت ودثرت، وعن فردوس أصيل فقدناه، وتراث شامخ نذرف عليه الدموع.

فلقد لفت نظر الدكتور محمد أحمد أبو الفضل، مؤلف الكتاب، الدور الهام الذى تمثله المرية الاسلامية منذ نشأتها فى عصر الخلافة حتى دخولها فى فلك دولة المرابطين، على الصعيدين السياسى والاقتصادى، وأفاد من البحث القيم الذى صدر فى مجلة الأندلس لعالم الاثار الاسلامية الإسبانى أستاذى دون ليوبولدو توريس بلباس عن المرية الإسلامية، وهو بحث اهتم فيه بوجه خاص بدراسة الجانبين الطوبوغرافى والأثرى، كما أفاد من كتابى الموسوم بتاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة أسطول الاندلس الذى أبرزت فيه أهميتها كقاعدة لأساطيل

الأندلس فى عصر الخلافة، وأهميتها الاقتصادية كمحطة رئيسية للتجارة الخارجية مع ثغور العالم الاسلامى والغرب الأوربى، وحالفه التوفيق فى التوصل إلى حقائق جديدة بفضل ما كان يعثر عليه من اشارات طبوغرافية أو تاريخية متناثرة هنا وهناك فى بطون المصادر الجغرافية وكتب التراجم وفى دواوين الشعراء وكتابات الأدباء، وبفضل غوصه إلى أعماق النصوص التاريخيه ومنهجه القائم على التحليل والاستنباط، وبفضل هذه الحقائق نجح الدكتور أبو الفضل فى الكشف عن كثير من غوامض تاريخ المرية وفى تسليط الأضواء على دورها الكبير فى التاريخ والحضارة.

أختار الدكتور محمد أبو الفضل لدراسة التاريخ السياسى للمرية فترتين من أزهى عصورها : الأول عصر الخلافة، والثانى عصر دويلات الطوائف، وقد لعبت المرية خلالهما، وعلى الأخص زمن الطوائف، دوراً سياسيا رائدا فى أحداث الأندلس واستطاع ملوكها فى هذا العصر أن يجنبوها رحى الفتنة الطاحنة والأخطار الداخلية والخارجية، كما حرصوا على أن يسودها الاستقرار والأمان، وعملوا على رعاية الفنون والاداب، فتألقت الحياة العلمية والأدبية والفنية فى هذا العصر تألقا تشهد به الأعداد الكبيرة من العلماء الذين أنجبتهم المرية، والتوسع العمرانى الذى شهدته المرية فى هذا العصر، والمنشآت الجليلة التى أقيمت بوجه خاص فى عهد بنى صمادح.

ولقد وفق الباحث غاية التوفيق فى تبويب البحث وتقسيم عناصره، فخصص قسما من الدراسة للتاريخ السياسى منذ قيام المرية فى عهد عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٤هـ حتى دخولها فى فلك دولة المرابطين فى سنة ٤٨٤هـ، وخصص القسم الاخر لدراسة بعض مظاهر الحضارة، واهتم فى هذا القسم الأخير بابراز الجانب العمرانى والإنشائى من جهة، والجانب الاقتصادى من جهة ثانية، والجانب العلمى من جهة ثالثة، والحق لقد بذل جهودا مضنية مستهدفا عرض صورة أقرب ما تكون إلى الوضوح لمدينة المرية الاسلامية حتى بداية عصر المرابطين من حيث سرده للأحداث التاريخية التى مرت بها المدينة، أو من حيث تتبعه للتطور العمرانى الذى تعرضت له المدينة منذ قيامها، وأهم الآثار الباقية من العصر موضوع الدراسة، هذا الى عرضه الرائع لمقومات الثروة الاقتصادية، وتاريخه الدقيق للنهضة العلمية.

وبعد فيسرنى أن أقدم إلى القارئ العربى وإلى الباحثين فى الدراسات الأندلسية أولى الثمرات العلمية التى قدمها الدكتور محمد أحمد أبو الفضل فى هذا المجال، وهو مجال بكر يحتاج الى جهود ضخمة ومتضافرة من المتخصصين، والكتاب دراسة جادة واضافة لها قيمتها فى تاريخ الاسلام فى الاندلس وتاريخه الحضارة الاسلامية عامة، وأسأل الله تعالى أن تكون هذه الدراسة فاتحة إنتاج خصب فى تاريخ الأندلس فى العصر الاسلامى، وأن يتابع الدكتور أبو الفضل بحوثه القيمة فى هذا المجال والله الموفق.

الاسكندرية فى ١٩ / ١٠ / ١٩٨١

دكتور السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الاسلامى والحضارة

بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية

أولاً : موضوع البحث ومنهج الدراسة

ثانياً : عرض لأهم مصادر البحث

أولاً : موضوع البحث ومنهج الدراسة

المرية، مدينة اسلامية البناء محدثه، أنشأها الخليفة عبد الرحمن الناصر فى سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٥م)، ولم يأل جهداً فى تحسينها والاهتمام بشئونها، وقدر لهذه المدينة الاندلسية أن تلعب دوراً هاما فى تاريخ الأندلس، فقد كانت أعظم قواعد الأسطول الأندلسى فى عصر الخلافة الأموية وعصر الطوائف، كما أنها كانت المركز الأول للتجارة البحرية مع أقطار البحر المتوسط الغربى والشرقى فى آن واحد كذلك لعبت المريه دوراً سياسياً وحضاريا هاما فى عصر الطوائف.

والواقع أن الذى دفعنى إلى إختيار «تاريخ مدينة المرية الإسلامية حتى استيلاء المرابطين عليها»، موضوعاً للبحث احساسى بخطورة الدور الذى كانت تؤدية هذه القاعدة البحرية الحربية والتجارية وأهميته فى تاريخ الأندلس بوجه عام وتاريخ البحرية الإسلامية بوجه خاص باعتبارها باب الشرق ومنفذ التجارة البحرية مع أقطار العالم الإسلامى الشرقى وأقطار المغرب الإسلامى على السواء، هذا بالإضافة إلى قلة ما كتب فى هذا الموضوع، الأمر الذى شجعنى على اختياره والبحث فيه عسانى أتوصل إلى حقائق جديدة، حقيقة أن الكتابات المباشرة فى هذا الموضوع قليلة، إذ أننا نجد أن أول من كتب موضوعاً متكاملاً عن مدينة المرية هو المستشرق الاسبانى الأستاذ ليوبولدو توريس بلباس الذى اعد دراسة قيمة مركزة عن المرية فى العصر الإسلامى بعنوان "Almeria Islamica"[1]. ولكن هذه الدراسة رغم جدتها واصالتها مقتضبه وتنقصها المادة التاريخية إذ أفرد صاحبها معظم صفحات البحث للدراسة الاثرية. ويليه فى قائمة الباحثين استاذى الدكتور السيد عبد العزيز سالم الذى خصص لتاريخ المرية مصنفاً قائماً بذاته بعنوان «تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة اسطول الاندلس»، اشتمل على دراسة تاريخ المرية دراسة كاملة، مع رسم صورة متكاملة عن حضارتها فى العصر الإسلامى، أما غيرهما من المحدثين فبحوثهم تتسم بأنها بحوث عامة غير متخصصه، فكل ما كتبوه عن تاريخها وآثارها

---

(1) Torres Balbas (Leopoldo) : Almeria Islamica, al - Andalus Vol XXII, 1957.

لا يعدو ابحاثاً قصيرة متفرقة ويتصدر المستشرق الاسبانى دون ليوبولدو توريس بالباس قائمة هؤلاء الباحثين لكثرة دراساته عن المدن الاندلسية، هذا غير ابحاث عديد ة متفرقة للمستشرق الهولندى رينهات دوزى والمستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال وغيرهم.

وبالأضافة إلى قلة الأبحاث التى أجريت حولها أجتذبت هذه المدينة اهتمامى بأثارها الحربية والدينية الكثيرة وماضيها الحافل بالأحداث خاصة فى العصر الاموى وعصر الطوائف وهما العصران اللذان لمعت فيهما المريه، فرأيت أن أعد رسالتى عن تاريخ المريه وحضارتها لحقبه حددتها من قيام المدينة حتى دخول المرابطين الاندلس مع إبراز أهمية الدور الذى لعبته هذه المدينة فى تاريخ الاندلس.

ولقد وضعت منذ البداية هدفين أساسيين حاولت من خلال بحثى أن أصل اليهما أولهما، إبراز دور المريه وأهميته فى عصر الطوائف، وثانيهما، إجلاء الصورة الحضارية للمرية سواء على الصعيد الاقتصادى أو الفنى أو العلمى، متبعاً فى كل ذلك المنهج العلمى فى كتابتى لهذا البحث القائم على المقابلة بين النصوص وتحليلها استنباط النتائج والحقائق التى يمكننى أن أبنى عليها دعائم الرسالة، ولتحقيق هذين الهدفين بذلت قصارى جهدى لاجلاء الصورة مستعيناً فى ذلك بعدد كبير من المصادر العربية التى تعرضت من قريب أو من بعيد لموضوع الدراسة، ومعظمها لا يعدو بحوثاً تاريخية تسجل أحداثاً وحوليات تتضمن روايات لمؤرخين لم تصل إلينا كتبهم كالشأن فى كتاب «الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام الشنتريني، الذى حوت كتاباته الأدبية مادة تاريخية هامة للمؤرخ الكبير ابن حيان وكان معاصراً للفترة التى يدور حولها موضوع الرسالة وعلى الاخص كتابه الكبير المفقود«المتين».

ولقد قسمت البحث إلى بابين رئيسين، الأول : خصصته للتاريخ السياسى ويتضمن هذا الباب ثلاثة فصول، افردت أولها، لتأسيس مدينة المرية وأهمية موقعها، تحدثت فيه عن تأسيس المدينة، ثم عن جغرافيتها، وسبب تسميتها بالمرية، وارتباط تاريخ بناء المرية بمدينة بجانه، مع عرض سريع لتمصير بجانه وتعميرها واتساع رقعتها بعد تولى البحريين زعامتها، وأهم آثارها المعمارية إلى أن أفل نجم بجانه وانتعشت المرية. ثم استعرضت السياسة البحرية للدولة واهمية الرباطات على سواحل الأندلس وخاصة رباط المرية، كذلك تكلمت عن اثر غارات النورمان على سواحل الأندلس، وبداية تنظيم قوه الأندلس البحرية إبتداء من عهد عبد الرحمن

الثالث، وأهمية قاعدة المرية البحرية، وأثر هذا الأسطول فى الدفاع عن الاندلس ومظاهر اهتمام الحكم المستنصر وهشام المؤيد بتدعيم قاعدة المرية واختتمت هذا الفصل بالحديث عن قاعدة المرية البحرية فى عصر الطوائف.

أما الفصل الثانى : فقد افردته لدراسة المرية فى عهد خيران وزهير العامريين فقد ركزت فيه الحديث عن المرية كقاعدة كوره، وتعرضت لدراسة تقسيماتها الادارية، ومسئوليات حكامها فى عصر الولاه الموفدين من قرطبه حاضرة الخلافة، ثم أوردت ثبتاً بعدد الولاه الذين تولوا حكم المريه وبجانه بعد ابن رماحس حتى سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩م)، ثم تكلمت بايجاز عن بداية انهيار الخلافة الأموية وسقوط الدولة العامرية، واشتعال نار الفتنة البربرية وقيام دويلات الطوائف، ثم عن انتزاء خيران الصقلبى بالمرية، مع التعريف بالصقالبه، وإتخاذ خيران المرية قاعدته الأساسية واستيزاره لأبى جعفر أحمد بن عباس. ثم تحدثت عن سياسة خيران العامرى الخارجية مستهلا ذلك بايضاح دوره فى الأحداث السياسية بقرطبه منذ أن تحالف مع على بن حمود ضد سليمان المستعين، ثم خلاف خيران مع على بن حمود ومقتل الاخير وتولية ابن القاسم بن حمود ومحاولته استمالة خيران وزهير العامريين اليه حينما بلغة قيام خيران بتنصيب المرتضى خليفة بقرطبه، وما كان من تخلى خيران عن نصرة المرتضى وخذلانه له حتى لقى الأخير مصرعه. ثم تحدثت عن تدخل خيران ومجاهد العامريين فى الأحداث السياسية بقرطبة مرة ثانية، وانتهيت من دراستى بالتأكيد على أن سياسة المصلحة كانت المحرك الذى يوجه خيران العامرى صاحب المرية فى كل تصرفاته ثم تكلمت عن دوره فى شرق الأندلس ومساهمته فى أرتقاء عبد العزيز بن عبد الرحمن شجول حكم شاطبه ثم عزمه على التخلص منه واضطرار عبد العزيز إلى الفرار إلى بلنسية سنة ٤١٢ هـ (١٠٢١م)، ثم تعرضت للحديث عن العلاقات القائمة بين خيران ومجاهد العامريين وتطرقت إلى نية مجاهد فى مهاجمة املاك خيران بالمرية، وقيام خيران بتنصيب محمد بن عبد الملك المظفر احد احفاد المنصور بن ابى عامر خليفة للاندلس وتلقيبه إياه بالمعتصم، كما عرضت للاحوال المتأزمة بين خيران والخليفة المعتصم وفرار الأخير والتجائه إلى مجاهد العامرى إلى أن أنتهى المطاف به إلى حصن دارة حيث توفى، ثم تحدثت بعد ذلك عن علاقة خيران مع جيرانه البربر أصحاب غرناطه ثم عن سياسته الداخلية وازدهار المرية واتساع املاكها فى عهده واهتمامه بتحصين قصبتها وزيادته فى جامعها واسوارها وابوابها، ثم عن دوره فى

تشجيع الحركة الأدبية إلى وفاته. ثم انتقلت إلى الحديث عن زهير العامرى وكيفية توليه حكم المرية، ونزاعه مع مسلم الفتى القائم على حصن اوريوله، ثم ناقشت رواية ابن الخطيب عن احتلال زهير لقرطبة فى سنة ٤٢٥ هـ (١٠٣٤م) وإقامته بها خمسة عشر شهراً، وعن قيام زهير بتجديد بيعه الخليفة هشام المؤيد المشكوك فى موته واقدامة على احضار شبيه بهشام سنة ٤٢٦هـ وتمويهه به زمناً، ثم تحدثت عن العلاقات بين زهير وجاره حبوس بن ماكسن وقيام الأخير بقطع علاقته مع زهير بسبب موالاة زهير لمحمد بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونة فى حربه لحبوس صاحب غرناطه، ثم علاقة زهير بباديس بن حبوس وخروج الأول بجيشه إلى غرناطة والأحداث التى اعقبت ذلك إلى أن انتهى الأمر بمصرع زهير مع الاشارة إلى دور وزيره ابن عباس الفعال فى توجيه الأحداث وتسييرها حتى قيام أهل المرية باسناد ولاية المرية إلى شيخهم ابى بكر الرميمى، ومكاتبتهم لعبد العزيز ابن عبد الرحمن يبلنسيه وحضور هذا الأخير إلى المرية وما كان من أمر مجاهد العامرى صاحب دانية مع عبد العزيز واضطراره إلى مغادرة المرية والذهاب إلى بلنسيه بعد أن ترك على حكمها ابنه عبد الملك واستوزر له ذا الوزارتين ابا الأحوص معن ابن صمادح، ثم استقلال معن بن صمادح بالمريه.

وخصصت الفصل الثالث للحديث عن المرية فى ظل بنى صمادح حتى استيلاء المرابطين عليها، مستهلا الكتابه فيه عن أصل بنى صمادح وأولويتهم فى الأندلس وعن أستوزار عبد العزيز بن أبى عامر لمعن بن صمادح، وأنتزاء، معن بحكم المريه، ثم تكلمت عن سياسة معن مع باديس صاحب غرناطه، ودور معن ابن صمادح فى استقرار الأمور بالمرية حتى وفاته سنة ٤٤٣ هـ (١٠٥١م)، ثم تحدثت عن ابنه وخليفته ابى يحيى محمد بن معن بن صمادح الملقب بالمعتصم بالله، الذى نصب واليا على المريه وهو حدث قاصر لم يبلغ الرشد بعد، والأثار التى ترتبت على ذلك من مطامع لا حدود لها فى السيطرة على البلاد، وثورات تحتدم فى المدن التابعة للمرية كثورة ابن شبيب على لورقة، ومساندة المنصور بن عبد العزيز بن ابى عامر له ثم انتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن الحلف القائم بين مرية المعتصم وغرناطة باديس وما بذله الأخير لحليفه من نصره وعون لمواجهة ثورة ابن شبيب ثم تحدثت عن حملة المعتصم على أحد حصون تدمير التابعة للمنصور ابن عبد العزيز حليف ابن شبيب، كما ابرزت الدور الذى قام به ابن نغراله اليهودى وزير ابن باديس فى توتر العلاقات بين المرية وغرناطه وتذبذب هذه

العلاقات ودية وعدائية فى حياة باديس وبعد وفاته إلى أن لجأ ابن ملحان قائد مدينة بسطه – من أعمال غرناطه – إلى المعتصم وسهل له مهمة الاستيلاء عليها وعلى حصن شلبش، هذا بالإضافة إلى الدور الذى لعبة سماجة وزير الأمير عبد الله فى تحقير دولة الاخير عند المعتصم وتشجيعه إياه على انتزاع غرناطه وما كان من أمر التحصينات التى أعدها الأمير عبد الله لمواجهة خطر المرية، ثم المهادنة والسلم بين المعتصم والأمير عبد الله، ولم يفتنى أن اتطرق إلى السياسة الداخلية للمعتصم فأشرت إلى أعمال المعتصم العمرانية، وتألق الآدب والفنون فى عصره، كما أشرت إلى مجالسة الادبية. ثم انتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن الوضع السياسى للاندلس عشية دخول المرابطين، واسباب استدعاء المرابطين للجهاد فى الاندلس والمحت بايجاز إلى موقعة الزلاقة مع إبراز الدور الذى أسهمت به المرية. ثم تحدثت عن الجواز الثانى ليوسف بن تاشقين إلى الأندلس واسهامه فى محاصره حصن لييط واشتراك المعتصم بنفسه فى هذه الحملة، ثم عن الجواز الثالث لابن تاشقين وشروعه فى الاطاحة بملوك الطوائف إلى أن استولت قواته على المريه فى سنة ٤٨٤هـ (١٠٩١م).

أما الباب الثانى من الكتاب، فقد خصصته لدراسة أهم مظاهر الحضارة فى المرية. ويتضمن ثلاثه فصول، أولها يدور حول عمران المرية وتطوره مع دراسة لأهم آثارها الباقية وقسمت هذه الآثار إلى :

١- آثار حربية، وتشتمل على دراسة القصبة واسوار المدينة وابوابها.

٢- آثار مدنية، وتتعلق بدراسة قصر الامارة والصمادحية وبقايا منزل عربى بالمرية اتخذته انموذجا لنظام الدور الاسلامية فى العصر موضوع الدراسة.

٣- آثار دينية وتقتصر على دراسة بقايا المسجد الجامع، ثم مقبرتين تقعان خارج أسوار ربضى المريه.

والفصل الثانى من هذا الباب، يعالج الحياه الاقتصادية فى المرية وهو موضوع واسع يتضمن جوانب اقتصادية متعددة أولها ما يتعلق بحاصلات الاقليم الزراعية وبعض الفنون الصناعية كصناعة النسيج والصناعات القائمة على الرخام، وأخيراً التجارة وما يتصل بها من دراسة الأسواق الخارجية وطرق التجارة برياً وبحرياً.

وخصصت الفصل الثالث والأخير لدراسة الحركة العلمية بالمرية، فقدمت لهذا الفصل بحديث عام عن الحركة العلمية فى الأندلس فى عصر الخلافة

وعصر الطوائف كمدخل لتأريخ الحركة العلمية فى مدينة المرية، وفى هذه المقدمة القصيرة تحدثت عن الحياة الأدبية فى المرية وابرز ادبائها وشعرائها سواء من أهلها أو من وفدوا عليها ثم تكلمت عن تقدم العلوم اللغوية والدينية فى المرية وبروز عدد من علماء النحو واللغة والتفسير وعلم القراءات من أهل المرية، وانتهيت بدراسة الجانب الجغرافى من هذه الحركة العلمية وضمنته الحديث عن أشهر جغرافى هذه المدينة واعنى به أحمد بن عمر بن انس مع دراسة لمنهجة فى كتابة «ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك».

وأختتمت الكتاب بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التى توصلت إليها فى بحثى.

ولا يفوتنى بهذه المناسبة أن أقدم شكرى وامتنانى وتقديرى لاستاذى الفاضل الدكتور السيد عبد العزيز سالم، فقد كان هذا الكتاب فى أصله رسالة تقدمت بها للحصول على درجة الماجستير من جامعة الاسكندرية تحت اشراف سيادته لقيت خلالها من سيادته كل رعاية وحسن توجيه.

والله ولى التوفيق ،،،

محمد أحمد عبده ابو الفضل

أعتمدت فى بحثى على عدد من المصادر العربية المتخصصه فى التاريخ والجغرافية والآدب والتراجم، بعضها معاصر للاحداث كمذكرات الأمير عبد الله الزيرى وكتاب المقتبس لابن حيان وكتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار للعذرى، وبعضها الآخر متأخر عن العصر موضوع الدراسة ولكن مصنفيها ضمنوا هذه التواليف نقولا من مصادر كانت تعاصر الاحداث موضوع الرسالة، ولكنها فقدت، ومن هنا يمكننا أن نقدر القيمة العلمية لهذه المصادر. وفيما يلى عرض لأهم مصادر البحث :

أولاً : المصادر التاريخية :

١- ابن حيان القرطبى (ابو مروان بن حيان بن خلف)، ٣٧٧ - ٤٦٩هـ، ٩٧٧ - ١٠٧١م).

يعد من أعظم مؤرخى الإسلام، وهو بلا جدال شيخ مؤرخى الاندلس بوجه عام ولهذا العصر بوجه خاص[(١)]، أنتظم ابو مروان فى سلك وظائف الدولة، وشغل منصب «صاحب الشرطة»[(٢)] تم اسندت إليه مهمة «املاء الذكر فى ديوان السلطان» وهو العمل الذى يصرح ابن حيان بأنه كان يليق بتحرفه[(٣)].

وقد صنف ابن حيان عدداً كبيراً من الكتب لا يقل عن خمسين[(٤)] ولكن للأسف لم يصل إلينا من هذه المؤلفات كلها إلا أجزاء يسيره نذكر منها :

المقتبس فى أخبار الأندلس : ويتناول تاريخ الأندلس منذ أن افتتحها طارق بن زياد إلى أواخر القرن الرابع الهجرى، وقد اقتبس ابن حيان مادته من مصنفات قدامى مؤرخى الاندلس وعلى الاخص عيسى الرازى، ولذلك اسماه ابن حيان

---

(١) راجع البحث القيم الذى أعده الدكتور محمود على مكى فى مقدمة المقتبس لابن حيان القسم الخاص بعبد الرحمن الأوسط) من ص ٧ إلى ص ١٢٧، القاهرة : ١٣٩٠ هـ، ١٩٧١م.

(٢) المقرى (أحمد بن محمد) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، جـ٢، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٩م، ص ١٠٢.

(٣) ابن بسام (أبو الحسن على) : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، ق١، م٢، القاهرة، ١٩٤٢، ص ١١٨.

(٤) ابن حيان : المصدر السابق، ص ٥٤ من مقدمة المحقق.

المقتبس، وللأسف لم يتبق من هذا الكتاب الضخم الذى الذى كان يضم عشرة اجزاء[1] إلا خمس قطع منفصلة :

القطعة الأولى : وتتناول عصر الحكم الربضى وجزءاً من عصر عبد الرحمن الأوسط وكانت فى حوزة المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال الذى إنتفع منها فى أبحاثه، ولكنها اختفت بعد وفاته[2].

القطعة الثانية : تتناول الجزء الاخير من إمارة عبد الرحمن الأوسط، والشطر الاعظم من إمارة إبنه محمد بن عبد الرحمن، وقد نشر الدكتور محمود على مكى الجزء الخاص بعبد الرحمن الأوسط، القاهرة ١٩٧١.

القطعة الثالثة : وتتعلق بعصر الأمير عبد الله الأموى، نشرها الاب ملتشور انطونيا بالاسكوريال سنة ١٩٣٠.

القطعة الرابعة : تتناول عهد عبد الرحمن الناصر، تحقيق شالمتيا وصبح وكورينتى، مدريد، الرباط.

القطعة الخامسة : تتناول خمس سنوات من عصر الحكم المستنصر، نشرها الدكتور عبد الرحمن الحجى، بيروت، سنة ١٩٦٥.

هذا وقد أعتمدنا فى دراستنا للفصل الأول من الباب الأول على القطع الثلاثة الاخيرة، فقد أمدتنا القطعة الثالثة بمعلومات وافية عن مدينة بجانة ودور البحريين فيها وعلاقهم بسوار بن حمدون أمير عرب غرناطه وخليفته ابن جودى، هذا بالأضافة إلى اخبار الغزوه البحرية التى قام بها شنير قومس أنبورس بقطلونيه على المريه، أما القطعة الرابعة فتضمنت رواية رواية ابن حيان عن النشاط البحرى الاسلامى فى عصر عبد الرحمن الناصر لا سيما الغزو تان التى قام بها الأسطول الاندلسى من قاعدة المرية البحرية فى عامى ٣٢١هـ، ٣٢٣هـ، ومن الجدير بالذكر أن ابن حيان انفرد وحده دون غيره من المؤرخين بذكرهما، أما القطعة الخامسة، فتتضمن اخباراً تشير إلى أهتمام الحكم المستنصر بالمرية قاعدة اسطول الاندلس وقيامه بزيارتها وتفقد تحصيناتها الدفاعية.

---

(١) بالنثيا (أنحل جونثالث) ك تاريخ الفكر الأندلس، ترجمة الدكتور حسين مؤنس، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٢٠٨.

(٢) أحمد مختار العبادى : من التراث العربى الاسبانى نماذج لأهم المصادر العربية والحوليات الاسبانية التى تأثرت بها، (عالم الفكر)، المجلد الثامن، العدد الأول، أبريل، مايو، يونيو ١٩٧٧، ص ٤٨.

ولهذه القطع اهمية تاريخية عظمى فقد ساعدت على سد ثغرات عميقه فى تاريخ الاندلس فى عصر الدولة الاموية ثم ان روايات ابن حيان تحظى بثقة المؤرخين لدقتها وصدقها[١] وحيدتها هذا إلى ما إتصف به صاحبها من قدره تحليله صائبة[٢]، وما تميز به اسلوبه التاريخى من بساطة وطاقة تعبيريه، وبالاضافة إلى المقتبس ألف ابن حيان كتابه «المتين»، وكان يقع فى ستين مجلداً، والكتاب مفقود، ولم يتبق منه سوى فقرات رواها بعض من أتى من بعده من الكتاب كأبن بسام وابن الخطيب[٣]، ومن هذه النقول يتبين لنا أهمية هذا الكتاب المفقود حيث أنه يؤرخ لفترة هامة وحاسمة فى تاريخ الاندلس منذ أوائل القرن الخامس الهجرى حتى قبيل وفاة المؤلف، وهى فترة حافلة بالاحداث.

٢- ابن عذارى المراكشى، (ت : فى اواخر القرن السابع الهجرى) «البيان المعرب فى اخبار الاندلس والمغرب»

يعتبر هذا الكتاب أهم مصادر تاريخ المغرب والاندلس فى العصر الاسلامى، تناول فيه هذا التاريخ منذ الفتح الاسلامى حتى أواخر القرن السادس الهجرى، وقد اعتمد فيه على مصادر مغربية واندلسية ترجع إلى القرنين الخامس والسادس الهجريين أشار اليها ابن عذارى فى مؤلفه منها البكرى وابن الرقيق والقضاعى، وابن شرف وغيرهم[٤].

ويقسم ابن عذارى «البيان المغرب» إلى ثلاثة اجزاء، الأول يشتمل على اخبار افريقية منذ الفتح الأول فى خلافة عثمان، حتى ظهور المرابطين، والجزء الثانى خصصة لتاريخ الاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى دخول اللمتونين الاندلس فى سنة ٤٧٨هـ، اما الجزء الثالث، فيتضمن تاريخ دولتى المرابطين والموحدين حتى انقراض دولة الموحدين وقيام الدول الوراثة لهم فى المغرب.

وقد اعتمدت فى بحثى بوجه خاص على القسم الثالث من البيان[٥]،

---

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى، ص ٢١١.

(٢) أحمد مختار العبادى : من التراث العربى الاسبانى، ص ٤٩.

(٣) بالنثيا : المرجع السابق، ص ٢١٠.

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير، جـ٢، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦، ص ١٠١.

(٥) ابن عذارى : كتاب البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب، جـ٢، تحقيق ليفى بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان (بدون تاريخ).

ويتضمن اخبارا هامة عن الدولة العامرية، والسنوات الاخيرة من عصر الخلافة واحداث الفتنة البربرية التى عجلت بسقوط الخلافة وقيام دويلات الطوائف، ورواية ابن عذارى عن الدور الذى لعبة خيران فى احداث الخلافة بقرطبة وكذلك خليفته زهير العامرى من الروايات الهامة التى عولت عليها فى تأريخى لاحداث المرية قبيل انتزاء خيران العامرى بها كذلك اعتمدت عليه فيما اوردة من روايات عن بنى صمادح بالمرية، وهى روايات ساعدت كثيراً فى اجلاء ماغمض من احداث الفترة التى تلت انهيار الدولة العامرية وبخاصة انتزاء الفتيان العامريين بشرق الاندلس واعانتنا كثيراً فى دراستنا التاريخية للفصلين الثانى والثالث : ولاشك أن أهمية هذه الروايات – رغم أن مؤرخنا من مؤرخى القرن السابع الهجرى – ترجع إلى استقائة هذه الاخبار ونقلها عن عدد من المصادر المغربية والاندلسية السابقة عليه.

٣- ابن بلقين : مذكرات الامير عبد الله آخر ملوك بنى زيرى بغرناطه (٤٦٩ – ٤٨٣هـ، ١٠٧٧ – ١٠٩٠م) المسماه بكتاب التبيان.

يرتفع نسب الأمير عبد الله بن بلقين اخر ملوك غرناطة فى عصر الطوائف إلى اسرة بنى زيرى الصنهاجية فجدة هو باديس بن حبوس بن زيرى بن مناد الصنهاجى. ولد عبد الله فى سنة ٤٤٧هـ (١٠٥٦م)، ونصب عقب وفاة ابن بلقين سيف الدولة سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٤م)، وليا لعهد جده الأمير باديس بن حبوس، وفى سنة ٤٦٩هـ (١٠٧٧م) اعتلى عرش غرناطة وظل يؤدى هذا الدور إلى أن عزلة المرابطون عن ملكة ونفوه بمدينة اغمات فى جنوب المغرب الاقصى، حيث قضى بقية عمره[١]، وفى اغمات دوّن الامير عبد الله مذكراته الخاصة التى تتضمن اخبارا تاريخية عن عصر ملوك الطوائف بوجه عام على درجة كبيرة من الأهمية[٢]. وتعتبر هذه المذكرات وثيقة سيكولوجية من الطراز الأول، تساعد على الحكم على حالة الانحلال الاجتماعى والتفكك السياسى فى الاندلس قبيل معركة الزلاقة وفى اعقابها بالاضافة إلى أنها تسد فراغا كبيراً فى تاريخ الاندلس زمن الطوائف ابتداء من الفترة التى تنتهى فيها مؤلفات ابن حيان[٣]، كذلك تمدنا

(١) مذكرات الامير عبد الله، نشر وتحقيق ليفى بروفنسال، دار المعارف بمصر ١٩٥٥، ص ٧، ٨ من المقدمة.

(٢) أحمد مختار العبادى : من التراث العربى الاسبانى، ص ٥٦.

(٣) مذكرات مذكرات الامير عبد الله، ص ٩ من المقدمة.

هذه المذكرات بكثير من المعلومات عن العلاقات السياسية بين إمارتى المرية وغرناطة، علاوة على ما جاء بها من تصوير صادق لحالة دويلات الطوائف قبل وبعد معركة الزلاقة.

٤ - ابـــن الخطيـــب (لســـان الديـــن)، ٧١٣ - ٧٧٦هـ / ١٣١٣ - ١٣٧٤م،

يعتبر ابن الخطيب آخر كاتب عظيم انجبته الاندلس[١]، فقد صنف عدداً كبيراً من المصنفات، نذكر منها ما اعتمدت عليه فى دراستى :

«كتاب اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام».

وقد اعتمدت فى بحثى بوجه خاص على القسم الثانى الخاص بالاندلس[٢]. ويتضمن روايات هامة عن الدولة العامرية، وأحداث الفتنة البربرية التى عجلت بسقوط الخلافة بقرطبه وقيام دويلات الطوائف، وفيما اوردة من اخبار هامة عن خيران وزهير العامريين وبنى صمادح بالمرية، ساعدت كثيراً فى دراستنا التاريخية لكلا الفصلين الثانى والثالث.

ثانياً : كتب الجغرافية :

١ - العذرى (أحمد بن عمر بن انس) ٣٩٣ - ٤٧٨هـ / ١٠٠٢ - ١٠٨٥م،

«ترصيع الاخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك».

مصدر جغرافى هام لاغناء عنه لأى باحث فى تاريخ الأندلس، ويتضمن الكتاب مجموعة من الاخبار المتعلقة بمدينة المريه فى عصر الطوائف سدت فراغاً

---

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى، ص ٢٠٩، راجع أيضاً حول ترجمة ابن الخطيب المرجع السابق، من ص ٢٥٢ إلى ص ٢٥٧، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير جـ٢، من ص ١٠٥ إلى ص ١٠٧، أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس، من ص ٣٦١ إلى ص ٣٦٨، وله أيضاً، من التراث العربى الاسبانى، (عالم الفكر)، من ص ٦٥ إلى ص ٦٧.

(٢) ابن الخطيب (لسان الدين) : أعمال الاعلام، (القسم الثانى)، تحقيق ليفى بروفنسال، دار الكشوف، طبعة بيروت، ١٩٥٦.

كبيراً فى الدراسة التاريخية التى اعددتها. والكتاب بالاضافة إلى ذلك يحتوى مادة جغرافية على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لطبوغرافية المريه وما يتعلق بثرواتها الزراعية والصناعية، وقد تولى الدكتور عبد العزيز الأهوانى تحقيق هذا الكتاب واصدره فى مدريد عام ١٩٦٥، وهذا الجزء المنشور لا يتجاوز عشر حجم الكتاب على حد قول محققه[١].

٢- الادريسى (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك بن ادريس)، المعروف بالشريف الادريسى، (٤٩٣ - ٥٦٤هـ / ١٠٩٩ - ١١٦٩م)

وهو حفيد ادريس الثانى الحموى أمير مالقه، ويبدو أنه درس فى قرطبه، وقام بأسفار كثيره فى العالم الاسلامى شرقيه وغربيه.

وكتاب **نزهه المشتاق فى احتراق الآفاق**[٢] يعتبر اعظم عمل جغرافى عربى خاصة ما يتعلق ببلاد المغرب والأندلس، والكتاب غنى بالمادة الجغرافية والتاريخية التى سجلها المصنف كثمرة لمشاهداته أثناء رحلاته ووصفه للمرية يتضمن حقائق هامة تعيننا على تصور ما كان عليه عمرانها فى عصر الخلافة وعصر الطوائف، وعلى الرغم من أن حديثه عن صناعات المرية وعلى الأخص صناعة النسيج يتعلق بنشاطها الصناعى فى عصر المرابطين إلا أننا اعتمدنا عليه ايضاً فى تصورنا للأوضاع الاقتصادية فى المريه قبل عصر المرابطين.

٣- الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم)، ت ٨٦٦هـ / ١٤٦١م «كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار»[٣]

على الرغم من أن الحميرى من رجال القرن التاسع الهجرى إلا أن كتابه يعتبر من الركائز الهامة للباحثين فى تاريخ الأندلس وحضارتها فى العصر

---

(١) العذرى (أحمد بن عمر بن ابن أنس المعروف بأبن الدلائى) : ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق الدكتور عبد العزيز الاهوانى، مدريد ١٩٦٥، ص أ من مقدمة المحقق.

(٢) الادريسى (الشريف محمد)، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس مأخوذه من كتاب نزهه المشتاق فى اختراق الافاق، نشره دى غويه ودوزى، ليدن، ١٨٦٦.

(٣) الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) : صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الاقطار، نشرها ليفى بروفنسال، القاهرة، ١٩٣١.

الإسلامى[1]. فهو إلى جانب كونه معجماً جغرافياً لمدن الأندلس، يتضمن معلومات تاريخية نقلها من مصادر قديمة ضاعت.

٤- معجم البلدان لياقوت الحموى (شهاب الدين ابو عبد الله)، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م

معجم جغرافى للعالم الإسلامى، يمتاز باتساع مادته وغزارتها، ويجمع بين المادة التاريخية والأدبية والجغرافية، وتظهر فيه معرفة مؤلفه الواسعة بالعالم الإسلامى من خلال تجاراته واسفاره فى انحائه، فلقد زار مصر والشام والعراق وفارس وبلاد العرب وبلاد ما وراء النهر بالإضافة إلى اعتماده على النقل من كتب التاريخ والجغرافية بأمانه، مسنداً كل ما ينقله من مادة جغرافية إلى مصادرها الأصلية[2]. وقد اعتمدت عليه أعتماداً خاصاً فى تحقيق بعض المواضع الأندلسية.

ثالثاً : كتب الأدب والشعر

١- ابن بسام (ابو الحسن على)، ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م.

من أهل الآدب، صنف موسوعه أدبيه تاريخيه بعنوان «الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة»، احتوت تراث القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)، وتنحصر أهمية هذه الموسوعة فى تاريخ الأندلس انها تضمنت نصوص طويله من كتاب المتين - وهو كتاب مفقود - لابن حيان بالإضافة إلى ما تضمنته هذه الموسوعة من تراجم ادبيه لأهل هذا القرن. والكتاب ينقسم إلى أربعه اقسام على حسب الأقاليم الجغرافية الأندلسية ويتضمن كل قسم منها تاريخ هذا الأقليم وتراجم عن ملوكه وامرائه وشعرائه.

والجدير بالذكر أنه، فضلا عما نقله ابن بسام من مادة قيمة للمؤرخ ابن حيان فأنه يقدم الينا نبذا تاريخية بقلمه، تعطى صورة متكاملة للحياة الأدبية والاجتماعية علاوه على مجموعة حافلة من تراجم امرائه واعيانه ووزرائه وكتابه وشعرائه ومختارات عديده من رسائلهم، ومنثورهم ومنظومهم، افدت منها كثيراً وبخاصة فيما يتعلق بموضوع الحركة العلمية فى المريه.

---

(١) بالنيثا : تاريخ الفكر الاندلسى، ص ٣١١.

(٢) السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب، دار الكتب العربى للطباعة والنشر، ١٩٦٧، ص ١٩٦.

٢- ابن خاقان (أبو نصر الفتح محمد بن عبد الله القيسى)[1]، ت ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م.

من أهل الآدب، متمكناً من اللغة والقدرة على صياغة الكلام، تميز اسلوبه بالنثر المسجوع، من أهم ما ألف كتابين من المختارات الأدبية والتاريخية وهما : «مطمح الأنفس ومسرح التأنس»، «وقلائد العقيان ومحاسن الأعيان».

يقدم لنا فى كتابه «مطمح الأنفس ومسرح التأنس» تراجم لرجلات الأندلس، ويكرر فى كتابه «قلائد العقيان ومحاسن الأعيان» بعض أجزائه من المطمح ويقسمه إلى أربعه اقسام : الأول «فى محاسن الرؤساء وابنائهم ودرج انموذجات من مستعذب ابنائهم»، والثانى «فى غرر حلية الوزراء وفقر للكتاب والبلغاء»، والثالث، «فى لمع اعيان القضاه ولمع أعلام العلماء السراه»، والرابع، «فى بدائع نبهاء الأدباء وروائع فحول الشعراء». وتتميز كتابات ابن خاقان بالاسلوب المسجوع المتكلف، وترجع اهميتها إلى انها تتضمن معلومات تاريخية هامة هذا إلى قيمتها الأدبية العظيمة وعلى الأخص فيما يتعلق بالدراسة الأدبية لرجال هذا العصر.

٣- المقرى (أبا العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن أبى العيش) ت ١٠٤١ هـ/ ١٦٣١م.

«نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب[2].

يعتبر هذا الكتاب من المصادر الأساسية فى تاريخ الأندلس والمغرب، وتنحصر أهميته لما تضمنة من روايات هامة لمؤلفات سابقة ضاع معظمها وعلى سبيل المثال، كتاب «مزية المرية، على غيرها من البلاد الأندلسية» لأبى جعفر بن خاتمة ضم تاريخاً حافلاً وقد صرح المقرى بأنه تركه ضمن كتبه بالمغرب[3]. وهذه الروايات أوردها المقرى فى موسوعته فى غير نظام، ولكن فى دقة وضبط حسن[4].

---

(١) ينحدر أصله من قرية : «صخرة الولد» على مقربة من قلعة يحصب، من أعمال غرناطة (راجع بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى، ص ٢٩٦).

(٢) المقرى (أبو العباس أحمد بن محمد) : نفح الطيب من غص الأندلس الرطيب، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد، عشرة اجزاء، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٤٩.

(٣) نفس المصدر، جـ١، ص ١٥٤.

(٤) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى، ص ٣.

وقد استفدت كثيراً من هذا الكتاب فيما أورده من روايات عن نشاط حركة بناء المدن الإسلامية وكذلك عن اهتمام الخليفة الناصر وحبه للبناء والتشييد، علاوه على ما تضمنه من أخبار عن الأعوام التى سبقت انهيار الخلافة الأموية، يضاف إلى ذلك ما أورده من أخبار عن الصقالبة وأماكن استجلابهم، هـذا إلى معلومات عن حالة الأندلس قبيل دخول المرابطـين، اعانتنى كثيراً فى دراستى للقسم التاريخى من الرسالة وإلى جانب هذا كله يضـم تراجم عديدة لبعـض شعراء وشاعرات المريه وأدبائها ساعدتنى بقدر كبير فى دراستى للحركة العلمية فى المرية.

رابعاً : كتب التراجم

كما اعتمدت على كتب التراجم الأدلسية ومن بينها :

تاريخ علمـاء الأندلس لابن الفـرضى[١]، كـتـاب الصله لابن بشكوال[٢]، كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الابار[٣]، وكتاب المعجم فى أصحاب أبى على الصدفى لابن الابار[٤]، وكتاب الحله السيراء لابن الابار[٥]، افدت منها كثيراً إذ تلقى ضواءاً كافياً على حياه شخصيات علمية جليلة لعبت دوراً كبيراً فى تنشيط الحركة الفكرية فى الأندلس بوجه عام والمرية على وجه الخصوص.

---

(١) ابن الفرضى (أبو الوليد، عبد الله بن محمد) : تاريخ علماء الأندلس، نشر كوديره الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ١٩٦٦.

(٢) ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) : كتاب الصلة فى تاريخ أئمة الاندلس جزئين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٩.

(٣) ابن الابار (أبو عبد الله محمد القضاعى) التكملة لكتاب الصلة، جزئين مطبعة السعادة بمصر، ١٩٥٥، ١٩٥٦.

(٤) ابن الابار (أبو عبد الله محمد القضاعى) : المعجم من أصحاب القاضى الامام أبى عبد الله الصدفى، دار الكتاب العربى، القاهرة، ١٩٦٧.

(٥) ابن الابار (أبو عبد الله محمد القضاعى) الحلة السيراء، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، الطبعة الأولى، جزئين، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.

ابن سعيد المغربى (أبو الحسن على بن موسى)، ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م.
«المغرب فى حلى المغرب»[٦].

وهذا المؤلف ضاع معظمة ولم يبق منه سوى أجزاء بسيطه تضمنت تراجم لبعض الشخصيات البارزة فى الأندلس من العصر الأموى حتى نهاية عصر الموحدين أعانتنى فى دراستى لبعض الشخصيات الهامة فى المرية ومنها على سبيل المثال شخصية الوزير الأديب أحمد بن عباس وغيره.

(١) ابن سعيد المغربى (على موسى) : المغرب فى حلى المغرب، جزاءان، تحقيق الدكتور شوقى ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣، ١٩٥٥.

الباب الأول

التاريخ السياسى

الفصل الأول

تأسيس مدينة المرية وأهمية موقعها

الفصل الأول

تأسيس مدينة المرية وأهمية موقعها

شهدت الاندلس فى العصر الاموى نشاطا واضحا سجلة امراء هذه الدولة وخلفاؤها الذين كانوا يحرصون على احاطة دولتهم بكل مظاهر الترف والفخامة احياء لحضارتهم فى المشرق، ولهذا السبب انطلق أمويو الأندلس بكل طاقاتهم الى تشجيع البنيان وتعمير المدن [١].

وأول من نشط فى هذا المجال من الأمراء الامويين بالاندلس الامير عبد الرحمن الداخل (١٣٨ - ١٧٢ هـ ٧٥٦ - ٧٨٨م) ، مؤسس الدولة وذلك عندما اقدم على انشاء مدينة الرصافة التى اعتبرت أيضا شمالياً لقرطبة احياء لذكرى رصافة هشام بأرض الشام[٢]، ويليه فى هذا المضمار الامير عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام (٢٠٦ - ٢٣٨هـ / ٨٢١ - ٨٥٢م) ، الذى ينسب إليه بنيان مدينة مرسية[٣]. وفى عهد الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط (٢٣٨ - ٢٧٢هـ/ ٨٥٢ - ٨٨٥م) ، أسست مدينة بجانه [٤] وبطليوس[٥].

اما مدينة المرية موضوع هذه الدراسة فقد كان انشاؤها من أجل مآثر الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله، فقد أمر ببنائها فى عام ٣٤٤هـ

---

(١) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس، بيروت، ١٩٦٢ ص ٠٤ ....

(٢) المقرى (أحمد بن محمد) : نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، جـ٢ ، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٤٩، ص ١٤ ، وأنظر أيضا ، السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس، جـ١ ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١ ، ٤٩ ، أحمد مختار العبادى، فى تاريخ المغرب والاندلس مؤسسة الثقافة الجامعية بالاسكندرية، ١٩٧٤ ، ص ١١٣ .

(٣) ابن سعيد (على بن موسى المغربى) : المغرب فى حل المغرب، تحقيق شوقى ضعف جـ١ ، دار المعارف بمصر، ١٩٥٣ ، ص ٤٨ ، الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) : كتاب الروض المعطار فى خبر الاقطار تحقيق ليفى بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٢٧ ، ص ١٨ .

(٤) ابن سعيد : المصدر السابق، جـ ٢ ، ص ١٩٠ .

(٥) ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر القرطبى٩ ، تاريخ أفتتاح الاندلس تحقيق خوليان ريبيرا، مدريد ١٩٢٦ ، ص٩٠ .

(٩٥٥م)[١]، لتكون مرقبا للساحل الجنوبى الشرقى للاندلس وقاعدة بحرية رئيسية للاسطول الاموى، وكان الناصر اكثر خلفاء بنى امية ولعاً بالبناء والتشييد[٢]، اذ كان يربط بين البنيان والعظمة والسطوه والسلطان[٣] ولهذا فان مدينة المرية تدخل فى نطاق المدن المحدثة[٤]. وسوف نهتم فى هذا الفصل بدراسة الخصائص الجغرافية لمدينة المرية ثم تأسيس مدينة بجانةواثره فى قيام المرية، ونختم الفصل بدراسة عن المرية كقاعدة بحرية لاسطول الاندلس فى البحر المتوسط.

أولا : الخصائص الجغرافية لمدينة المرية

الموقع :

تقع المرية – كما يحدد الجغرافيون القدماء بين – مدينتى مالقه ومرسية، على ساحل بحر الزقاق[٥]، وكانت تشغل نفس الموقع الذى تقوم عليه مدينة المرية الحالية وفى البقعة المعروفة باسمها من السهل الرسوبى الممتد ما بين البحر وسلاسل الجبال الملاصقة لسلسلة جبال جادور[٦] "Sierra de Gador"ويحدها من الشرق فحص مثلث الشكل واراض منبسطة فى امتداد متصل يبلغ ثمانية اميال تقريبا شرقى المرية بين سلسلة جبال رأس القبطة فى الجنوب الشرقى من المرية وجبل الحمة فى الشمال الشرقى منها[٧].

---

(١) الحميرى : الروص المعطر، ص ١٨٣.

(٢) المقرى : نفح الطيب، جـ ١ ، ص ٣٣٧.

(٣) نفس المصدر، جـ ٢، ص ، ١٠ ، وينسبون الى الخليفة عبد الرحمن الناصر هذه الأبيات:

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها   مـن بعــد فبألسن البنيـان
ان البنـــاء اذا تعاظـم قـــدره   أضحى يدل على عظيم الشان

(المقرى، نفس المصدر والجزء ، ص ٦٢)

(٤) ابن حوقل (أبو القاسم)، كتاب صورة الارض، دار المكتبة الحياة، بيروت (بدون تاريخ)، ص٤٤.

(٥) ابو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر): تقويم البلدان، تحقيق دى ســلان De slane ، باريس، ١٨٤٠، ص ١٧٦ وما يليها.

(6) Enciclopedia de la cultura Espanola, tomo I, Madrid, 1963, P. 248.

(7) Torres Balbas (Leopoldo): Almeria Islamica, El Andalus, Vol XXII, 1963, P. 248.

وانظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة أسطول الاندلس، الطبعة الاولى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٣، ١٤.

وهكذا تحوط المرية مرتفعات وجبال من كل جهة باستثناء الجهة الجنوبية والفحص الشرقى، ويسجل الشريف الادريسى هذه الحقيقة فى قوله:

«وموضع المرية من كل جهة استدرات به صخور مكدسة، واحجار صلبة مضرسة، لاتراب عليها، كأنما غربلت ارضها من التراب، وقصد موضعها بالحجر»(١)، والى الشمال الغربى من المرية وعلى بعد نحو ثلثمائة وخمسين مترا من الساحل تتدرج الارض فى الارتفاع طولا بحذاء الساحل، وعلى هذا النشز المرتفع تقوم قصبة المرية فى الوقت الحاضر على ارتفاع يصل الى ستمائة وخمسين مترا فوق مستوى سطح البحر، وتكتنف هذا النشز أجراف شديد الانحدار(٢)، وينحدر من جانبيه المتطرفين الشرقى والغربى واديان صغيران يسميان رامبلاس "Ramblas"، والتسمية مشتقة - كما هو واضح من كلمة «رملة» والسبب فى تلك التسمية يرجع ان مجرى كل من هذين الواديين أراض رملية رخوة، ويفصل هذا المرتفع عن الجبل الشمالى الذى يماثله فى الارتفاع والامتداد أخدود عميق فسيح كان يعرف باسم خندق «باب موسى» وكان خندقاً معموراً فى القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس الهجرى، ويصف الإدريسى هذا الموضع بقوله: «والمرية فى ذاتها جبلان وبينهما خندف معمور، وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة الحصانة والجبل الثانى منها فيه ربضها ويسمى جبل لاهم»(٣).

وكان لموقع المرية الرائع فى جنوب شرقى الاندلس وعلى خليج واسع عميق يحميها من الرياح أعظم الاثر فيما حظيت به من شهرة تجارية تجاوزت الافاق بحيث اصبحت بحق باب الشرق ومفتاح الرزق(٤).

المناخ :

ويسود المرية مناخ معتدل يسوده الجفاف، فهى تتمتع دائما بحرارة معتدلة

---

(١) الادريسى (الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) : صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس، مأخوذه من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الافاق، تحقيق دى غوية ودوزى، ليدن، ١٨٦٤، ص ١٩٨.

(٢) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ١٥.

(٣) الادريسى : صفة المغرب، ص ١٩٧، وراجع أيضاً، الحميرى، الروض المعطار ص ١٨٤.

(٤) ابو الفدا : تقويم البلدان ص ١٧٧.

وسماء صحو أغلب أيام السنة، والامطار تكاد تكون شحيحة فى فصل الشتاء[١]، ومع هذا فلا تصلح المرية لأن تكون مشتى من المشاتى الجيدة نظراً لتعرضها للرياح الشرقية الجافة المحملة بغبار ابيض ذى طبيعة ملحية بسبب الصخور الملحية المحيطة بها[٢]، وندرة تعرضها للرياح الغربية الملطفة.

وقد ساعد على جفاف المرية ان شعاب الجبال التى شقتها السيول فى اتجاه البحر عميقة، ولهذا قلما تحتفظ بمياه الامطار لجريانها السريع نحو البحر[٣].

ثانيا : تأسيس مدينة بجانه واثره فى قيام المرية

تقوم المرية الاسلامية فى موضع كانت تشغله بؤرة عمرانية قديمة، اسسها الفينيقيون عرفت باسم باستولس Bastulos، خضعت بعد ذلك لحكم القرطاجنيين والرومان، ونظراً لموقعها الجغرافى الممتاز اطلق عليها الرومان اسم بورتس ماجنس أو الميناء الكبير Portus Magnus، كما سميت باسم برخيتانس Virgitarns ،ولعل ذلك لقربها من برجه Virgi "Berja "[٤]، ولما كان موقع مدينة المرية القديم ارضا صخرية جرداء ذات طبيعة جافة لاتساعد على قيام تجمعات سكانية، فقد اقتضى الأمر إنشاء مدينة فى السهل المنبسط الواقع شماليها ويشقه نهر اندرش، وعلى هذا النحو أسس الرومان مدينة بجانة الرومانية – فى الطريق الممتد ما بين قسطلونة "Cazlona"، ومالقة Malaga ، وعرف المركز العمرانى الرومانى باسم اورسى "Urci" وهو اسم ذكره بطليموس[٥].

ثم اتخذ الموقع في عصر الامارة الأموية وعلي الاخص في عصر الأمير عبد الرحمن الاوسط محرسا بحريا استناداً إلي قول الحميرى: (فاتخذها العرب مرآي، وابتنيت بها محارس»[٦]، فكانت مرأى ومرقبا بحريا لمدينة بجانه التى لاتبعد عنها

(١) يصف ابن الخطيب (لسان الدين) : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب والاندلس (مجموعة رسائلة) تحقيق أحمد مختار العبادى، مطبعة جامعة الاسكندرية، ١٩٥٨، ص ٨٣ ، ندرة هذه الامطار بقوله: (وسماؤها (أى المرية) بخيلة وبروقها لاتصدق منها مخيلة).

(2) Enciclopedia de la cultura, Tomo I., P. 28.

(٣) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، ص ١٤.

(4) Enciolopedia. Op. cit., P 240.

(٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ص ١٩.

(٦) الحميرى: الروض المعطار، ص ١٨٣، وذكر ياقوت الحموى : «والمرية بالفتح ثم الكسر وتشديد =/=

من جهة الشمال بأكثر من خمسة اميال وسدس الميل، وعلى طريق العقبة ستة اميال[1]. ولذلك سميت بمرية بجانه - مثلما أطلق الاسم على «مرية بلش» وهى بلدة بالأندلس من اعمال ريه على ضفة النهر، كانت مرسى يركب منه فى البحر إلى بلاد البربر فى العدوه من البر الأعظم[2]، ثم تحولت مرية بجانه إلى المرية بعد ان امر الخليفة عبد الرحمن الناصر ببنائها ٣٤٤ هـ (٩٥٥م)[3].

ويتضح مما سبق ان تاريخ بناء المرية ارتبط ارتباطا وثيقا بمدينة بجانه، لأنها كانت فى الأصل فرضتها ومريتها ومحرسها.

وبجانة مدينة محدثة ايضا، اختطت فى عصر الدولة الاموية على أصول قديمة لقرية فى نفس مكانها كانت تعرف باسم Fundus Baianus[4]، امر بتأسيسها

=/=

الياء بنقطتين من تحتها، يجوز أن يكون مرى الدم يمرى اذا جرى والمرآة مرئية يجوز أن يكون من الشئ المرى فحذفوا الهمزة (راجع، ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله) : معجم البلدان، المجلد الخامس دار صادر بيروت، ١٩٥٧، ص ١١٩)، ويعتقد الاستاذ محمد الفاسى أن اسم المرية معناه المرآة الصغيرة، (الاعلام الجغرافية الاندلسية، مجلة البيئة، العدد٣ يولو ١٩٦٢، ص ٣٢)، بينما يرى المستشرق دوزى ان اسم المرية لم يكن علما فى الأصل بل صفة لبرج يكون مشرفا على البحر وتراه السفن من بعيد، وعلى هذا أفترض ان اسم المرية من فعل رأى فيقولون للشئ هو مرء وهى مرية» ويرجح الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى أن هذه الصفة أطلقت أيضا على مدينة الاسكندرية التى عبر عنها المثل الشعبى بعبارة «اسكندرية مرية»، (ابن الخطيب (لسان الدين) : أعمال الاعلام، القسم الثالث، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى والاستاذ محمد ابراهيم الكتانى دار الكاتب، الدار البيضاء، ١٩٦٤، ص ١٧٣، هـ ٢).

(١) العذرى (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائى) : نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الاهوانى، مدريد ١٩٦٥، ص ٨٦.

(٢) ياقوت الحموى، المصدر السابق، المجلد الخامس، ص١٢٠.

(٣) انظر مافات من قبل، ص ٣١.

(4) Torres Balbas, Almeria Islamica. p. 416.

وراجع أيضاً، سالم: تاريخ مدينة المرية، ص١٩.

الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط[1]، وعهد ببنائها لابن اسود[2] وكان الهدف من انشاء مدينة بجانه، حماية الساحل الجنوبى الشرقى من الاندلس بتوطين بعض الاسرات العربية فيها، فأنزل امراء الامويين جماعه من العرب هم بنو سراج القضاعيون، «وجعلوا إليهم حراسة مايليهم من البحر وحفظ الساحل، فكان ما ضمنوا من مرسى كذا إلى مرسى كذا يسمى ارش اليمن، اى عطيتهم ونحلتهم»[3]، وقد كانت بجانة اشرف قرى ارش اليمن ودارسكنى ملكهم (فى موضع مدينة بجانه اليوم) ،مما جعل المستشرق الاسبانى توريس بالباس يؤكد ان ارش كلمة معربة من ارسى Urci وهى المركز العمرانى القديم لمدينة بجانة[4]، بينما يرى الاستاذ الدكتور حسين مؤنس ان لفظ Urci موضع قديم فى اقليم ارش اليمن[5].

وكيفما كان الامر، فان مدينة بجانة حين انشائها كانت تتكون من حارات متفرقة، فهى تقع على الضفة اليسرى من نهر اندرش المعروف بوادى بجانه، وكان يتفرع من هذا النهر جدولان يشقان الارباض الشمالية ويتجاوزانها إلى الارباض القبلية[6].

ومن الجدير بالذكر بنى سراج القضاعيين كانوا يقومون بحراسة مايليهم من البحر، ويحفظون الساحل، وشيدوا لهذا الغرض برجا للمراقبة والحراسة بالقرب من مصب وادى بجانة، فوق الجبل الذى تقوم عليه قصبة المرية فى الوقت الحاضر، باعتبار ان هذا الجبل المرتفع من اصلح المواقع لهذا الغرض، وسموا موضع المحرس باسم (بجانة) واتخذها العرب رباطا. وابتنيت فيها محارس، كان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها ولاعمارة فيها يؤمئذ ولاسكنى»[7]، وذلك عندما قام النورمانديون بالأغارة على السواحل الاندلسية والمغربية فى عام ٢٤٥هـ (٨٥٩م).

(١) انظر مافات هنا من قبل ، ص ٣١.
(٢) ابن سعيد : المغرب، جـ٢، ص ١٩٠.
(٣) الحميرى : الروض المعطار، ص ٣٧.
(4) Torres Balbas : Op. Cit., P. 418.
(٥) حسين مؤنس: فجر الاندلس، دراسة فى تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامى الى قيام الدولة الاموية «٧١١ – ٧٠٦م»، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٠٩، ص ٥٤١.
(٦) الحميرى: الروض المعطار، ص ٣٨.
(٧) العذرى : ترصيع الأخبار، ص ٨٦.

وفى عام ٢٧١ هـ (٨٨٤م) نزل بمرية بجانة – وكانت تحت سيطرة بنى سراج القضاعيين – جماعة من البحريين الاندلسيين على رأسهم الكركرنى وأبو عايشة والصفر وصهيب، كانوا بادئ ذى بدء يميرون بسفنهم ما بين الساحل الجنوبى الشرقى للاندلس وساحل مدينة تنس الحديثة بافريقية، وهم الذين اسسوا هذه المدينة الافريقية فى عام ٢٦١ هـ (٨٧٥م) ، وسكنها فريقان من أهل الاندلس من اهل البيره وتدمير ، ثم انتقل بربر ذلك الاقليم إلى سكناها ورغبوا فى الانتقال إلى قلعة تنس وأستأذنوا البحريين فى ان يتخذوها سوقا ودار سكنى نظير تقديم المعونة وحسن المجاورة والعشرة فأجابهم البحريون إلى ذلك، وانتقلوا إلى القلعة، ويذكر البكرى بأنه «لما دخل عليهم الربيع اعتلوا واستوبوءا الموضع، فركب البحريون من اهل الاندلس مراكبهم، واظهروا لمن بقى منهم انهم يمتارون، فحينئذ نزلوا مرية بجانه، وتغلبوا عليها[١] .

وهذا الحديث ينقلنا إلى التعرض لبدء ظهور البحريين فى الاندلس. فقد كان معظم هؤلاء البحريين الاندلسيين من أصول اسبانية واقلهم عرباً وبربراً[٢] ، توفرت لديهم خبرات بحرية لاحد لها توارثوها جيلا بعد جيل ولحمة أثر لحمة، وعمد هؤلاء البحريون إلى تأسيس قواعد لهم على طول الساحل الشمالى الشرقى ما بين طرطرشة وبلنسبة شمالا والساحل الجنوبى الشرقى عند الموضع الذى قامت عليه مرية بجانة بعد ذلك جنوباً، وتزعمهم امير سرقسطة[٣] ، ومضوا يشتغلون لحسابهم الخاص.

---

(١) البكرى «أبو عبيد الله بن عبد العزيز: المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب، نشر دى سلان، الطبعة الثانية، باريس، ١٩١١، ص٦١.

(2) Levi-provenfal (E): Histoire de L'Espagne Musulamane, T 1, Paris, Leiden, 1950, P. 249.

وأنظر أيضا سالم «بالاشتراك مع أحمد مختار العبادى» فى ، تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٥٢.

(٣) لويس «ارشيبالد» : القوى البحرية والتجارية فى حوص البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة العربية القاهرة، ١٩٦٠ ص ٢٢٩ وأنظر أيضاً السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى، الطبعة الثانية، دار المعارف، ١٩٦٩، ص ١٣٥.

وكان هؤلاء البحريون ينزلون مرسى أشكوبرس Escombreras الواقع فى خليج قرطاجنة الخلفاء، وقبل ان يستقر بهم المقام فى مرية بجانة [١]. وعلى الرغم من قيام هؤلاء البحريين احيانا بنقل بعض السلع التى ينتجها الاندلس إلى المغرب ووسق سفنهم من سلع المغرب، فان عملهم الاعظم الذى انصرفوا له كان يستهدف الجهاد البحرى، فكانوا يغزون السواحل الكارو لنجية بوجه خاص مستغلين فى ذلك تفكك قوى الكارولنجيين البحرية فى أواخر أيام لويس التقى، واضمحلال نفوذهم على شمال إيطاليا منذ النصف الأول من القرن الثالث الهجرى (منتصف القرن التاسع الميلادى)[٢].

ويرجع بداية اشتغال البحريين الاندلسيين بغزو السواحل الكارولبخية ونهبها أو ما يسمية الغربيون تعصبا ضد العرب بالقرصنة[٣]، على سواحل ايطاليا وفرنسا الجنوبية وجزر البحر المتوسط مثل صقلية واقريطش الى ايام الحكم الربضى. ولكن ينبغى ان نشير هنا الى ان اعمال هؤلاء الغزاة لم تكن تتم بموافقة رسمية من حكومة قرطبة[٤] وقد بدأت غاراتهم فى عام ١٨١ هـ(٧٩٨)على جزر البليار التى يبدو انها تخلت انذاك عن تحالفها القديم مع بيزنطة ، والتمست حماية الكارولنجين . وفى المدة من ١٨٩هـ - ٢٠٠هـ (٨٠٦ - ٨١٥ م) ، قاموا بهجمات بحرية منظمة على قورشقه والسواحل الكارولنجيه مابين مصبى نهر

---

(١) ارشيبالدلويس: القوى البحرية، ص ٢٢٩.

(٢) «قراصنة العرب»، عبارة خاطئة ينبغى أن تصحح وقد وقع فيها معظم المؤرخين الأوربيين عن قصد، واصرارهم عليها لايخلو من روح التعصب، مع ان المعروف ان العرب لم يكونوا فى يوم من الأيام قراصنة وانما كانوا مجاهدين فى البحر، وإنما الذى حدث هو ان القرصان انتشروا فى حوض البحر لمتوسط الشرقى والغربى عقب اضمحلال الدول الإسلامية وعجزها عن السيطرة على البحار منذ بداية القرن الخامس الهجرى «الحادى عشر الميلادى»، جماعات القرصان تتكون من جنسيات مختلفة، فكانت فيهم اعداد عظيمة من اهل ايطاليا والبلقان وجنوبى فرنسا والمغرب وربما كان المغاربة أقل عدداً من غيرهم ، ولكن البابوية عممت القرصنة على البحريين المسلمين عربا أو مغاربة لكى تلهب مشاعر السخط عليهم، انظر : بينز (نورمان) : الامبراطورية البيزنطية، تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٠، ص ٣٦٨، هـ١.

(3) Lévi - Provençal : Op. Cit., T. I. P. 244;

وأنظر أيضاً، سالم فى ، تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس ص ١٥١ - ١٥٢

التيبر و الرون ، وفى عام ١٩٨هـ (٨١٣م) شنت قوة بحريه اندلسيه هجوما عنيفا على نيقه (نيس) وشفيتافكيا "Civita Vecchia"وقورشقه ، الا انها تعرضت اثناء قفولها من الغزو بالقرب من ميورقة لهجوم مفاجىء شنه عليها اسطول فرنجى كان يطاردها بقيادة كونت امبورياس وتمكن الفرنجة من استعادة خمسمائة اسير قورشقى ، كان قد اسرهم المسلمون فى غزوات سابقة[1]. وفى عام ٢٠٠هـ(٨١٥م) تعرضت جزر البليار الواقعة تحت حماية الفرنجة وقتذاك لغارة بحرية اسلامية[2] وواصل المسلمون توجبه ضرباتهم لهذه الجزر الى ان قبلت فى النهاية ان تدخل فى فلك الدولة الاموية فى سنة ٢٣٤هـ (٨٤٨م)، وتعهدت بعدم التعرض لسفن المسلمين وقد ترتب على ضعف سلطان الكارو لنجيين على طول الساحل الفرنسى الجنوبى ان تجرأ مغامرو المسملين على اتخاذ قاعدة لهم شبه دائمة هناك تتمثل فى جزيرة كامرج"Camargue" عند مصب نهر الرون وقد نجحوا فى التوغل من هذه القاعدة إلى الداخل حتى بلغوا آرال عام ٢٤٦هـ (٨٦٠م)، ربما استمرت اقامتهم بصفة شبة دائمة بعيدا عن الساحل عند خرائب مدينة «ماجلون» ، كما تمكنوا فى عام ٢٧٥هـ (٨٨٨م) من تأسيس قواعد اكثر ثباتا فى فراكسنيث "Fraxinetum" على ساحل بروفانس[3].

وينبغى ان نشير هنا إلى أعظم مغامرات جماعات البحريين الاندلسيين طرافة فى النصف الشرقى من حوض البحر المتوسط تمت فى عام ١٩٩هـ (٨١٤م) بقيادة أبى حفص عمر بن شعيب البلوطى عندما تمكنوا على اثر إحدى غزواتهم فى بحر ايجه من احتلال مدينة الاسكندرية والسيطرة عليها قرابة اثنى عشرة سنة[4]، ثم أرغمهم عبد الله بن طاهر بن الحسين على الخروج

(١) ارشيبالدلويس: القوى البحرية، ص ١٦٢ وما يليها، وأنظر أيضاً، الأمير شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط، مصر١٢٥٢ هـ، ص ١٤٠، و«شفيتافكيا» Civita Vecchia اصطلاح لاتينى يعنى المدينة العتيقة.

(٢) ارشيبالدلويس : نفس المرجع، ص ١٦٢.

(٣) ارشيبالدلويس، نفس المرجع، ص ٢٣٠.

(٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى، ص ١٣٨ وما بعدها.

منهـا[1]، فأبحروا شمالا نحو جزيرة اقريطش وتمكنوا من الاستيلاء عليها فى عام ٢١٣هـ (٨٢٧م)[2].

كذلك لعب البحريون الاندلسيون بقيادة اصبغ بن وكيل الهوارى المعروف بفرغلوش دوراً هاما فى تمكين الاغالبة من افتتاح جزيرة صقليةوذلك فى عام ٢١٤هـ (١٢٩م)[3].

ونستطيع ان نخرج من كل ما سبق بحقيقة تاريخية لها دلالتها وهى ان جماعات البحريين كانت تشكل قوة بحرية تجارية وحربية وانها كانت قوة لها مهارتها فى فنون البحر وفنون القتال البحرى واعظم شاهد على ذلك تلك الغزوات المتواصلة التى كانت توجهها على سواحل جنوب فرنسا وشمال ايطاليا ودورهم فى الاستيلاء على الاسكندرية واقريطش واشتركهم مع قوات الاغالبة فى فتح جزيرة صقلية، ولم تكن هذه الاعمال تتم بموافقة رسمية من حكومة قرطبة، وان كانت لم تلق اعتراضا من هذه السلطات الأموية.

ومن الجدير بالذكر ان جماعه البحريين الاندلسيين وفقت فى تأسيس قاعدة بجانة دون ان تتلقى اى عون من السلطة المركزية التى فقدت ظلها انذاك على معظم اقاليم الاندلس، ولم تكن هذه القاعدة تعدو بادئ ذى بدء موضعا محدوداً يقع بالقرب من وادى اندرش Rio Andarax عرف بمرية بجانه، ويبدو ان المدينة الرومانية القديمة Urci اجتذبت انظار البحريين الاندلسيين بموقعها الممتاز الذى يبعد بعض الشئ عن الساحل، فانتقلوا اليها بعد ان اتفقوا على ذلك مع عرب ارش اليمن، وتباحثوا معهم فى اقامة مايشبه الجمهورية البحرية تضم أرش اليمن ومراسيه

---

(١) نفس المرجع ، ص ١٤٣.

(٢) نفس المرجع ، ص١٤٤، اقريطش: جزيرة تتميز بموقع استراتيجى ممتاز فى وسط البحر المتوسط الشرقى وكانت من أخصب جزر البيزنطيين، راجع «ابراهيم أحمد العدوى: اقريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى، «المجلة التاريخية المصرية»، اكتوبر ١٩٥٠، المجلد الثالث، العدد الثانى، ص ٥٥».

(٣) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ، جـ٢، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦، ص ٣٨٩، وراجع أيضا أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، ١٦٨، ص٢٥٧.

ومحارسة، لمواجهة أى اعتداء بحرى يقوم به اى عدو من اعداء الدولة الاندلسية[1]. ولم يلبث البحريون ان تغلبوا على ما كان فيها من العرب وصار الامر لهم فى بحانة، ثم حوطوا حاراتها المفترقة بسور[2]. ويظهر ان هذا السور أقيم بعد سنة ٢٧٧هـ (٨٩٠م) وهى السنة التى قدمت فيها قوات سعيد بن جودى، سيد عرب البيرة، لمهاجمة البحريين فيها، استنادا الى قول ابن حيان بانها كانت «مدربة لم يضرب بعد عليها سور»[3]، اى انها كانت تتألف من دروب وحارات غير مسوره.

وقد اهتم البحريون بتمصير بجانه وتعميرها، واتخذوا من قرطبة حاضرة الاندلس إنموذجا احتذوه فى بجانه ويفسر الحميرى ذلك بقوله: وامتثلوا فى ذلك بنيه قرطبة وترتيبها، وجعلوا على احد ابوابها صورة تشاكل الصورة التى على باب القنطرة»[4]، وكان يعلو باب القنطرة فى قرطبة تمثال للعذراء، الذى يقول فيه ابن عذارى: (وهى العذراء صاحبة قرطبة التى وضع أقادم حكمائهم صورتها فوق باب مدينتها القبلى وهو باب القنطرة»[5]، ويستنتج الاستاذ ليفى بروفنسال من ذلك ان بجانة كانت تضم جماعة من البحريين النصارى وانهم اقاموا كنيسة لهم[6]. ويعلق الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم على ذلك بقوله: «بان استنتاج الاستاذ ليفى بروفنسال لايخلو من مبالغة فليس من الضرورى ان يكون ذلك دليلا على ان المرية المحدثة كانت تضم جماعة من البحريين النصارى، وانهم اقاموا كنيسة لهم، فقد يكون هذا التمثال المنصوب على باب بجانة مجرد تقليد للتمثال المنصوب على باب القنطرة بمدينة قرطبة امعانا فى تقليد هذه الحاضرة، يؤكد ذلك قول الحميرى، «وامتثلو فى ذلك ببنيه قرطبة وترتيبها»[7]، مما يعد اصدق دليل على

---

(١) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، ص ٢٢ - ٢٣.

(٢) الحميرى: الروض المعطار، ص ٣٨، وأنظر أيضاً، سالم: نفس المرجع، ص ٢٣.

(٣) ابن حيان «أبو مروان»: المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس، القسم الذى نشره الأب ملشور أنطونيا، باريس، ١٩٣٧، ص ٨٩.

(٤) الحميرى، المرجع السابق، ص ٣٨.

(٥) ابن عذارى «أبو عبد الله محمد»: البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفى بروفنسال، جـ ٣ دار الثقافة بيروت، لبنان «بدون تاريخ»، ص ١٤.

(6) Lévi-provencal (E: Historire de L'Espagne Musulmane, T.I, P. 352.

(٧) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، ص ٢٣ وما يليها.

اعتبار ان قرطبة كانت تمثل فى ذلك الوقت قمة الرقى والازدهار فى الفن والعمارة، ومن ثم كان اتجاه البحريين الى الاخذ بتقليدها واتباع نمط عمارتها بنصب تمثال على باب بجانة تقليدا للتمثال الذى كان قائما على باب القنطرة بقرطبة، وفى عصر الناصر اقيمت مدينة الزهراء التى كان يقوم على أحد ابوابها تمثال للزهراء يمثل امرأة لعلها فينوس الرومانية(١).

وقد تولى رئاسة البحريين ببجانة فى عهد الامير عبد الله، زعيم منهم يدعى عبد الرازق بن عيسى، ولم تلبث هذه القاعدة ان اتسعت وكثرت مرافقها وحصونها بعد ان اتجهت اليها عناية الدولة وذلك فى بداية عهد الامير المنذر بن محمد ٢٧٣هـ (٨٨٦م)، الذى منح اهل بجانة من البحريين والعرب الحق فى توسيع رقعة بلدهم بضم القرى والحصون المجاورة مثل: حصن برشانة المنيع فى الشمال وحصن ناشر فى الشرق وحصون الحمة والخابية وبنى طارق فى الغرب(٢)، وبذلك اصبحت هذه الحصون تسيطر على الطريق البرى الوحيد الموصل ما بين بجانة ووادى آش من جهة الغرب ومرسية من جهة الشمال الشرقى(٣).

ومنذ ان الت الرئاسة فى بجانة الى البحريين، ازدهرت هذه المدينة ازدهارا كبيرا بفضل اسطولها الراسى بخليج مريتها، «فأمتها الناس من كل جهة واجفلوا اليها من كل ناحية، فارين من الفتن التى كانت اذ ذاك شاملة، فكانت أمنا لمن قصدها، وحرما لمن لجأ اليها، وكانت الميرة تجلب اليها من العدوه، وضروب المرافق والتجارات، وكان ذلك ايضا من الاسباب الداعية الى قصدها واستيطانها وصار حولها ارباض كثيرة»(٤).

واتخذ للمدينة جامع، بناه عمر بن اسود الغسانى، ويذكر العذرى (ق٥هـ) ان «فيه قبوا عاليا فيه احد عشر حنيه مصنوعة على اربعة اعمدة منقش اعاليه كله بنقوش عجيبه وصنائف غريبة، وبشرقى القبة ثلاث بلاطات وبغربية اربع بلاطات اوسع من الشرقية والمحراب والمنبر داخل القبة،، وفى صحن الجامع بئر عذب»(٥).

---

(١) السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس، جـ ١، ص ٢٣٦.

(٢) ابن حيان: المقتبس، نشر الأب ملشور انطونيا، ص ٥٣.

(3) Lévi-provencal : Histoire, T.I, P. 354.

(٤) الحميرى: الروض المعطار، ص ٣٨.

(٥) العذرى: ترصيع الأخبار، ص٨٧.

في حين يقول فيه الحميرى (ق٨هـ) : «فيه قبوء على قبة فيها احدى عشر حنيه منضربه على اربعة عشر عمودا[١]. ولعل هذا الاختلاف وقع مع مرور الزمن.

وزخرت مدينة بجانة بالمنشآت وعمرت بالاسواق والمرافق وفى ذلك يقول الحميرى: «بأنه كان بمدينة بجانة احدى عشر حماما، وطرز حرير ومتاجر رابحة وكان يذهب الوادى الاتى من شرقيها كثيرا من ارباضها وأسواقها عند حمله»[٢].

ولكن بجانه لم تنعم كثيرا باستقرارها وهدوئها إذ مالبثت ان تعرضت لهجمات سوار بن حمدون المحاربى امير العرب بغرناطة من كورة البيرة، الذى طمع فى اخراج البحريين من موطنهم بجانه لحقده عليهم بسبب التفاف الناس حولهم، وانتصاراً لقومه الغسانيين منهم، ويعبر ابن حيان عن ذلك بقوله: «واجتماع الناس اليهم، واستخفافهم بمن جاورهم من العرب الغسانيين واستطالتهم عليهم، وخوفهم منهم على أنفسهم لقلة عددهم»[٣]. لذلك استعد سوار فى عام ٢٧٦هـ (٨٨٩م) لغزوهم فى عرب البيرة، وعندما علم رئيسهم عبد الرازق بن عيسى بخبر تأهب سوار لغزوه، خاف على مدينته من عرب البيرة ورهب ما عرف من شدة بأس سوار، فعمد الى مهادنته ومسالمته، فبعث بجماعة من وجوه البحريين المقيمين ببجانه الى العرب الغسانيين لتصفيه الخلاف والاعتذار عما بدر من تصرفات غير لائقة من سفهاء قومه وطلب منهم الاجتماع بسوار لاستلطافه وابداء رغبتهم اليه «... فى الانصراف عنهم وموافقته على اجمال عشيرتهم»[٤]، وقد اسفرت هذه السماعى عن استجابة عرب بجانه الغسانيين الى رجال عبد الرازق بن عيسى، فارسلوا وفدامنهم على رأسة سعيد بن أسود وخشخاش ابنه، ومحمد بن

---

(١) الحميرى الروض المعطار، ص ٥٣٨.

(٢) الحميرى : نفس المصدر، ص ٣٨، وقد ذكر العذرى أيضاً بأنه كان فى مدينة بجانة أحد عشر حماماً «ترصيع الأخبار، ص ٨٧».

(٣) ابن حيان : المقتبس تحقيق الأب ملشور، ص ٨٨.

(٤) ابن حيان : نفس المصدر والصفحة.

عمر بن أسود ابن لخيه، وابوه الادهم بن مخلد الغسانى الى سوار ونجح هذا الوفد فى اقناعه بالانصراف عن غزو بجانة والعودة الى غرناطة[1].

ولكن البحريين فى بجانه لم يلبثوا ان عاودوا التحرش بالغسانيين بعد ان بلغهم نبأ مصرع سوار فى عام ٢٧٧هـ (٨٩٠م). فكانت الغسانيون ابن جودى خليفة سوار بغرناطة يستنهضونه لغزو البحريين، ولم يكتفوا بذلك بل قصدة وفد منهم ليحرضوه على غزو بجانه، «فخف معهم، وجاء الى بجانه وهى مدربة لم يضرب بعد عليها سور، فحاربهم فيها اياما قارشوة فيها، فلم يظفر بهم بطائل»[2] وبينما كانت الحرب قائمة بين عرب غرناطة والبحريين فى بجانة، انتهز شنير Sunierll قومس امبورياس Comte d, Ampurias بقطلونية هذه الفرصة ، وقدم فى خمسة عشر مركباً ارفأت بساحل المرية فرضة بجانة، واحرق عدداً كبيراً من السفن الاسلامية الراسية فى خليج المرية، وعزم على التقدم الى بجانة لنهب المدينة، ولكنه وجد مقاومة عنيفة إذ تسلل البحريون اثناء الليل من بجانه وقصدوا المرية، واشتبكوا مع القطلانيين فى معركة قتل فيها احد كبار البحريين وهو خلف بن زهرى بالحوض، وانتهت هذه المعركة بجنوح القطلانيين الى الصلح مع البحريين وتم ذلك على يدى عبد الرحمن بن مطرف الحاج، وانصرف شنير عنهم بسفنه، وعاد البحريون الى بجانه، فظن جودى ان مدادا جاءهم ، فرحل عنهم مسرعاً[3].

وبنجاح البحريين فى مواجهة هذه الغارة البحرية الخطيرة، اكتسبوا هيبة جيرانهم لهم واسبغت عليهم انتصاراتهم صفات من البطولة والقوة ابعدت عنهم طمع جيرانهم.

وظلت بجانه محتفظة بعظمتها طوال النصف الأول من القرن الرابع الهجرى،

(١) ابن حيان : نفس المصدر والصفحة.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الأب منشور، ص ٨٩.

(٣) نفس المصدر والصفحة، «أمبورياس» اسم مدينة فينيقية قديمة، ثم يونانية عمرها أهل صور وصيدا فى أرض قطالونية، تقع على الساحل الشمالى الشرقى لاسبانيا شمالى برشلونه، وكانت خارجه عن الدولة الاسلامية فى اسبانيا وداخله فى كونتية برشلونة، راجع «الاميرشكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص ١٢٤، هـ١ ، حسين مونس: تاريخ الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس ، معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، ١٩٦٧، ص ٢٨٩، أحمد مختار العبادى دراسات ، ص ٢٥٢، هـ٣».

ولكنها اخذت تفقد اهميتها امام فرضتها المرية التى أخذت مكانتها تزداد شيئا فشيئا الى أن أصدر الخليفة عبد الرحمن الناصر أمره بتأسيسها فى عام ٣٤٤هـ (٩٥٥م) ولم تلبث المرية بعد انشائها ان اصبحت من اهم مراسى الاندلس واكثرها عمرانا، واصبحت هى وبجانه على حد قول ياقوت الحموى «بابى الشرق»[١] فمن المرية كان «يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ للسفن والمركب»[٢]. ولم تلبث مكانه بجانه ان انحسرت منذ بداية القرن الخامس الهجرى بعد ان «كانت كرسى المملكة الى ان ضعفت، [٣] وعظمت المرية فصارت بجانه تابعة.

ولم تقو بجانه ان تواجه الفتن الضارية التى طحنت الاندلس وانتهت بسقوط الخلافة الاموية، وعلى حد قول العذرى: خربت مدينة بجانة، وذهب باقى عمارتها فى سنة تسع وخمسين واربعمائه[٤].

وباضمحلال مدينة بجانة، عظمت المرية وازدهرت وانتقلت اليها قاعدة الاقليم.

ثالثا : المرية اهم قاعدة بحرية لأسطول الاندلس فى البحر المتوسط:

مما لاشك فيه ان طبيعة الوضع الجغرافى للاندلس كشبه جزيرة، يحيط بها البحر المتوسط من الجهتين الشرقية والجنوبية الشرقية والمحيط الأطلسى من الجهات الجنوبية الغربية والغربية الشمالية الغربية[٥]، ساعدت على توجه أهلها بأبصارهم نحو البحر، كما أن سواحلها المتعرجة وكثرة خلجانها وأجوانها ساعدت على تعدد مراسيها التى تصلح لارساء السفن وإيوائها بعيداً عن تيارات البحر وأنوائه[٦]. ومن هذه المراسى: بنشكله، وبلنسية، وشاطبة، ولقنت وقرطاجنة الخلفاء مرسى

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان، المجلد الخامس، ص ١١٩.

(٢) نفس المصدر والجزء و الصفحة.

(٣) ابن سعيد : المغرب، جـ٢، ص ١٩.

(٤) العذرى: ترصيع الأخبار، ص ٨٧.

(٥) الادريسى: المغرب وأرض السودان، ص ١٧٣.

(١) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس، ص ٧٢، الجون «بفتح الميم»، وهو الخليج الناتج عن امتداد مياه البحر فى الأرض، راجع : Dozy : Supplement, I, 236 a

مرسية[١]، ومرسى محمله من عمل بجانه، ومرسى المرية، ومرسى بزليانه من عمل كورقرية [٢] ، ومرسى جبل طارق ومرسى الجزيرة الخضراء، ومرسى النبيزه ومرسى عذره، ومرسى بليسانه، ومرسى الفروج، ومرسى شلوبينيه ومرسى المنكب ، ومرسى مرية بلش [٣].

وقد فرضت هذه الطبيعة الجغرافية عليها انتهاج سياسة بحرية حربية معينة لحماية سواحلها وثغورها من طمع الطامعين ودرءا لغزوات المغامرين من الشعوب الشمالية، ومن ثم كان يتحتم على اهل الاندلس ان تكون لديهم قوة بحرية ممتازة قادرة على الذود عنها وحمايتها، إلا أن الدولة الاموية منذ قيامها لم تظهر اهتماماً بتكوين قوة بحرية تعتمد عليها فى اوقات الخطر لعاملين : أولهما، انصراف امراء قرطبة إلى تمكين نفوذهم ودعم السلطة المركزية تجاه الحركات الانتزائية داخلياً، وفى نفس الوقت اعتماد سياسة دفاعية أو هجومية – حسب مقتضيات الحال – ازاء الممالك المسيحية فى شمال اسبانيا، واما العامل الثانى فهو اطمئنان الدولة الاموية فى الاندلس إلى جانب البيزنطيين لاشتراكهم مع الامويين فى الاندلس فى معادة العباسيين، وقد ظلت العلاقات الودية قائمة بين قرطبة وبيزنطة طوال العصر الاموى، وفى نفس الوقت ساءت العلاقات بين الامويين فى الاندلس

---

(١) ابن سعيد : المغرب، جـ٢، ص ٢٧٤، فرطاجنة الخلفاء، توجد ثلاث مدن بهذا الاسم احداها الواقعة بأفريقية قرب تونس الحالية، بينما تقع الثانية والثالثة بالأندلس، وهما قرطاجنة الجزيرة عند جبل طارق، وهى مدينة قديمة مهجوره، وقرطاجنة الخلفاء فى اقليم مرسية وهى ميناء صالح للرسو، راجع «الحميرى: الروض المعطار ص ١٥١، ١٠٢، كليلياسارنللى تشركوا، مجاهد العامرى، قائد الأسطول العربى فى غرب البحر المتوسط فى القرن الخامس الهجرى، القاهرة، ١٩٩١، ص ١٨٥، ص١٨٦.

(٢) ابن حيان «أبو مروان»: المقتبس، القسم الثانى «من عصر المستنصر» تحقيق عبد الرحمن الحجى، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٥، ص ٣٩ وما يليها ، «وبزليانه» ventas de Bezmilia-na قرية على ساحل البحر المتوسط أى على الساحل الأندلسى الشرقى، بينها وبين مالقة Malaga ثمانية أميال «الحميرى: الروض العطار، ص ٤٤، ابن حيان، المصدر السابق ٤١، هـ١».

(٣) الادريسى: المغرب وأرض السودان، ص ١٩٨؛ ١٩٩.

والكارولنجيين [١] لفترة طويلة بسبب سيطرة الاندلس فى عصر الامارة على القطاع الجنوبى من ولاية سبتمانيا، وحدوث تقارب بين الكارولنجيين والعباسيين، ولهذا السبب اطمأن امراء قرطبة الى جانب البيزنطيين ولم يحسوا بحاجتهم إلى تكوين قوة بحرية تحمى سواحلهم، الا ان هذا التقصير فى الامور البحرية كان وقفاً على السلطة الاموية الحاكمة.

وإذا كانت الدولة الاموية قد انصرفت عن الاهتمام بالقوة البحرية اكتفاء بالنشاط البحرى الذى يمارسه غزاة البحر الاندلسيين، فان ذلك لم يستمر طويلا، فسرعان ما عدلت الدولة عن موقفها السلبى من التنظيم البحرى بعد الغزوة النورماندية على سواحل الاندلس فى عم ٢٢٩ هـ (٨٤٣م)، فصرف الامراء منذ هذا التاريخ جهداً كبيراً من جهودهم لانشاء السفن الحربية، وذلك عندما اصدر عبد الرحمن الاوسط امره فى عام ٢٣٠هـ (٨٤٤م)، بانشاء دار صناعة اشبيلية [٢]، كما اهتم هذا الامير منذ ذلك التاريخ بنظام الرباطات والطلائع والمحارس الساحلية على طول سواحل الاندلس لحمايتها من الغارات البحرية التى كان يقوم بها الاعداء [٣].

والاربطة ابنية ذات خاصيتين إحداهما حربية والاخرى دينية، ففيها كان يتجمع اهل الرباط لتحقيق امرين الأول، إعداد انفسهم للجهاد فى سبيل الله عن طريق التعبد وذكر الله بصوت عال، والثانى حراسة الرباط والتأهب حربياً لمقاتلة أعدء الاسلام، وكان الدعاء والتكبير سمة اساسية من سمات المرابطة، وفى ذلك يقول الصوفى الغرناطى ابن ابى زمنين: «ورأيت أهل العلم يستحبون التكبير فى العساكر والثغور والمرابطات، دبر صلاة العشاء وصلاة الصبح تكبيراً عاليا ثلاث تكبيرات. ولم يزل ذلك من شأن الناس قديما» [٤].

---

(١) لويس «ارشيبالد»: القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط، ص ٢٢٨ وما يليها.

(٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٦٧ وأنظر أيضاً، سالم: تاريخ مدينة المرية، ص ٣٥.

(٣) أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والزندلس، ص ٢٦٦.

(٤) ابن أبى زمنين: كتاب قدوة الغازى، مخطوطة عن أحمد مختار العبادى، دراسات فى تاريخ الغرب والاندلس، ص ١٠.

وكان القائمون على الحراسة ليلا يعرفون باسم السمار[1]، وجرت العادة ان يقوم السمار بعملهم فى مراقب عالية ملحقة بالرباط يطلق عليها اسم منائر[2]، او فى اماكن مرتفعة قريبة منه لكشف سفن العدو من مسافة بعيدة، وكانت هذه المراقب أو الربط او المناور تعرف ايضا باسم الطلائع أو الطوالع[3]، فكان على اولئك السمار أو المرابطين إذا ما كشفوا عدوا مقبلا فى البحر من بعيد اشعلوا النار فى قمم المناور او الطلائع ان كان الوقت ليلا[4]، او اثاروا فيها الدخان ان كان الوقت نهاراً، وقد يستخدم اهل الرباط الطبل والنفير لتحذير اهالى المدن المجاورة من غارة العدو، وكثيراً ما استعمل المرابطون اشارات نارية أو دخانية بطرق أو حركات معينة للاخبار عن حالة العدو أو عدده أو جنسيته أو غير ذلك، وبهذه الطريقة كان من الممكن ارسال تحذير او نذير[5].

ولقد اقتبس الاسبان نظام المرابطة عن جيرانهم المسلمين منذ وقت مبكر، فدخل لفظ رباط العربى فى اللغة الاسبانية ومنه اشتقت كلمة Rebats أى الرباط arrebator أى يرابط ويقاتل، Tocar el rebato وتعنى الانذار بغارة معادية، كذلك استخدموا نفس الوسائل والادوات باسمائها العربية مثل الطلائع Atalaya والمنارة Almenara والنفير Anafil، إلا أنهم زادوا عليها استعمال النواقيس التى تقابل الطبول عند المسلمين[6].

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب حـ ٣ ص ٤٢١، راجع أيضا القلقشندى «أحمد ابن على»: صبح الاعشى فى صناعة الانشا حـ٥، القاهرة ٨ ١٣هـ ص ٢١٧.

(٢) منائر جمع منار وهو برج اسطوانى الشكل أو مربع ينتهى من أعلى بقبة تعلو غرفة مفتحة بداخلها موقد توقد فيه النار للانذار أو باقتراب العدو، من أمثلة هذه المنائر منار خلف الفتى بمدينة سوسة فى افريقية «راجع سالم، المغرب الكبير حـ٢ ص ٤٥٣ وما يليها».

(3) Dozy (R.) : Supplement aux Dictionnaire Arabes T. II. P. 55.

الطلائع أو الطوالع جمع طالعة أو طليعة Atalaya

(٤) الادريسى : صفة المغرب ص ١٩٨، ويصف الادريسى قمة البرج فيقول : «وعليه برج مبنى بالحجارة مصنوع لوقيد النار فيه عند ظهور العدو فى البحر»، (نفس المصدر والصفحة).

(٥) أحمد مختار العبادى : دراسات ، ص ٣٠.

(6) Asin (Oliver) Origin arabe del rebaro. Madrid, 1928, p. 27.

راجع أيضا أحمد مختار العبادى: دراسات ، ص ٢٠١.

ومن أهم الربط الساحلية الاندلسية رباط المرية الذى كان النواة العمرانية لمدينة المرية، وكان الناس يرابطون فيه لحماية مدينة بجانه من غارات النورمانديين، وذلك استناداً إلى قول الحميرى : «وكان المجوس لما قدموا المرية، وتطوفوا بساحل الاندلس والعدوة، فاتخذها العرب مرأى، وابتنيت بها محارس ، وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها[١]»، وفى هذا المعنى ذكر العذرى: «وابتنيت فيها محارس وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها ولاعمارة فيها يومئذ ولاسكنى[٢]».

وفى شرق المرية وجد رباط ساحلى آخر عرف برابطة القابطة أو القبطة ولعلها قابطة بنى الاسود التى أشار إليها البكرى كموضع بجوار مرية بجانة [٣] ويرى الاستاذ ليفى بروفنسال انها تقابل اليوم الموضع المعروف باسم Cabo de Gata [٤] كذلك يشير ابن الابار الى رباطات اخرى أقيمت بجوار المرية دفن فيها عدة من الفقهاء والزهاد والمجاهدين مثل رباط عمروس ورباط الخشنى وغيرها، كل هذا يدل على ان المرية شأنها فى ذلك شأن مدن المغرب الهامة، كانت محاطة بسلسلة من الرباطات الساحلية لحمايتها من أى عدوان باعتبارها قاعدة الاسطول الاندلسى[٥].

أما إهتمام الدولة الاموية فى الاندلس بالبحرية الحربية فيبدأ منذ عام ٢٢٩هـ (٨٤٣م) عندما تنبه الامير عبد الرحمن الاوسط إلى أهمية وجود بحرية اندلسية وذلك فى اعقاب الغارة النورماندية الاولى فى عام ٢٢٩هـ (٨٤٣م) على سواحل الاندلس الغربية[٦] والجنوبية حيث نزلوا بثغر

---

(١) الحميرى: الروض المعطار، ص ١٨٣.

(٢) العذرى: ترصيع الاخبار ، ص ٨٦.

(٣) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ٨٩.

(4) Levi- pravençal: Historire, T, II, P. 170.

(١) أحمد مختار العبادى، دراسات ص ٢٩٧ وما يليها.

(٢) شق هذه الغارة المجوس الاردمانيون، ويطلق عليهم النورمان ويعرفون باللغة الاسبانيةNormandos أو Wikings ويقابل ذلك بالانجليزية Norsemen او Vikings ولعل التسمية الاولى اكثر استعمالا فى الاسبانية والثانية شائعة فى الانجليزية، فكلا التسميتين تعنى سكان الشمال والمقصود بهم سكان الدول الاسكندنافية الذين اشتهروا بنشاطهم الحربى البحرى، وتعنى

=/=

الأشبونة[1] ، فى اربع وخمسين مركباً عززتها بعد ذلك ست وعشرون مركباً أخرى فبلغت جملة مراكبهم ثمانين، كأنما ملأت البحر طيراً جوناً [2]، واحتلوا بسيط هذه المدينة، فنازلهم أهلها وقاتلوهم قتالا شديداً حتى تمكنوا من صدهم وفى هذه الاثناء انذز وهب الله بن حزم وإلى المدينة الامير عبد الرحمن الاوسط

=/=

كاملة Vikings فى الاصل اللغوى سكان الخلجان وهى مشتقة من الكلمة النرويجية Vik التى تعنى ساكن الخليج ثم اطلقت كلمة Vikings على سكان شبة الجزيرة الاسكندنافية وقد اقترنت غزوات النورمان بأعمال القتل والحرق والنهب، اذ كانوا يندفعون الى البحر، حيث اضافوا الى أعمالهم مصدراً جديداً للرعب، فكانوا ينقضون فجأة كما ينقض النسر «فيقبضون على فريستهم، ثم يعودون أدراجهم إلى حيث يطويهم عالم المجهول، ولقد اصبح الغموض الذى يكتنفهم مضاعفاً كما كان الرعب الذى ينتشرونه مضاعفاً كذلك، ويعود هذا الشعب فى اصله إلى الجرمان أو التيتونيين وينقسم إلى ثلاث مجموعات : (١) السويديون (٢) النرويجيون (٣) الدانيون «الدانمركيون» وكان للظروف الجغرافية وغيرها أثر فى الوجهة التى قصدها كل منهم فى نشاطه الحربى أو التجارى، والمجموعة الثالثة (النورمان، الدانيون) هم الذين هاجموا سواحل شبة الجزيرة الايبيرية «اسبانيا والبرتغال» وافريقية احيانا، وهم الذين تحدث عنهم ابن حيان واطلق عليهم المؤرخون المسلمون فى الغرب الاسلامى اسم المجوس أو الاردمانيون أو كليهما، وأما تسميتهم بالمجوس التى تطلق اصلا على الزرادشتيين عبده النار فلأن النورمان حين غزوا الاندلس كانوا يكثرون من اشعال النار فظن المسلمون هناك أنهم يعبدون النار. راجع (سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا ى العضور الوسطى، جـ١ القاهرة ١٩٦٦، ص ٢١٠، ابن حيان، المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجى، تعليق ص ٢٤٩، وما يليها، سكون (ماك كالوءم) : الفيكنج ورحلاتهم البحرية (تاريخ العالم، المجلد الرابع، فصل ٩٦، مكتبة النهضة العربية).

(١) الاشبونة أو اشبونة ويكتب اسمها بالاسبانية Lisbonne وبالبرتغالية Lisbona تقع على ساحل المحيط الأطلسى عند مصب نهر التاجو، ومنها كان خروج الفتية المغربين فى المحيط، ونزولهم فى جزر الخالدات التى تعرف الان كناريس Canarias راجع (الحميرى : الروض المعطار ص ١٦ والترجمة الفرنسية، ص ٢٢ ليفى بروفنسال، مادة لشبونة فى العصر الإسلامى فى دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الفرنسية، جـ٣ ص ٢٩) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس : ص ٢٧٥ وما يليها، ابن الكردبوس : الاكتفاء ، ص١٢٨ ، جـ٢).

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، جـ٢ ، ص ٨٧، الجون : ضرب من القطاسود البطون والاجنحة، راجع العبادى : دراسات، ص ٣٦١، هـ٣.

بقدومهم ليتخذ أهبته ولما أدرك النورمانديون صعوبة تقدمهم قفلوا راجعين الى سفنهم، ومن ثم اتجهوا جنوباً ، فحلوا بكورة اشبيلية ونزلوا عند مصب نهر الوادى الكبير واتجه فريق منهم جنوبا بحذاء الساحل الاسبانى حيث نزل على ساحل كورة شذونه واحتل ثغر قادس بينما صعد الفريق الأول بسفنه نهر الوادى الكبير، فاحتل مدينة اشبيلية عدة ايام عاث خلالها قتلا ونهبا وتخريبا سنة ٢٣٠هـ (٨٤٤)[١].

ولم يكن الامير عبد الرحمن ساكنا وقتئذ فقام من فوره لمقاومة الخطر النورماندى، فعبأ جيشه وقدم عليه خير قواده واحتل هذا الجيش بالشرف Aljarafe من اشبيليه وفى نفس الوقت كتب الامير إلى عمال الكور فى استنفار الناس، كذلك استنفر أهل الثغر، فأقبلوا من كل صوب إلى قرطبة، وبفضل هذه الجهود الكبيرة التى بذلها الامير استطاع جيش قرطبة ان يوقع بالنورمانديين الهزيمة فى قرية طلياطه Tejada يوم الثلاثاء ٢٥ من صفر٢٣٠هـ (١١ نوفمبر ٨٤٤م) وقتل منهم عدد كير، واحرق من مراكبهم ثلاثون مركبا[٢] ويرى الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى ان انسحاب النورمانديين من اشبيلية لم يتم إلا بعد وصول وحدات الاسطول الاندلسى إلى مكان المعركة استناداً إلى قول العذرى: «ثم هبطت للامام عبد الرحمن الاوسط خمسة عشر مركبا بالمقاتلة والعدة، فنزلوا اشبيليه فلما احس المجوس بها لحقوا بلبلة [٣]»، وأياما كان الامر ، فقد رحل النورمانديون بعد هزيمتهم إلى لبلة ثم توجهوا من هناك الى الاشبونه، وانقطع خبرهم بعد ذلك.

نبهت هذه الغارة النورماندية المفاجئة الامير عبد الرحمن الاوسط الى ضرورة مواجهة أمثالها مستقبلا، فاهتم بتحصين الثغور الغربية والجنوبية الغربية، كما أمر ببناء «سور مدينة اشبيلية من اجل طروق المجوس لها من ناحية البحر الرومى، وذلك فى عام ٢٣٠هـ»[٤] باشارة وزيره عبد الملك بن حبيب، كما اهتم بانشاء محارس ومراقب على طول الساحل الغربى المطل على المحيط وشحنها بالمرابطة [٥]. واهم

---

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس، ص ٦٦، ابن عذارى : المصدر السابق، جـ٢، ص ٨٧، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ص ٢٣٥ وما يليها، أحمد مختار العبادى : دراسات، ص ٢٦٣.

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق، حـ ٢ ص ٨٨، سالم: المرجع السابق ص ٢٣٦.

(٣) أحمد مختار العبادى: درامات، ص ٢٦٣.

(٤) ابن حيان : المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجى، تعليق ص ٢٤٤ ، وانظر ايضا ابن سعيد، المغرب: حـ١ ص ٤٩، الحميرى : الروض المعطار ص ٧١.

(٥) السيد عبد العزيز سالم: فى البحرية فى المغرب والاندلس ص ١٦٠.

من ذلك كله فيما يتعلق بموضوعنا انه أصدر أمره بانشاء دار صناعة باشبيلية وإنشاء المراكب واستعد برجال البحر من سواحل الاندلس فألحقهم ووسع عليهم فاستعد بالآلات والنفط[1].

وكان من نتائج هذه السياسة البحرية ان اصبح للدولة الأموية اسطول قوى لعب دوراً هاماً في الاحداث التالية ، فقد استخدمه الامراء للدفاع عن سواحل الاندلس أو للقيام بحملات تأديبية على بعض الجزر كما حدث فى الحملة البحرية التى وجهها الامير عبد الرحمن الاوسط لجزيرة ميورقة فى ثلثمائة مركب لنقض اهل هذه الجزيرة العهد وإضرارهم بمن مر عليهم من مراكب المسلمين، وأدت إلى إخضاع اهلها وقيامهم بالكتابة الى الامير بطلب الصفح[2].

ثم تكرر طروق النورمان سواحل اسبانيا الاسلامية، فأغاروا مرة أخرى فى عام ٢٤٥هـ (٨٥٩م) على الساحل الاندلسى الغربى فى اثنى وستين مركبا، ولكنهم وجدوا هذا الساحل محروسا بمراكب المسلمين، التى استطاعت ان تستولى على مركبين من مراكب النورمان وغنمت ما فيها من الذهب والفضة والسبى والعدة بالقرب من سواحل كوره باجه اما بقية مراكب المجوس فقد اتجهت جنوبا حتى وصلت إلى مصب نهر الوادى الكبير حينئذ بادر الأمير محمد بن عبد الرحمن الاوسط بتوجيه جيشه إلى المغرب، مستنفرا الناس لملاقاة العدو، فوصلوا من كل صوب، ثم تقدمت مراكب النورمان حتى حلت بالجزيرة الخضراء، وتغلبوا عليها واحرقوا مسجدها الجامع ثم اقلعت مراكبهم تجاه العدوة المغربية واحتلت بناكور وعاثت خلالها قتلا ونهباً، ثم قفلت راجعة مرة ثانية إلى الساحل الشرقى للأندلس حتى وصلت ساحل كورة تدمير، وتمكنوا من دخوال حصن أوريوله ، ثم اقلعوا شمالا تجاه الشاطئ الافرنجى واستولوا على مدينة فيه، ومكثوا بها حتى انقضى الشتاء ثم اقلعوا جنوبا تجاه الشاطئ الاندلسى، وفى هذه الاثناء استعد لهم الامير محمد بالمراكب المعدة بجميع اصناف العدة البحرية وقوارير النفط والرماه واستطاعت القوة البحرية الاسلامية ان تصيب مركبين لهما بساحل شدونة واستولوا

---

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس، ص ٦٧.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب : حـ ٢ ص ٨٩.

على ما فيها من أموال كثيرة وامتعة واسعة، كما احرقوا لهما مركبين آخرين وفرت باقي مراكبهم[١].

وقد حاول الأمير محمد بن عبد الرحمن الاوسط تدعيم الاسطول الاندلسى بمزيد من القطع البحرية لاستخدامه فى الاغارة على جليقية، ولكن بناء هذا الاسطول تم سريعاً دون عناية باتقان صناعته، علاوة على عدم مهارة ملاحية بحيث تعرض لتشتت قطعة بمجرد بلوغها مياه المحيط، ويفصل لنا ابن عذارى الخبر بقوله: «أمر الأمير محمد بانشاء المراكب بقرطبة ليتوجه بها إلى البحر المحيط عبد الحميد الرعيطى المعروف بابن مغيث، وكان قد رفع إليه رافع ان جليقية من ناحية البحر المحيط لاسور لها وأن أهلها لايمتنعون من جيشه ان غشيتهم من تلك الناحية، فلما كملت المراكب بالانشاء، قدم عبد الحميد بن مغيث، فلما دخل البحر، تقطعت المراكب كلها وتفرقت، ولم يجتمع بعضها إلى بعض، ونجا ابن المغيث[٢].

وقد ازداد إهتمام حكام الاندلس بالبحرية فى عهد عبد الرحمن بن محمد لاضطراره الى مواجهة الفاطميين فى افريقية، ويمكننا القول بأنه لم يحدث ان وجدت للاندلس قوة بحرية منظمة بالمعنى الصحيح إلا على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر أى ابان النصف الأول من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى).

فقد بدأ عبد الرحمن بن محمد بتنظيم البحرية فى الاندلس واستكمالها فأكثر من بناء السفن الحربية، ومهد لهذا بانشاء عدد كبير من دور الصناعة فى مدن الاندلس مثل المرية، وطرطوشة[٣]، والجزيرة

---

(١) نص من المقتبس لابن حيان خاص بعصر عبد الحمن الاوسط، عن أحمد مختار العبادى، دراسات : ص ٢٦٥ وما يليها، ابن عذارى : البيان المغرب حـ ٢ ص ٩٦ وما يليها، ناكور : تكتب كذلك نكور وهى مدينة مندرسة فى شمال شرق المملكة المغربية، اسست سنة ١٢٣هـ، وكان من اعمالها ثغر المزمة الذى حرفه الاسبان الى ألوثيماس، التى عربها المسلمون الى الحسيمة الحالية التى تسمى ايضا سان خورخو وهى خاضعة للنفوذ الاسبانى، راجع، العبادى: دراسات ص ٢٢٦ ، هـ ٢.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق، حـ٢ ص ١٠٣ وما يليها.

(٣) طرطوشة : Tortosa من الاسم القديم Dertose تقع فى شمال شرق اسبانيا بالقرب من

الخضراء[١]، ومالقه، ولقنت[٢]، وشلب[٣]، والقصر[٤]، ودانية[٥]،

=/=

ساحل البحر المتوسط عند مصب نهر الابرو، جنوبي مدينة طركونة Tarragona واشتهرت طرطوشة في العصر الاسلامي بدار صناعة المراكب التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر، ويتوافر مواد بناء هذه السفن من خشب الصنوبر المتوفر بجبالها، راجع (الادريسي: المغرب وارض السودان، ص ١٩٠ الحميري: الروض المعطار ص ١٢٤ وما يليها، ابن الكردبوس: الاكتفاء ص ١٠٠، هـ١).

(١) الجزيرة الخضراء: وتسمى اليوم Algeciras وهي ميناء في أقصى جنوب اسبانيا بجوار جبل طارق، وتسمى أيضا في المراجع العربية بجزيرة ام حكيم وهي جارية لطارق بن زياد كان قد حملها معه عند غزوة لاسبانيا، ثم تركها في هذه البلدة فنسبت إليها، وبها دار صناعة بناها عبد الرحمن بن محمد واتقن بناءها وعلى اسوارها، راجع (الادريسي: المصدر السابق، ص ١٧٩، الحميري: المصدر السابق، ص ٧٣، ابن الكردبوس: الاكتفاء، ص ٤٥، هـ٢).

(٢) مالقه Malaga مدينة على ساحل البحر المتوسط تقع جنوبي شرق اسبانيا اسسها الفينيقيون واعطوها اسم مالكو Malako ومعناه المملح نسبة الى مستودعات الاسماك المملحة التي كانت تجفف وتحفظ بها، ولها قصبة منيعة في شرقيها وهي غاية في الحصانة والمنعة، ولها ربضان كبيران، بهما الفنادق والحمامات واشتهرت كذلك بما كانت تحوية من شجر التين المنسوب اليها والذي كان يحمل الى مصر والشام والعراق، راجع (الادريسي: المصدر السابق ص ٢٠٤ هـ٢، الحميري: المصدر السابق، ص ٧٧ (وما يليها)، ابن الخطيب: اعمال الاعلام «القسم الخاص بالمغرب» ص ٣٤ هـ٣)، أما لقنت Alicante فهي مدينة صغيرة من بلاد الاندلس بينها وبين دانية على الساحل سبعون ميلا وتنشأ بها المراكب السفرية والحراريق، راجع (الحميري: المصدر السابق ص ١٧٠، الادريسي، المصدر السابق، ص ١٩٣).

(٣) شلب Silves من مدن غرب الاندلس وتقع على نهر بطليوس وهي من كورة شذونه ولها مرسى في الوادي وبها الانشاء، راجع (الادريسي: المصدر السابق ص ١٩٣، الحميري: المصدر السابق، ص ١٠٦ وما يليها).

(٤) القصر: مدينة بالاندلس بينها وبين شلب اربعة مراحل، على ضفة النهر المسمى شطوبر وهو نهر كبير تصعد فيه السفن والمراكب السفرية كثيرا.. وبها الانشاء الكثير، راجع (الادريسي: صفة المغرب، ص ١٨١، الحميري: المصدر السابق ص ١٦١).

(٥) دانيه Denia على ساحل البحر المتوسط جنوبي بلنسية من شرق الاندلس واسم المدينة العربي

=/=

وشنتمرية[١]، وشلطيش [٢].

وفى ايامه وضحت القوى البحرية وازداد عدد قطعها بحيث تجاوز المائتى سفينة اذ يشير ابن خلدون فى مقدمته الى ذلك فيقول: وانتهى أسطول الاندلس ايام عبد الرحمن الناصر الى مائتى مركب أو نحوها [٣]». واعتقد أن المقصود بهذا العدد السفن الغزوية المخصصة للقتال فى البحر كالحراريق والاغربه المقاتلة والافان الرقم يقل عما كان عليه زمن الامير محمد بن عبد الرحمن الأوسط[٤].

ومن المعروف ان أغلب القواعد البحرية فى الاندلس تركزت على امتداد الساحل الشمالى الشرقى ما بين طرطوشة وبلنسية وربما كان مرجع ذلك العداء

=/=

والاسبانى مشتق من اسمها الرومانى القديم Danium ويشرف على دانية جبل مرتفع هو جبل مرتفع هو جبل «قاعون» ويسمى اليوم مونجو Mongo والمدينة محاطة بغابات كثيفة من شجر الصنوبر الذى تصنع منه السفن فى دار صناعة دانية، وكانت دانية قاعدة بحرية هامة منذ عهد الامويين واشتهر امرها عندما انتزى بها مجاهد العامرى (راجع الادريسى: المصدر السابق ص ١٩٢ الحميرى : المصدر السابق ص ١٠٢، ابن الكردبوس : الاكتفاء ص ٩٦، هـ ٢، أحمد مختار العبادى، دراسات ص ٢٩٨، ص ٣١٠).

(١) شنتمرية: مدينة فى الاندلس من مدن اكشونيه على البحر الاعظم وبها دار صناعة الاساطيل، راجع (الحميرى : الروض المعطار، ص ١١٥ وما يليها).

(٢) شلطيش : وهى جزيرة بالقرب من مدينة لبلة، بها دار صناعة الحديد الذى يعجز عن صنعه اهل البلاد لجفائه، وهى صنعة المراسى التى ترسو بها السفن.. وهى كثيرة السفن وبها دار صناعة لانشائها راجع «الادريسى: المصدر السابق، ١٧٩، الحميرى : المصدر السابق، ص ١١٠ ومايليها».

(٣) ابن خلدون : «عبد الرحمن بن محمد» مقدمة العلامة ابن خلدون، المطبعة التجاريةو مصر، ص ٢٥٣ وراجع ايضا: محمد جمال الدين سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربى، ١٩٦٧، ص ١٩.

(٤) أنشأ الامير محمد فى البحر سبعمائة غراب، راجع («ابن الكردبوس: كتاب الاكتفا ص ٥٧، بن ابى دينار «محمد بن ابى القاسم العين الفيروانى» المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس، ١٢٨٦هـ، ص ٩٧).

الشديد بين سكان شرق الاندلس وبين الفرنجة الكارو لنجيين والقسم الجنوبى من الساحل الاندلسى ويشمل المرية ومالقه والجزيرة الخضراء واشبيليه.

وكانت مدينة المرية القاعدة الرئيسية للبحرية الاندلسية، ويليها طركونه [١] ثم طرطوشة [٢] ولقنت [٣] فشريش [٤] وشلب [٥] فالجزيرة الخضراء [٦] بالاضافة الى جزيرة يابسة [٧] أصغر جزر البليار.

وكان أسطول الاندلس يتألف من قطع مختلفة لكل منها عمل معين فى القتال ومن امثله هذه السفن الحربية: الحراريق التى كانت تصنع فى دار صناعة المرية ومالقه [٨]، ولقنت [٩]، والاغربة [١٠]، والبطس [١١]،

---

(١) الحميرى الروض المعطار، ص ١٢٥ وما يليها.

(٢) الحميرى: الروض المعطار، ص ١٢٤.

(٣) نفس المصدر، ص ١٧٠.

(٤) نفس المصدر، ص ١٠٢.

(٥) نفس المصدر، ص ١٠٦ وما يليها.

(٦) نفس المصدر، ص ٧٣ وما يليها.

(٧) نفس المصدر، ص ١٩٨.

(٨) العمرى «ابن فضل الله»: مسالك الابصار فى ممالك الابصار، الجزء الخاص بوصف افريقية والاندلس، نشر حسن حسنى عبد الرهاب، تونس، ص٤ ، وما يليها، وانظر أيضا : ابراهيم احمد العدوى: الاساطيل العربية فى البحر المتوسط، القاهرة، ١٩٦٣ ص ١٦٧، أحمد مختار العبادى: دراسات ص ٣٩٣ وما يليها، والحراريق نوع من السفن الحربية التى ترمى بالنيران كالنار الاغريقية، راجع «ماتقدم من مصادر ومراجع ونفس ارقام الصفحات المدون امامها».

(٩) الحميرى : الروض المعطار، ص ١٧٠.

(١٠) الاغربة : جمع غراب، واشتهرت هذه السفن بالبأس الشديد وانزال الرعب فى قلوب الاعداء، وهى سفن حربية لاتختلف عن الشوانى، راجع: «العدوى المرجع السابق، ص ١٦٧، درويش النخيلى: السفن الاسلامية على حروف المعجم ، مطابع الاهرام، ١٩٧٤، ص ٣٠٩٢».

(١١) البطس، جمع بطسه، وهى من السفن الحربية العظيمة الحجم تشتمل على عدة طبقات يشغل كل طبقة منها فئة معينة من الجند بأسلحتها، وتسيرها قلوع كثيره، وكانت تستخدم فى =/=

والحمالات[١] والشلندى[٢] والطرايد[٣] والعشارى[٤] والقراقير[٥] والمسطحات[٦].

ولقد أشرنا فيما سبق الى عاملين ساعدا على دعم البحرية الاندلسية، الاول، غزوة النورمان الأولى التى نبهت أولى الامر فى الاندلس الى ضرورة اصطناع

=/=

شحن الغلال والاقوات والمير والاموال والنفقات علاوة على آلات الحرب والقتال الى جانب القيام بعمليات القتال فى البحر، راجع «العدوى المرجع السابق ص ١٦٨ والنخيلى: المرجع السابق، ص ١٤ وما يليها».

(١) الحمالات : جمع حمالة من مراكب النقل ، وكانت تستخدم لحمل الغلال وهى من ملحقات الاسطول الحربى، مخصصة لنقل مؤونة الجيش، وازواده والصناع والخدم الملحقين بالجيش والاسطول ، واجع فى هذا «، Dozy (R.): Supplement aux dictionnaires arabes' I, p. 327 النخيلى : المرجع السابق، ص ٤٠ وما يليها».

(٢) الشلندى : والجمع شلنديات، وهى مراكب حربية كبيرة مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح وتستخدم كذلك فى نقل البضائع ، راجع

(Dozy : Op. cit, I.p. 459)

(٣) الشوانى : جمع شينى أو شينيه، وهى السفينة الحربية الكبيرة وكانت مزودة بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم وتجدف بمائه وثلاثة واربعين مجذافا، راجع

Dozy : Op. cit. I.p. 717.

العدوى : المرجع السابق، ص ١٦٧ ، النخيلى: المرجع السابق ص ٤٢ .

(٤) الطرايد : جمع طريدة او طراد، وهى سفن صغيرة سريعة، عرفها دوزى بأنها من المراكب الحربية اكثر شبها بالبرميل الهائل منها بالسفينة، راجع

Dozy: Op. cit., I, p. 34.

(٥) القراقير : جمع قرقور وهى من السفن الضخمة التى تحمل المؤن للاسطول.

Dozy : Op. cit., I1.P.335.

(٦) المسطحات : جمع مسطح ، وهى من السفن الحربية الكبيرة، وهى من اكبر سفن الاسطول الاسلامى، انظر : النخيلى : المرجع السابق، ص ١٤١ وما يليها.

سياسة بحرية رسمية، والثانى قيام الدولة الفاطمية فى المغرب وتطلعها لغزو الاندلس منذ ايام عبد الرحمن بن محمد. ولانشك فى ان عبد الرحمن الناصر كان على يقين من استفحال الخطر الفاطمى على الاندلس منذ ان ساندوا حركة الثائر عمر ابن حفصون وزودوه بالسلاح والميره [١]، ومنذ ان توسعوا غربا على حساب الرستميين فى الجزائر والادراسة فى المغرب الأقصى، وكانت قوة البحرية الفاطمية تفوق القوة الاندلسية، اذا ان الفاطميين بالاضافة الى ما ورثوة من سفن الاغالبة وقواعدهم البحرية فى تونس وصقلية وقوصره [٢]، اتخذوا المهدية - عاصمتهم الجديدة - قاعدة بحرية وداراً لصناعة السفن[٣]، مكنتهم من إعداد إسطول يعد اعظم اساطيل بحر المغرب.

الى جانب هذا الخطر الفاطمى، كان خطر الغارات النورماندية لايزال جاثما بعد ان بلغت سفن النورمان سواحل المغرب والاندلس. وهذا يفسر إهتمامه بدعم القوة البحرية للاندلس فى مواجهة الانواء المقبلة من المغرب كما يفسر حرصه على إنشاء قواعد بحرية متعددة ودور صناعة فى مختلف ثغور الاندلس[٤]. وعلى تحصين الثغور الاندلسية المواجهة للمغرب، واحتلال الثغور المغربية المطلة على المضيق كسبته وطنجه ومليلة تأمينا لسلامة بلادة[٥].

وقد نجح الاسطول الاندلسى فى عصر الخلافة فى إحباط محاولات المهدى الفاطمى لتدعيم حركة إبن حفصون وامكنه ان يقطع الميرة والمؤونة الفاطمية التى شحنت فى سفن الفاطمين الى الاندلس لمساندة الثوار فى عام ٣٠١هـ (٩١٣م)[٦]. ثم تمكن الاسطول الأموى من الاستيلاء على مدينة مليلة فى سنة

(١) ابن عذارى : البيان المغرب حـ٢ ص ١٦٥ ، وانظر اياضا : ارشيبالدلويس : القوى البحرية، ص ٢٣٦.

(٢) العدوى : الاساطيل العربية، ص ١٢٨ وقوصرة هى المعروفة الان بجزيرة «بنتلاريا» جنوب جزيرة مالطة.

(٣) احمد مختار العبادى: سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس «صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد». المجلد الخامس، ١٩٥٧، ص ٢٠٠.

(٤) ارشيبالدلويس: القوى البحرية والتجارية ، ص ٢٣٦.

(٥) أحمد مختار العبادى: دراسات ، ص ٧٢ وما يليها.

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٢ ص١٦٥، ابن خلدون «عبد الرحمن بن محمد» كتاب

=/=

٣١٤هـ (٩٢٧م)[١] ، ومن انتزاع مدينة سبتة فى عام ٣١٩هـ (٩٣١م)[٢] ، ولم تمض فترة حتى تمكن الناصر من احتلال ثغر طنجة المجاور لها[٣].

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تجاوز الأسطول الاندلسى أعماله المنفردة إلى اشتباكات بحرية مع الاسطول الفاطمى وتوجيه الغارات على سواحل افريقية[٤]، وبواسطة هذا الاسطول الاندلسى امكن نقل قوات الجيش الاموى عبر مضيق جبل طارق تدعيما للقوة الاندلسية بساحل العدوة وبعض مناطق مغربية امتد إليها النفوذ الأموى فى فاس والمنطقة المجاورة لها، ففى عام ٣٣٣هـ (٩٤٤م) غزا

=/=

العبر وديوان المبتدأ والخبر حـ٤ ، طبعة بولاق ، ١٢٨٤هـ، ص٣٣، سالم «بالاشتراك مع أحمد مختار العبادى» فى: تاريخ البحرية الاسلامية فى مصر والشام، جامعة بيروت العربية ، بيروت، ١٩٧٢، ص ٦٤.

(١) البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص ٨٨، راجع أيضاً: سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم فى الأندلس ، ص ٢٨٥ ، وله أيضاً : المغرب الكبير، جـ٢ ص ٦١١، أحمد مختار العبادى : دراسات، ص ٧٢.

(٢) ابن حيان : المقتبس قطعة خاصة عبد الرحمن الناصر مخطوطة، ورقة ١١٥، البكرى المصدر السابق، ص ١٠٣ وما يليها، ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص ٢٠٤ وراجع أيضاً:

Lévi-provençal : Historire, T. II, p.96.

السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير، جـ٢ ، ص ١١١ ، أحمد مختار العبادى المرجع السابق، ص ٧٣.

(٣) لم يرد فى المصادر التاريخية تاريخ استيلاء الناصر على ثغر طنجة، ويرى الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى أنه كان من الطبيعى بعد ان احتل الناصر سبته أن يحتل ثغر طنجة المجاور لها، استناداً الى اشارة ابن عذارى للتحصينات التى أقامها عاهل الاندلس فى هذه المدينة، راجع «أحمد مختار العبادى: دراسات ص ٧٤.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، جـ٢ ، ص ٢٢١ وما يليها، راجع أيضا العدوى : الاساطيل العربية، ص ١٢٩.

محمد بن رماحس على الاسطول إلى بنى محمد بالعدوة، وكان عدد سفن الاسطول خمس عشرة مركباً حربية وشينيين وفتاشاً [١]، وفى العام التالى غزا محمد بن رماحس قائداً على الاسطول الاندلسى إلى افريقية من المرية [٢]. كما أثبت الاسطول الاموى فى عصر الخلافة ايضا قوته وكفاءته، ففى عام ٣٤٤هـ (٩٥٥م) ، أنشأ عبد الرحمن الناصر مركبا كبيراً لم يعمل مثله وسير فيه امتعته إلى بلاد الشرق فلقى فى البحر فيه رسول من صقلية إلى المعز فقطع عليه اهل المركب الأندلسى، واخذوا ما فيه واخذوا الكتب التى إلى المعز وبلغ ذلك المعز فعمر اسطولا واستعمل عليه الحسن بن على صاحب صقلية وسيره إلى الأندلس فوصلوا إلى المرية، فدخلوا المرسى وأحرقوا جميع ما فيه من المراكب واخذوا ذلك المركب وكان قد عاد من الأسكندرية وفيه امتعه لعبد الرحمن وجوار ومغنيات وصعد من فى الاسطول الى البر فقتلوا ونهبوا ورجعوا سالمين إلى المهدية [٣]. وكان رد الفعل الأموى على ذلك ان امر عبد الرحمن الناصر «باطلاق اللعن على ملوك الشيعة بجميع منابر الأندلس وانفاذ كتبه بذلك إلى العمال بسائر الأقطار [٤] . كما جهز اسطولا امويا مكوناً من ستين سفينه بقيادة أمير البحر غالب بن عبد الرحمن وهاجم فى عام ٣٤٥هـ (٩٥٦م) ارض سواحل افريقية من عمل الفاطميين، وكان مرسى الخرز وساحل سوسه هدفاً لهذه الغزوة الانتقامية [٥] .

---

(١) العذرى : ترصيع الاخبار ص ٨٢، فتاش. نوع من المراكب الحربية التى عرفت بالاندلس أنظر، «النخيلى: السفن الاسلامية، ص ١١٥».

(٢) العذرى : نفس المصدر، ص ٨٢.

(٣) ابن الاثير «ابو الحسن على بن أحمد بن ابى الكروم» الكامل فى التاريخ جـ٨ القاهرة ١٣٥٣ هـ ص ١٨٥ ، ميخائيل امارى المكتبة العربية الصقلية مكتبة المثنى ببغداد، ليبسك ١٨٥٧، ص ٢٦٢.

Dozy , R: Historire des Musulmans d'Espagne. T, II. Leiden, 1932. pp. 160-165.

السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، جـ٢ ص٦١٢، ٦١٣.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٢، ص ٢٢٠

Lévi-Provençal : Historire. T. II. P. 108.

(٥) ابن عذارى : نفس المصدر، جـ٢، ص ٢٢١، راجع ايضا : سالم: المغرب الكبير جـ٢، ٦١٣.

وهكذا تأكدت للبحرية الأندلسية السيطرة على مياه البحر المتوسط مسجلة بذلك تفوقها على القوى البحرية للفاطميين. ،لم يقتصر نشاط الأسطول الأندلسي على التصدى للفاطميين من قاعدته المرية، فلقد قام بغزوات بحرية إلى بلاد الفرنجة، ففى المحرم ٣٢١هـ (٩٣٣م) عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى قائدة احمد بن عيسى بن احمد بن عبده باصلاح الاسطول بدار الصناعة بالمرية وتهذيبه والزيادة فيه وتجهيزه وذلك إستعداداً لغزو بلاد الفرنجة، واعد لهذا الغرض اسطولا يتألف من عشرة مراكب وخمسة شوانى مجهزة بالعدد والعدة، وابحر إلى بلاد الفرنجة، إلا أن هذا الأسطول لم يلبث ان اصابه عطب بسبب سوء الأحوال الجوية فلم يتم الغزو، ويعبر ابن حيان عن ذلك بقوله: «... فاصابه من فيض غشت (اغسطس) مخرجه من جزيرة ميورقه هول ارتج به الجو فعطب من مراكبة شنى واحد وقارب وانخرم سائر المركب.. فلم يتم لها غزو[1]». وفى عام ٣٢٣هـ (٩٣٤م)، غزا اسطول الاندلس بلاد الفرنجة بقيادة عبد الملك بن سعيد بن ابى حمامه، وكان يتكون من اربعين مركباً وعشرين حراقة مجهزة بالنفط والآلات البحرية، وعشرين مركباً مشحونة بالمقاتلة، وبلغ عدد الجند المقاتلة الف مقاتل ومن البحريين الفين، ثم غادر الاسطول ميناء المرية فى رجب من هذه السنة، ماراً بجزيرة ميورقة إلى أن وصل «بالش»[2] من بلاد الفرنجة وفيها دارت معركة عظيمة بين

---

(١) ابن حيان «ابو مروان» : المقتبس (قطعة من عهد عبد الرحمن الناصر، مخطوط ميكروفيلم رقم ٢٠٨، موجود بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، القاهرة عن مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط، قم ٨٧، ورقة ١٢٨.

(٢) بالش: وردت هكذا فى المقتبس لابن حيان، وقد اطلق هذا الاسم على اكثر من موضع بالاندلس، مع تغيير فى رسم الكلمة فى كل مرة، فرسمها ابن الاباربلس من عمل لورقة «التكملة لكتاب الصلة، الجزء الأول ، ص ٣٢١»، اما الادريسى فاورد حصن بالش من اقليم بجانه (صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس) ص ١٧٥، ص ١٩٤) وورد فى ابن الخطيب بليش فى غرب مالقة، وقد اطلق عليها بليش مالقة Malaga Vélez لجوارها من مدينة مالقة ، اما بلس لورقة وتسمى حاليا Vélez Rubio o vélez Blanco «مشاهدات لسان الدين بن الخطيب وص٧٨، ص ٧٩ وراجع هامش ٦ من المصدر نفسه»، فى حين ان بالش التى يذكرها ابن حيان فموضع آخر لعله يقع جنوب برشلونه، استنادا الى ان الاسطول الاموى أبحر من ميورقة الى بالش من ارض الفرنجة - كما ورد فى المتن - وارجح أنها بلد ساحلية فى اقليم قطالونية.

العرب والفرنجة، انتهت بانهزام الفرنجة، وتقدم الاسطول الأموى بعدذلك إلى ميناء اينش [١] – وهو مرفأ ودار صناعة – فهدمه المسلمون واحرقوا المراكب الراسية به والأرباض الممتدة حوله، وبلغ عدد قتلى الفرنج فى هذه المعركة ما يزيد على اربعمائة قتيل، ثم واصل الاسطول بعد ذلك سيره الى برشلونه وهناك اعترضه على مقربه منها القائد الفرنجى بليط فى جيش كبير التحم مع العرب، وكان النصر فى النهاية حليفاً للمسلمين وقتل بليط واغلب جنده، ثم قفل الاسطول الأموى راجعاً بعد غزواته الناجحة إلى مدينة طرطوشة سالماً غانماً [٢].

ويفهم من كلام العذرى، انه فى عام ٣٢٨ هـ (٩٣٩م) خرج محمد ابن رماحس قائد اسطول المرية زمن الناصر ، فى حربيين برجالهما من اهل مرية بجانه إلى طرطشة ، وركب من هنالك فى عشرة مراكب حربية واربعة شوانى وفتاش بالاضافة الى حربيتى المرية، وابحر إلى انبوريش [٣] فبلغ رأس الصليب [٤] على طرف جون انبوريش، وبعد ان انهى مهمته عاد الى طرطوشة ماراً ببرشلونة [٥].

وفى عام ٣٣١هـ (٩٤٢م) غزا محمد بن رماحس قائد اسطول المرية فى عصر الناصر إلى افرنجة مع غالب بن عبد الرحمن وسهل بن اسيد فى ثلاثين مركب حربية وستة شوانى فخرج من مرية بجانه فى ١٣ من شوال من العام نفسه ولكن سفنه تعرضت لعاصفة عاتية فرفتها، تلرم بمرسى القبطة، أما القائدان غالب وسهل فقد لجئا إلى سهل منبسط، فغنما به ثم عادا إلى المرية [٦].

---

(١) لم نجد فيما بين ايدينا من مصادر جغرافية أو تاريخية ما يدل على موقع هذه المدينة.

(٢) ابن حيان : المقتبس «قطعة من عهد عبد الرحمن الناصر، مخطوط، ورقات ١١٣، ١٤٤، ١٤٥».

(٣) انبوريش ولعل المقصود بها امبورياس Ampurais الواقعة شمال برشلونه على الساحل الشمالى الشرقى لاسبانيا.

(٤) كذا بالاصل ولم اعرف ما يقابلها فيما بين ايدينا من مصادر جغرافية او تاريخية.

(٥) العذرى : ترصيع الاخبار، ص ٨١، حربية والجمع «حربيات» وحرابى، عرف بها المقريزى اذ يقول: «فالحربية هى التى تنشأ لغزو المقاتلة، (المقرزى تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر ابن محمد، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، جـ٢، طبعة بولاق، القاهرة، ١٢٧هـ، ص ١٨٩ ، وانظر ايضا النخيلى السفن الاسلامية، ص ٣٧.

(٦) العذرى: المصدر السابق، ص ٨١.

ونستدل مما سبق ان ذكرناه ان المرية حظيت فى عصر الخلافة بشهرة عالية باعتبارها القاعدة الرئيسية لاساطيل الأندلس، وكان خليجها العميق يضم معظم وحدات الاسطول الاموى فى الاندلس[١]، الذى كان يتألف من مائتى سفينة، وكانت دار الصناعة بالمرية تتابع انتاجها الوفير للسفن الحربية والمعدات الحربية، وفى ذلك يقول ابن غالب الاندلسى «وبالمرية دار الصنعة وسورها على ضفة البحر، وقد استقرت فيها العدة والآلات للسفن وما يقوم به الاسطول»[٢].

وكانت المرية حتى أوائل القرن الرابع الهجرى لاتعدو رباطاً للجهاد ينتجعه المجاهدون ويرابطون فيه [٣]، ثم ظهرت اهمية ميناء المرية كقاعدة بحرية للاسطول الاندلسى منذ عام ٣٢٨هـ (٩٣٩م) عندما عين الخليفة الناصر أول وال من قبله على بجانه، فاتخذهذا الوالى من ميناء المرية منطلقاً لعملياته البحرية[٤]. واكدت هذه العمليات البحرية حقيقة هامة وهى ان قاعدة الاسطول الحقيقية هى المرية وليست بجانة ، التى تقع فى الداخل،ومما لاشك فيه ان عمليات الاسطول تتطلب سرعة فى الحركة والتزود بالمعدات والمؤن وهو أمر يتمثل فى المرية يضاف إلى كل ذلك ما تتميز به المرية من خليج شديد الاتساع والعمق، يتسع لعدد كبير من السفن، كما يتميز هذا الخليج بهدوء مياهه وقلة امواجه[٥]، وإلى جانب هذا تتميز المرية بحصانة الموقع ومناعة الدفاع فحولها تتوزع حصون وقلاع تزيد من قدراتها الدفاعية مثل حصن برجه وحصن شنش، والحصانة والمنعة من الشروط التى يجب توافرها فى المدن الساحلية، وفى ذلك يقول ابن خلدون: «ومما يراعى فى البلاد الساحلية التى على البحر ان تكون فى جبل او ان تكون بين امة من الامم موفورة العدد تكون صريخاً للمدينة متى طرقها طارق من العدو والسبب فى ذلك ان المدينة إذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل اهل العصبيات

---

(١) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المرية، ص ٣٧.

(٢) ابن غالب «الحافظ محمد بن ايوب»: قطعة من فرحة الانفس فى تاريخ الاندلس، تحقيق لطفى عبد البديع، «مجلة معهد المخطوطات العربية – جامعة الدول العربية» المجلد الأول، الجزء الثانى، نوفمبر ١٩٥٥م، ص ٢٨٣.

(٣) الحميرى : الروض المعطار، ص ١٨٣.

(٤) العذرى : ترصيع الاخبار، ص ٨١.

(٥) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، ص ٤٢.

ولاموضعها متوعر من الجبل كانت فى غرة للبيات وسهل طروقها فى الاساطيل البحرية على عدوها[1]. كذلك يشترط ابن خلدون فى المدن الساحلية والموانى ان تكون قريبة من نهر أو يكون بازائها عيون عذبة، «فان وجود الماء قريباً من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهى ضرورية فيكون لهم فى وجوده مرفقه عظيمة عامة»[2].

لذلك كله اهتم الخليفة الناصر بمرية بجانة وأمر فى عام ٣٤٤هـ (٩٥٥م) بتمصير مدينة المرية وبنيانها وأدار حولها سوراً[3] يحميه الحراس والسمار[4] واصبح كل وال تسند إليه ولايتها وولاية بجانه إلحاقاً[5].

وأخذت المرية من ذلك التاريخ تنمو ويتسع عمرانها على حساب جارتها بجانه فانقلب الوضع وصارت المرية أشهر المراسى وقاعدة القيادة العليا للاسطول[6] منها يخرج لغزو الافرنج[7]. بينما خربت بجانة وتحولت إلى قرية صغيرة[8]. وفى عام ٤٠٢هـ (١٠١١م) انتقل اهل بجانه إلى المرية فكان ذلك إيذاناً بنهايتها[9].

وحرص الحكم المستنصر منذ توليه الخلافة على تدعيم قاعدة المرية، ففى عام ٣٥٣هـ (٩٦٤م)، النتقل إليها بنفسه لتوقعه غزوا فاطمياً محتملاً، ولمعاينة ما استكمله بها من أعمال التحصينات ومطالعة حال رابطة القبطة والوقوف على خال الرعايا بتلك الجهة[10]. إذ كانت قاعدة المرية تضم معظم قطع الاسطول الخلافى

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ٣٤٩.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٤٨.

(٣) الحمير: الروض المعطار، ص ١٨٣.

(٤) ابن فضل الله العمرى : جزء من كتاب مسالك الابصار فى مسالك الابصار، بعنوان وصف افريقية والمغرب والاندلس، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب، ص ٤٥.

(٥) ذكر العذرى فى ترصيع الاخبار، ٨٢، عددا ممن تولوا امارة البحر وولاية المرية وبجانة ٤٠٠هـ، وانظر ايضا ، العبادى: دراسات ص ٢٩٠.

(٦) ابن حيان : المقتبس ، نشر عبد الرحمن الحجى، ص ٢٨ ، وانظر ايضا العبادى المرجع السابق، ص٤٥.

(٧) العمرى : المصدر السابق، ص ٤٥.

(٨) ابن حيان : المقتبس، نشر عبد الرحمن الحجى، ص ٢٨.

(٩) العذرى : ترصيع الاخبار، ص ٨٢.

(١٠) ابن حيان : المقتبس ، نشر عبد الرحمن الحجى، ص٨١.

لقربها من سواحل افريقية، فى حين كانت اشبيليه مقراً للاسطول المرابط على سواحل المحيط لمواجهة خطر الغزو النورماندى[1].

ولقد تعرضت الاندلس على عهد الحكم المستنصر لثلاثة غارات نوماندية من جهة الغرب وفى مياه المحيط الاطلسى. ففى أول رجب ٣٥٥هـ (٩٦٥م) كانت غارة النورمانديين التى هاجموا فيها قصر أبى دانس فى ثمانية وعشرين مركباً، مما اوقع الاضطراب فى اهل ذلك الساحل الغربى للاندلس، خاصة بعد وصول النورمان إلى بسيط اشبونه، التى دارت بها معركة حامية بين النورمان والمسلمين اسفرت عن مقتل عدد كبير من الجانبين، وهزيمة النورمان هزيمة ساحقة، ثم تمكن اسطول اشبيليه من اللحاق بالاسطول النورماندى عند مصب وادى شلب، وتحطيم معظمه واسترداد ما كان فيه من اسرى المسلمين[2]. ولم يستطع النورمانديون ان يعاودوا غاراتهم التالية على الاندلس إلا بعد ذلك بخمس سنوات.

اما الغارتان النورمانديتان اللتان اعقبتا تلك الغزوة، فقد تمتا فى سنتى ٣٦٠هـ، ٣٦١هـ (٩٧٠م، ٩٧١م)، ويغلب على الظن ان النورمان لم يتمكنوا خلالها من النزول بالسواحل الاندلسية بفضل شدة بأس الاسطول الاندلسى ويقظته بحيث امكنه فى سهولة ويسر من التصدى لسفنهم وابادة معظمها.

ولاشك أن هذه الغارات النورماندية دفعت الحكم المستنصر إلى زيادة عدد قطع الاسطول الاندلسى، فارتفع عدده من ثلاثمائه[3] إلى ستمائه جفن ما بين غزوى وغيره[4].

وفى عهد هشام المؤيد الذى خلف اباه المستنصر على دست الخلافة بقرطبة فى سنة ٣٦٦هـ (٩٧٦م)، واصل حاجبه محمد بن عبد الله بن ابى عامر

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، حـ٢، ص ٢٣٦.

(٢) نفس المصدر والجزء، ص ٢٣٩.

(٣) ابن الخطيب (لسان الدين): اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام «الجزء الخاص بالاندلس» تحقيق ليفى بروفنسال، الطبعة الثانية بيروت، دار المكشوف، ١٩٥٦، ص٤٢.

(٤) مؤلف مجهول : اخبار مجموعة، ص ١١٢، والجفنة أشبه شئ بالقصعة وبذلك تتمدد ابعادها، اذهى سفينة دائرية من سفن الغزو والحرب، والجفن الغزوى كثيرا ما يستعمل فى الاندلس، «النخيلى . السفن الاسلامية، ص ٣٣ ومايليها».

الملقب بالمنصور[1] الاهتمام بالاسطول الاندلسى، واستعان بهذا الأسطول فى نقل قواته ومعداته الى العدوة المغربية للاحتفال بسلطان الامويين هناك. كما استخدم بعض وحدات الاسطول فى حملاته على ساحل قطلونية عام ٣٧٤هـ (٩٨٥م)، وفى نقل المشاه من جنوده فى المحيط الاطلسى فى حملته على جليقيه أو غاليسية Galicia غربا ٣٨٧هـ (٩٩٧م) وهى الحملة التى دمرت مدينة شنت ياقب Santiago de Compostella القاعدة الدينية لاسبانيا المسيحية [2] . وفى سنة ٣٨٧هـ (٩٩٧م) أنشأ المنصور اسطولا كبيراً فى الموضع المعروف بقصر ابى دانس من ساحل غرب الاندلس وجهزه برجاله البحريين وصفوف المترجلين، وحمل الاقوات والاطعمة والعدة والاسلحة [3]. كما وصف احد الشعراء المعاصرين الاسطول الذى انشأه المنصور بن ابى عامر[4]، ويعلق المقرى على هذا الوصف بقوله: «وقد اطنب الناس فى وصف السفن واطابوا ، وقرطسوا القريض واصابوا»[5].

وعندما اخذت الخلافة الاموية فى الاندلس تتدهور بعد سقوط الدولة العامرية وما تبع ذلك من احداث انتهت بسقوط الخلافة الاموية ٤٢٢هـ (١٠٣٠م)، اختفت البحرية الاموية تماما فى الاندلس بعد ذلك فى فترة سياسية مضطربه ادت الى انهيار وزوال وحدتها السياسية والحربية معاً[6] وتوزع رؤساء الطوائف المنتزين فى

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، حـ٢ ، اص ٣٥٦.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، حـ٣، ص ٣٩٥ وما يليها ، وراجع ايضا احمد مختار العبادى، دراسات ص ٢٨٨ ومايليها.

(٣) ابن الخطيب: اعمال الاعلام «القسم الخاص بالاندلس»، ص ٦٧.

(٤) يصف ابن دراج القسطلى الاسطول الذى أنشأه ابن ابى عامر فيقول:

تحمل منه البحر بحرا من القنا ... يروع بها امواجــه ويهــــول

بكل مما لات الشراع كأنهــا ... وقد حملت اسد الحقائق غيل

اذا سابقه شأو الرياح تخيلـت ... خيولا مدى فرسانهن خيـــول

(القسطلى «أبو عامر أحمد بن محمد بن دراج» ديوان ابن دراج القسطلى تحقيق محمود على مكى، الطبعة الأولى، منشورات المكتب الاسلامى بدمشق، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ص ٥، وقد أورد المقرى هذه الابيات، المقرى: «نفح الطيب، حـ٥، ص ٢٢٧».

(٥) المقرى : نفس المصدر، حـ٥ ، ص ٢٢٧.

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب، جـ٣، ص٤٣ وما يليها، ابن الخطيب . أعمال الأعلام «القسم الخاص بالأندلس»، ص ٨٩ ومايليها.

مختلف ثغور الاندلس الأسطول الأموى فيما بينهم[1]، ولكن المرية ظلت تحتل المركز الأول بين القواعد البحرية فى الاندلس زمن ملوك الطوائف، فحينما استقل بحكم المرية معن بن صمادح التجيبى الملقب بالمعتصم ٤٣٣هـ (١٠٤١م)، كان كل غايته العناية باسطوله، ويروى ابن خاقان فى القلائد: «ان المعتصم اشتغل بترميم اساطيله[2]، كما انه – اى المعتصم – «لم يزد على مراعاة امر جوارية وفلكه»[3]. ولهذا كان اسطول المعتصم موضع حديث الشعراء الذى عاينوه، وقد وصف الشاعر ابن الحداد اسطول المعتصم بن صمادح وتضمن شعره اشارات إلى آلات النفط التى كان يتزود بها[4] غير ان هذا الأسطول لم يلبث ان احرقت معظم قطعة على يدى معز الدولة بن المعتصم، الذى ايقن بتغلب المرابطين على ملكه، فقد امر معز الدولة رجاله بنقب السور خارج باب موسى الى دار الصنعة، وركب بمن اختص به فى قطعة، وحمل المال والمتاع فى ثنتيين، احرق باقى الاجفان خشية الاتباع فأمن عاديتها[5]

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية، ص ٤٨، وانظر أيضا:

Henri Pérés: La poesie andalouse en arabe classique au XIe siécle. Paris. 1937. P.24.

(٢) ابن خاقان «الفتح»: قلائد العقيان، طبعة مصر، ١٣٢٠هـ، ص٤٨.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) يقول ابن الحداد :

هام صرف الردى بهام الاعادى — ان سمت نحوهم لها اجياد
وتراءت بشرعها العيون — دأبها مثل خائفيها سهاد
ذات هدب من المجاديف حاك — هدب باك لدمعة امعاد
حمم فوقها من البيض نار — كل من ارسلت عليه رماد
ومن الحظ فى يدى كل در — الف حظها على البحر صاد

«فى المقرى : نفح الطيب، حـ٥، ص ١٩٨».

(٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام «القسم الخاص بالأندلس»، ص ١٩٢.

واوى إلى دولة بنى حماد وملكها إذ ذاك المنصور بن الناصر، فقربه واحسن اليه»[1] واقطعه تدلس بالجزائر[2].

(١) ابن الكردبوس «ابومروان عبد الملك»: كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء، القسم الخاص بالأندلس، معهد الدراسات الأسلامية بمدريد، ١٩٧١، ص ١٠٥، وقد خلف المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد والده الناصر عام ٤٨١هـ، وكان المنصور مولعا بالبناء والتشييد فأسس جامع بجاية، وجدد قصورها وشيد العديد من القصور منها قصر المنار وقصر الكواكب وقصر السلام، «راجع السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، حـ٢ ص٦٨٤.

(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام «القسم الخاص بالمغرب» ، ص ٩٧، وراجع أيضا : السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٦٨٤، و«تدلس» بفتح التاء والدال المهملة وتشديد اللام مدينة بالجزائر على ساحل البحر المتوسط، «ابن الخطيب: المصدر السابق، ص ٩٧، هـ١».

الفصل الثانى

المريه فى عهد خيران وزهير العامريين

الفصل الثانى

المرية فى عهد خيران وزهير العامريين

أولا: النظام الادارى فى المرية منذ انشائها حتى قيام دويلات الطوائف

حظيت المرية منذ ان اسسها عبد الرحمن الناصر فى سنة ٣٤٤هـ (٩٥٥م) باهتمام خاص منه ومن خلفائه لعظم اهميتها وخطورة مكانتها كقاعدة رئيسية لاسطول الاندلس. وقد نمت المرية فى عصر الخلافة واصبحت قاعدة كورة[١] تابعة لقرطبه. وبينما نجد فى الاندلس كورة تنسب إلى حواضرها مثل كورة أشبيلية[٢]، وجيان ومالقه وريه، نجد بعض الكور لا تنسب إلى حواضرها أو قصباتها مثل كورة البيرة وقصبتها مدينة قسطله[٣].

ويعرف ياقوت الاقاليم، ويعتبره خاصا بأهل الاندلس فيعبر عن ذلك بقوله: «والاصطلاح الثانى لاهل الاندلس خاصة فأنهم يسمون كل قرية كبيرة جامعة اقليما، وربما لا يعرف هذا الاصطلاح إلا خواصهم وهذا قريب عما قدمنا حكايته عن حمزة الأصفهانى فاذا قال الاندلسى انا من اقليم كذا فانما يعنى بلدة أو رستاقابعينه»[٤].

وللعذرى نص – غير كامل يشير إلى أن الكور كانت تنقسم إلى اقاليم يتبع كل اقليم عدد من القرى[٥].

---

(١) الحميرى: الروض المعطار، ص١٨٣ – ١٨٤، قسمت الأندلس اداريا إلى كور «جمع كورة» على نحو ما كان متبعا فى مصر والشام فى صدر الاسلام، وكورة لفظة يونانية الأصل من (Curia) وكانت تقابل كلمة Pagarchie فى النظام البيزنطى، راجع: Levi - Provecal : His-toire. T.III p. 48 ويعرف ياقوت الكورة بانها: «كل صقع يشتمل على عدة قرى ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع أسمها ذلك اسم الكورة»، (معجم البلدان، ج١، ص٣٦)، وظهر اصطلاح كورة فى الأندلس لأول مرة فى عهد الوالى أبى الخطار بن ضرار الكلبى وذلك عندما أراد أن يجد حلا للجند الشاميين الذين دخلو الأندلس سنة ١٢٣هـ مع بلج ابن بشر القشيرى، «راجع ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٢ ص٣٠، ٣١».

(٢) الحميرى: نفس المصدر، ص٢٠، ابن غالب: فرحة الأنفس، ص٢٩٢ وما بعدها.

(٣) ابن غالب : نفس المصدر، ص٢٨٣.

(٤) ياقوت: معجم البلدان، جـ١ ص٢٥، الحميرى: الروض المعطار، الترجمة الفرنسية ص٢٥٧.

(٥) العذرى: ترصيع الأخبار، ص١٠، ص٢٠، ص٢٢، ص٩٠.

ونخلص مما سبق ان المريه كانت قاعدة كورة وانها كانت تنقسم بدورها إلى أقاليم، يتضمن كل منها عدداً من القرى. وكان يطلق على كل ما يدخل فى نطاق الكورة أو الاقليم اسم عمل (وجمعه اعمال)[1]، أو حوز [2] (وجمعها أحواز) او نظر[3] أو ولاية[4].

وأياما كان الأمر، فالمعروف ان كور الاندلس كانت تسند إلى عمال[5]، يعينهم الخليفة بنفسه[6]، يقومون عنه فى جميع المناسبات بادارة كل ما يتعلق بالكورة أو المدينة من شئون عسكرية ومالية وغيرها، فى حين كان يتولى إدارة المدن الواقعة فى مناطق الثغور قواد عسكريون[7].

وكان ولاة الكور وقواد المدن يقيمون فى مركز الكورة أو المدينة ويعرف بالقاعدة[8]، أو الحاضرة[9]، أو القصبه[10]، كانت تتمثل فيها نماذج مصغرة من مختلف مكاتب الادارة الموجودة فى العاصمة قرطبه، فكان يوجد قسم خاص لمكاتبات العمال والقادة الرسمية لإبلاغ الخليفة بكل ما يتعلق بشئون مدنهم وكورهم[11].

---

(١) ياقوت: المصدر السابق، جـ١ ص٢٠٩، جـ٢، ص٢٧٦، الحميرى المصدر السابق، ص٥٩ ومابعدها.

(٢) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص٢٨٢ وما بعدها، الحميرى: المصدر السابق، ص١٨٨.

(٣) الحميرى: المصدر السابق، ص١٠٤.

(٤) ياقوت: المصدر السابق، ج٦، ص٤٣، الحميرى: نفس المصدر، ص١٦٢.

(٥) ابن حيان: المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجى، ص١٧٠، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٢، ص١٠١، ص١٦٤، ص٢٠٢.

(٦) ابن حيان: نفس المصدر، ص١٧٥ وما بعدها، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢، ص١٩٠، ص٢٨٣، الحميرى المصدر السابق، ص٢٠، ص١٤٩، ص١٥٠.

(٧) ابن حيان: المقتبس، نفس المصدر، ص٢١١، ابن عذارى: البيان المغرب. جـ٢، ص٢١٠، ص٢٨٧.

(٨) الحميرى: الروض المعطار، ص١٢، ص٢٨، ص١٠٦، ١٨٨، ياقوت: معجم البلدان، جـ١، ص٢٥٤.

(٩) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص٢٩١، ص٢٩٤.

(١٠) ياقوت: المصدر السابق، جـ٧، ص٢٦، ص٣١٩.

(١١) ابن حيان: المصدر السابق، صفحات ٧٥، ٨٩، ٢٣٧، ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٢، ص١٧٦، ٢٣٧.

وكان من مهام عمال الكور الاشراف على إعداد الجند وحشدهم من القرى والنواحى عندما يتطلب الأمر القيام بغزو[1] ، والنظر فى جباية الأموال المفروضه على الأهالى وارسالها إلى قرطبه[2] بعد ان يستقطع الامين[3] ، وهو القائم بهذه الأعمال، منها رواتب الموظفين ونفقات الجند.

وكان تنصيب العمال وعزلهم يتم بأمر الخليفة شخصياً[4] ، وكانت مجرد شكوى واحدة من أهالى الكوره ضد الوالى تكفى لان يتهمه الخليفة باساءة استعمال السلطة[5] ، وكان ذلك الاتهام كفيلا بعزله وإنزال العقاب الذى يوقعه الخليفه عليه، فقد حدث ان عزل المنصور القائد عبد الرحمن بن مطرف عن سرقسطه بسبب شكوى أهل الثغور منه، فصدر الامر بالقبض عليه ومحاسبته ثم قتله[6] .

وإذا بحثنا فى وضع المربه باعتبارها قاعدة لإحدى كور الاندلس فى بداية الفترة موضوع البحث، نجد ان رئاسة المرية وبجانه منذ عهد الخليفه عبد الرحمن الناصر قد اسندت إلى قائد البحر محمد بن رماحس[7] ، الذى كان مسئولا فى ذلك الوقت عن التجنيد فى مدينتى بجانه والبيره[8] . وكان ابن رماحس عندما يعهد إليه الخليفة بالغزو يستخلف على المريه وبجانه مكانه ابنه عبد الرحمن بن محمد ابن رماحس وقاسم بن عبد الرحمن بن مطرف[9] ، واستمر محمد بن رماحس

---

(١) ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٢ ، ص١٧٦ ، ابن الخطيب: اعمال الاعلام «القسم الخاص بالاندلس» ، ص٢٣ .

(٢) ابن الابار: الحلة السيراء، جـ١ ص٢٤١ ، ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٢ ، ص١٢٥ .

(٣) ابن الفرضى «ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدى»: تاريخ علماء الاندلس، نشر كوديره، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، مصر ١٩٦٦ ص٢١٧ «ترجمة ٨١٠».

(٤) ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٢ ص١٩٠ ، ص٢٨٣ .

(٥) نفس المصدر: جـ٢ ، ص٢٩٣ .

(٦) نفس المصدر: جـ٢ ، ص٢٨٣ .

(٧) العذرى: ترصيع الاخبار، ص٨١، وانظر أيضا، أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس، ص٢٨٩

(8)L evi - Provencal: Histoire, t. III, p. 109.

(٩) العذرى: المصدر السابق، ص٨١ ، ٨٢.

فى ولايته عليها إلى أن دس له المنصور بن ابى عامر سماً قضى عليه فى سنة ٣١٩ هـ (٩٨٠م)[١].

ويورد العذرى ثبتاً فريدا فى نوعه بعدد الولاة الذين اسندت إليهم ولاية المرية وبجانه بعد ابن رماحس حتى سنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩م) يقول فيه: «ثم ولى ابن مسلمة ثم ولى القاسم بن عبد الرحمن سنة ستة وثمانين وثلثمائة، ثم ولى ابن حدير، ثم ولى ابن فرجون المعروف بالربولوا[٢]. وكان صاحب الشرطة القائد على

(1) Levi - Provençal, op. cit., p. 109.
أحمد مختار العبادى المرجع السابق، ص٢٨٩.

(٢) والربولوا: بضم كل من الراء المهملة والباء الموحدة من اسفل ثم واو ولام بعدها واو والف، كذا تشكيل الكلمة فى العذرى، ترصيع الاخبار، ص٨٢، وأقرب التفسيرات لهذه اللفظه انها مشتقه عن الاسبانية Royo, Rojo, Rubio, Robbio أى الأحمر وابن الروبو أو الروبول أى ابن الأحمر، (Simonet Francisco : Glosario de voces iber. icas Y Latines Usadas entre los mozarabes, Madrid, 1888, p. 498): أو من Robo بمعنى سرقة أو من روبربو المشتقة منRiobarbo ربما تعنى نهر الفالوجا او الدانوب حيث تنبت بعض الأعشاب البرية باسم Barbar (Simonet: OP. cit., p. 486 أو من Rodavallo ، وتعنى نوعا من السمك ويعطى اللفظ معنى الشئ الذى يدور مثل العجلة، (Simonet: Op. cit., P. 492) أو منRebollo وهو نوع من الاشجار العالية، أو Repollo بمعنى الكرنب (راجع القواميس الاسبانية)، أو عن Rebelion بمعنى ثورة أو عصيان، ومن بين هذه التفسيرات نميز ثلاث:

أولهما، أن يكون المقصود بربولوا الاحمر أو الاشقر، والثانى، أن تكون الكلمة مشتقة من Robo بمعنى سلب أو نهب اذ أن طبيعة عمل ابن فرجون تعبر عن هذا المعنى، ومع هذا فقد يكون المراد من كلمة روبولوا القرصان فاطلق من ثم عليه هذا اللقب، ومما يقرب ترجيحنا لذلك احتمال أن يكون أصله من جماعات البحريين الذين استوطنوا بجانه وواصلوا الاغارة على سواحل فرنسا الجنوبية وشمال وجنوبى ايطاليا خلال القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى)، ومن ثم اطلق عليهم المستشرقون لقب القراصنه، اما التفسير الاخير وهو ارجاع الاشتقاق الى لفظة Riobarbo، نسبة الى نهر الفولجا أو الدانوب حيث تنبت بعض الاعشاب البرية باسمBarbar، وفى هذه الحالة يحتمل أن يكون من الصقالية واطلق عليه هذا اللقب، ومع ذلك فنحن نميل الى ترجيح التفسير الاول وفى هذه الحالة يصبح المعنى ابن الاحمر أو الاشقر. وانتهز هذه الفرصة لأوجه جليل شكرى الى استاذى الدكتور أحمد مختار العبادى على تفضله بتنبيهى الى وجود معجم سيمونت الذى استعنت به فى تحقيق هذه اللفظة.

بجانه والمريه فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة محمد بن عبد الله بن حمدين ثم ولى ابن صاعد، ثم ولى عبد الرحمن بن رويش بجانه والمريه واعمالها سنة اربعمائه ووليهما معه افلح العبد وشاركه فى الولاية، ووقع بينهما خلاف إلى ان تقاتلا، وافلح هذا فى قصبة المرية وعبد الرحمن فى مدينتها، ثم خرج عبد الرحمن هذا من المريه هارباً واستجلب البربر ونزل فى جامع بجانه، ودخل عليه فى مقصورتها وفى جامعها وقتل هنالك، واستجلب رأسه وجثته إلى المريه»[1].

ثانيا: انتزاء خيران العامرى بالمريه

وهكذا تولى أمر المريه منذ انشائها ولاة من الحكومة المركزية بقرطبه إلى ان سقطت الدولة العامرية بمصرع شنجول[2] بن المنصور بن ابى عامر، وعلى اثر ذلك[3] وما ترتب عليه من انهيار الخلافة الاموية وتفكك الوحدة السياسية فى الاندلس اشتعلت نار الفتنة البربرية، فقد عمل البربر على التدخل فى تعيين الخلفاء وعزلهم والتعصب لخليفة ضد آخر، فادى ذلك إلى نشوب الفتن وانتشار الفوضى وترتب على ذلك احتدام الصراع بين الحموديين والمروانيين للظفر بالخلافة مما شجع بعض رؤساء الاندلس وقادتها على اعلان انفصالهم عن السلطة المركزية التى فقدت هيبتها وتراخت قبضتها على الاقاليم منذ بداية الفتنة.

فانتزى الرؤساء والقواد والولاة على اختلاف اجناسهم فى سائر انحاء الاندلس واقتسموا خططها، واستبد كل منهم بما تغلب عليه من النواحى، وانتحل لنفسه

---

(١) العذرى: ترصيع الاخبار: ص٨٢، والجدير بالذكر أن هذا النص لم يرد فى أى من المصادر المعاصرة أو المتأخرة زمنيا عن الفترة موضوع البحث مما يدل على أهميته خاصة وأن العذرى من ثقاة مؤرخى الأندلس.

(٢) شنجول أى (Sanchuelo) وهو تصغير شانجو من أسماء خؤولته حكام نافارا، وكان أبوه المنصور بن ابى عامر قد تزوج ابنه شانجه بن غرسيه بن فرذلند ملك نافارا، والتى اعتنقت الاسلام وتسمت باسم عبده، فيذكر ابن الخطيب: «انها كانت من خيرات نسائه دينا متينا وحسبا أصيلا» وانجب منها المنصور عبد الرحمن الذى اطلقت أمه عليه شنجول ذكرى لأبيها، «ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣، ص٢٨، ابن الخطيب: أعمال الاعلام (القسم الخاص بالاندلس) ص٦٦، ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك التوزرى): تاريخ الاندلس، تحقيق أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الاسلامية بمدريد، مدريد ١٩٧١، ص٦٦، هـ٥».

(٣) ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٢ ص٧٧، ابن الخطيب: المصدر السابق ص١١٢.

لقبا ملوكيا، ويعبر ابن بسام عن ذلك بقوله: «فأضحت اقطار الجزيرة يؤمئذ كبني الاعيان واهلها كما قال اخو بني عدوان»[1]. فامتلك البربر جنوبي الاندلس بأكمله، بينما اختص الصقالبه العامريون بشرق الاندلس، اما البلديون من أهل الاندلس سواء أكانوا عربا أم بربرا أم من أصول اسبانية تعربت بمرور الوقت فقد اسسوا أربع دويلات هي: مملكه سرقسطه، : ومملكة طليطله، ومملكه بطليوس، ومملكه أشبيلية[2]، وفي خضم هذا الصراع انتزى خيران العامري بالمريه. وكان خيران فتى صقلبيا من بين جماعة الفتيان العامرية[3] الذين زخرت بهم قرطبه بعد استيلاء سليمان المستعين عليها. والصقالبه اسم أطلقه العرب على الرقيق المجلوبين

---

(١) عذير الحي من عدوان كـــانوا حيـة الارض
بغـي بعض على بعض فلم يرعوا على بعض

«راجع ابن بسام (ابو الحسن على): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الثاني، المجلد الاول، تحقيق لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥، ص٤، اخو بني عدوان: هو ذى الاصبغ العدواني وأسمه حرثان بن عمرو بن عدوان بن عمرو بن عيلان وكان جاهليا، وعزيز الحي من قولهم اعذر من نفسه اذا أمكن منها بأن يكثر عيبه وفساده، ومنه الحديث لمن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم، وفي بعض النسخ عذيرى، (حاشية نفس المصدر رقمي ٣،٢).

(٢) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص٥٨.

(٣) الصقالبة، جمع صقلبي، بالاسبانية Esclavos وبالانجليزية Slave (راجع شروح عبد الرحمن الحجي على هذا اللفظ في ابن حيان : المقتبس، ص٤٨، هـ١) وبالفرنسية Es-clave ومعناها عبد أورقيق، وهي التسمية التي أطلقها الجغرافيون العرب في العصور الوسطى على الشعوب السلافية التي كانت تسكن البلاد الممتدة من بحر قزوين شرقا الى البحر الادرياتي غربا وهي البلاد التي كان يطلق عليها في العصور الوسطى بلغاريا العظمى، راجع في هذا:
(متز: الحضارة الاسلامية، ص٢٦٨، أحمد مختار العبادي: الصقالبة في أسبانيا لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية، المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد، ١٩٥٣ ص٨، قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام، ص١٧)، وكانت هذه القبائل السلافية قد نزلت في أول الأمر شمال البحر الاسود ونهر الطونة ثم أخذت تنزح غربا وجنوبا نحو أواسط أوربا، وأضطروا بهذا السبب الى محاربة الشعوب التي اعترضت طريقهم كالسكسون والهون وغيرهم مما أدى الى تكاثر الأسرى بين الجانبين وكان من عادات تلك الشعوب بيع اسراهم بيع الرقيق (راجع جورجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، مراجعة وتعليق حسين مؤنس جـ٤، دار
=/=

لهم من السلاف ثم شاع هذا الاسم واصبح يطلق على جميع الارقاء المجلوبين من البلدان الاوربية، ويذكر الرحالة ابن حوقل الذى زار الاندلس فى القرن الرابع الهجرى (أواسط القرن العاشر الميلادى) ان الصقالبه كانوا من سبى افرنجه وانكبرده Lombardia فى شمال إيطاليا، وقلوريه Calabria فى جنوبها أو جليقيه فى شمال اسبانيا[١]، والظاهر ان هذا التفسير يعزى إلى الغارات التى كان يشنها طوائف البحريين من المغاربه والاندلسيين على الشواطئ الاوربية المطله على البحر المتوسط[٢] وكان هؤلاء الصقالبه المجلوبون للاندلس ينخرطون فى سلك الجنديه أو يتخذون لخدمه الحريم فى القصور بعد ان يمروا بدور الخصاء، ومن المعروف ان تجارة الرقيق كانت رائجه فى العصور الوسطى، وقد اختص بها التجار اليهود فى فرنسا، ويؤكد المستشرق الهولندى دوزى انه كانت لهم مراكز للخصاء اهمها فى فردان[٣]. وكان هناك مركز آخر للتجار اليهود - لإخصاء الصقالبه المجلوبين - خلف مدينة بجانه، فيذكر المقدسى «وأما الصقالبه فانهم يحملون إلى مدينة خلف بجانه أهلها يهود فيخصونهم»[٤].

ولم تقتصر عمليه الخصاء على اليهود وحدهم بل شارك المسلمون انفسهم فى هذه الحرفة، لا سيما فى مناطق الثغور المتصلة بفرنسا، ويعبر المقرى عن ذلك بقوله: «... وقد تعلم الخصاء قوم من المسلمين هناك فصاروا يخصون ويستحلون المثله»[٥]، ويذكر ابن حوقل أن «جميع من على وجه الأرض من الصقالبه

=/=

الهلال القاهرة، ١٩٥٨، ص٢٢٣)، إذ كانت الجيوش الجرمانية فى غزرها بلاد السلاف تكثر من سبى ذراريهم، ثم تقبل على بيعهم فى طريق عودتهم لعرب أسبانيا، راجع فى هذا:

(Levi - Provencal: L Espagne: Musulmane aux Xeme siecle, Paris, P. 54)

وكان طريقهم الرئيسى يبتدى من نثرق المانيا مارا بايطاليا ثم فرنسا ومنها الى الأندلس عن طريق نهر الرون وقطالونيا حتى ثغر بجانه على الساحل الجنوبى الشرقى لاسبانيا بجوار المريه، راجع (أحمد مختار العبادى: الصقالبة فى اسبانيا، ص٨)

(١) صورة الارض، ص١٠٥، ١٠٦.

(٢) ليفى بوفنسال، مادة (صقاليه) فى دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الفرنسية ص٧٩، ٨٠.

(3) Dozy (R): Histore des Musulmars D Espagne. T. III, Leyde, 1932, p. 154.

(٤) المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد) : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم تحقيق دى غوية De Goeye ، ليدن ١٠٦ ص ٢٤٢.

(٥) نفح الطيب، جـ١، ص ١٤٠.

الخصيان فمن جلب الأندلس[1]. وكان هؤلاء الصقالبه يباعون فى الاندلس احداثاً صغار السن، فيتعهدهم امراء الاندلس بالرعاية ويتولون تنشئتهم خاصة، فيعلمونهم اللغة العربية وفنون الفروسية وآداب المجتمع الاندلسى[2]، ويدربونهم على شئون القصر.

وإذا كان عبد الرحمن الداخل هو أول من استخدام الصقالبه كجند مرتزقة فى الاندلس، وأن كان قلما رغب فيهم، فأن حفيده الحكم الربضى يعتبر أول من استكثر منهم، إذا انه بالغ فى اصطناعهم واجتلب منهم اعداد كبيرة اعتمد عليهم فى كل أمر من أموره، ولقد بلغ عددهم فى عهده خمسة آلاف مملوك، وكانوا يسمون بالخرس لعجمة السنتهم كما عرفوا بالمماليك[3]، وبينما يطلق ابن حيان عليهم اسم «المجابيب الصقالبه»[4] فإن ابن عذارى يسميهم العلوج[5]. ويواصل الأمويون سياسية اجتلاب الصقالبه إلى الاندلس واستخدامهم فى الجيش، حتى لقد بلغ عددهم عند وفاة عبد الرحمن الناصر ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين صقليا، وبلغ عدد النساء بالقصر ستة آلاف وثلاثمائه[6] ويبدو ان عبد الرحمن الثالث كان يستهدف من الاستكثار منهم اضعاف قوة القبائل العربية[7] ويدل عدد الصقالبه

---

(١) كتاب صورة الأرض، ص ١٠٦.

(٢) لطفى عبد البديع : الاسلام فى اسبانيا، مكتبة النهضة العربية، ١٩٥٨، ص ٢٦.

(٣) المقرى : نفح الطيب، جـ١، ص ٣٢٠.

(٤) ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، القسم الثالث مخطوطه، ورته ٤.

(٥) البيان المغرب، جـ٣، ص١٦٢.

(٦) ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٢٣، وتتفق رواية ابن الخطيب مع ابن عذارى فى عدد الصقالبه ولكنها تختلف فى عدد النساء بالقصر، اذا يذكر ابن الخطيب أن «عدد النساء بالقصر ستة آلاف وسبعمائه وخمسين»، (ابن الخطيب أعمال الأعلام «القسم الخاص بالاندلس» ص٤٠، ٤١).

(٧) ليفى بروفنسال: مادة «صقالبة»، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الفرنسية ص٧١، ٨٠، اذ لم يتردد الخليفة الناصر فى أن يعهد الى نجده الصقلبى بقيادة الحملة الموجهة ضد راميرو الثانى Ramiro II ملك ليون وحلفائه أصحاب مملكة نافارا Navarra على الرغم مما أبدته حاشيته من استياء، وهى الحملة التى كانت نتيجتها هزيمة المسلمين فى موقعة سنت مانكس Simancas والخندق Alhadega عام ٣٢٧هـ (٩٣٩م) والتى يقال أن فشلها يرجع الى

=/=

ذكورا كانوا أم اناثاً على ظهور طبقة جديدة فى المجتمع الاندلسى، اخذت تنمو تدريجياً حتى اصبحت تمثل احدى القوى الرئيسية، التى لعبت دوراً هاماً فى التاريخ الاندلسى، فقد حازوا ثقة الخلفاء فتقلدوا المناصب الرفيعة فى الدولة كصاحب البرد وصاحب السكة وصاحب الطراز، واسندت إليهم مهام عليا بالقصر كما تولى بعضهم مناصب القيادة العسكرية[(١)] .

وفى عهد الخليفة المستنصر، تمتع الصقالبه بنفوذ واسع وأصبحوا يتحكمون فى كل مداخل القصر ومخارجه كما استأثروا بحراسة الخليفة، ولمع منهم اثنان استبدا بالسلطه داخل القصر احدهما فائق صاحب البرد والطراز، والآخر جؤذر صاحب الصاغه والبيازره[(٢)] ولقد لعب هذان الأخيران دوراً هاما فى عهد ابنه هشام ايضاً[(٣)] .

=/=

تغير نفوس العرب لتقديم الصقالبه عليهم، اذ أقسموا على أن يتركوا الصقالبه وحدهم عند بدء المعركة مما أدى الى الهزيمة وقتل نجده الصقلبى قائد الحملة، وفرار عبد الرحمن الناصر باقل من خمسين فارس بعد نجاته باعجوبة، «راجع مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، مكتبة المثنى ببغداد، طبعة مجريط ١٨٦٧، ص١٥٥، ابن الخطيب، اعمال الاعلام «القسم الخاص بالاندس»، ص٣٦، ٣٧، المقرى: نفح الطيب، جـ١، ص٢٣١، ٢٣٢، أحمد مختار العبادى: الصقالبه فى أسبانيا، ص١٢، ١٣، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس، ص٢٨٩).

(1) Bertrand (louis). The History of spain, Part, I, London 1934, d. 54.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٢، ص٢٥٩، ابن الخطيب: اعمال الاعالام القسم الخاص بالاندلس، ص٦٥.

(٣) يعبر ابن الخطيب عن ذلك بقوله «كان هؤلاء الفتيان الصقالبه يستأثرون بما خلف حجاب القصر، ينيفون على الآلاف وفيهم الا كابر الملقبون بالخلفاء تعظيما لهم وتنويها بعلو شأنهم، وكان عددهم حوالى العشرين فتى، يعيشون عيشة الملوك العظماء وعلى رأسهم فائق وجؤذر» (أعمال الاعلام، القسم الخاص بالاندلس ص٦٠).

وقد استكثر المنصور بن ابى عامر من العبيد والمماليك والعلوج ليقهر بهم من يطاوله ويؤكد ذلك ما أورده صاحب نفح الطيب بقوله: «وقدم رجال البرابرة وزناته، وأخر رجال العرب واسقطهم عن مراتبهم، فتم له ما أراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالأمر ... وجند البرابرة والمماليك واستكثر من العبيد والعلوج للاستيلاء على تلك الرتبه، وقهر من تطاول إليها من العلية[1].

ولم يكن الصقالبه الذين نسب معظمهم إلى المنصور بن أبى عامر أقل جشعاً فى السلطان من اجناد البربر، فقد استغلوا ضعف المؤيد وعزلته عن الحياة السياسية التى فرضها عليه العامرية واخذوا ينافسون البربر فى الظفر بالسلطان، فاشتركوا فى جميع المؤامرات التى كانت تحاك فى قرطبه وسائر بلاد الاندلس، وتبادلوا مع خصومهم النصر والهزيمة ولكنهم أبلوا فى حروبهم معهم كل ضروب البسالة والاقدام تحت لواء خيران العامرى رئيس طائفة الصقالبه فى قرطبه[2].

ولما توزعت الطوائف فيما بينها بلاد الاندلس استأثرت طائفه الصقالبه بشرق الاندلس فأنتزوا فيها وكونوا الممالك. فكانت بلنسية من نصيب مبارك والمظفر الصقلبيين وآلت طرطوشة إلى لبيب الصقلبى، ودانية إلى أبى الجيش مجاهد العامرى والمريه إلى خيران ثم زهير.

أولوية خيران

ويهمنا من كل ذلك خيران العامرى الذى ظفر بالمرية وكان خيران هذا من جلة فتيان المنصو بن ابى عامر، حظى فى عهد هشام المؤيد بمكانة رفيعة أهلته لرئاسة الصقالبة، والمشاركة فى جماعة الفحول النائبيين عن الدولة[3].

فلما نشبت الفتنة كان فى جملة المؤيدين لمحمد بن هشام المهدى حتى بدا لهم من أمره، فنقموا عليه صنعه بهشام المؤيد من اقدامه على اضطهاده وحبسه بالقصر ومافعله بابن ابى عامر الرحمن شنجول، وبجرئه بعد ذلك على أخذ البيعة

---

(١) المقرى: نفح الطيب، جـ١، ص٣٧٤.

(٢) أحمد مختار العبادى: الصقالبه فى أسبانيا، ص١٧.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الاعلام (القسم الخاص بالاندلس)، ص٢١٠.

لنفسه، كل ذلك حرك نقمتهم على المهدى فثاروا عليه ثم قتلوه، وكان من أبرز مدبرى هذه المؤامرة الحاجب واضح الفتى وزميلاه عنبر وخيران اللذان قدما من شاطبه بين لفيف من الصقالبه للمشاركة فى احداث قرطبه، فبعد، نجاح مؤامراتهم بقتل المهدى وطلقوا سراح الخليفة هشام المؤيد واعادوه إلى دست الخلافة وأسندوا حجابته إلى واضح الفتى، إلا ان البربر تمسكوا بزعيمهم سليمان بن حكم الملقب بالمستعين فواصلوا حصار قرطبه إلى ان تغلبوا عليها[١]، واقتحموها فكان خيران احد من تخطته المتالف ففر منها بينما اشبع البربر انتقامهم من اهل قرطبة فتعرضوا لسيوف البربر[٢].

وكان قد انضم إلى خيران جميع فتيان محمد بن ابى عامر فحولهم وخصيانهم[٣] فرحلوا عن قرطبة مؤثرين النجاة بارواحهم إلى شرق الاندلس[٤]، ورأى خيران ان يفيد منهم فينفذ بهم اهدافه، فقاومهم بادئ ذى بدء إلى أوريوله وكانت مثلا «فى الحصانه والمنعه»[٥]. وكان البربر يسيطرون عليها منذ بداية الفتنه فأخرجهم منها[٦] واستولى عليها واتخذوها نقطة انطلاق لتوسعه فى الشرق الأندلس ولم يلبث أن ضم إليه مرسيه حاضرة كورة تدمير إلى حوزته واخضعها لسلطانه فى

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣، ص٩٧، ٩٨، ابن الخطيب: أعمال الاعلام ص١١٥ وما بعدها، السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة الاندلس، الجزء الأول، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١، ص٨٥.

(٢) الضبى: بغية الملتمس، ص٢٢، ابن عذارى المصدر السابق، جـ٣، ص٨٩.

(٣) ابن عذارى المصدر السابق، جـ٣ ص١٦٦.

(٤) نفس المصدر، جـ٣، ص١١٥.

(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص٢١١، أو ريوله: مدينة قديمة، كانت أيام فتح المغرب تابعة لكورة تدمير، اسمها اللاتينىAurariola وتفسيرها الذهبية وهى على بعد ١٢ ميلا من مرسيه، وبينها وبين قرطاجنه ٤٥ ميلا، ولها قصبه منيعة، «راجع، الادريسى، المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس، ص١٩٣، الحميرى: الروض المعطار، ص٢٤، محمد الفاسى: الاعلام الجغرافية الاندلسية، «مجلة البينة»، السنة الاولى، العدد الثالث، ١٩٦٢، الرباط ص٢١).

(٦) العذرى: ترصيع الاخبار، ص١٦.

سنة ٤٠٣هـ (٢٣ يوليو ١٠١٢ - ١٢ يوليو ١٠١٣)[١]، واخرج البربر منها. وتوج خيران حركته تلك بالسيطرة على كل اقاليم كورة تدمير[٢] وظلت هذه الكورة خاضعة له حتى وفاته[٣].

السياسة الخارجية لخيران العامرى:

وما ان تغلب على هذه الكورة حتى اتجه إلى المريه معقل الاندلس، وكان أفلح الصقلبى آنذاك متغلباً عليها، ويصفه ابن الخطيب بانه «رجل جلف شديد العتو والجهالة، مفرط النخوة، لا يحسن التفرد والاسقلال بنفسه، قد ذهب به العجب كل مذهب، ورأى لنفسه الفضل على سائر جنسه بالشيخوخه وقديم الملكة»[٤]، فهاجمه خيران بجيشه في أول المحرم سنة ٤٠٥هـ (يوليو ١٠١٤م) وضيق عليه، وتمكن من التغلب على أفلح وولديه وقتلهم وألقى بجثثهم فى البحر ليلا، ثم دخل مدينة المريه واستولى على قصبتها، وانتهب كل ما وجدوه فيها من أموال وعدة، وأمن أهلها[٥].

ومن ذلك الحين أصبحت المرية حاضرة مملكته وقاعدة دولته فجلب إليها امواله وعدته[٦]، واستوزر جعفر احمد بن عباس بن ابى زكريا ليعينه فى تدبير شئون المملكة وكان ابو جعفر هذا من كبار كتاب الاندلس ذاعت شهرته فى الافاق وعظمت منزلته فى مراتب الادباء وذكروا عنه انه: «بز أهل زمانه فى اربعة،

(١) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص٢١١،

Lopez (Emilio Molina): La cora de Tudmir Segun AL'udri (s. xi):en (Cuaderno de Historia del Islam), Sevilla, 1972, p. 87.

(٢) العذرى: ترصيع الاخبار، ص١٦، وقد عدد العذرى، المصد السابق، ص١٠، اقاليم كورة تدمير فقال: «اقليم لورقة، اقليم مرسيه، اقليم العسكر، اقليم شنتجياله، اقليم إلش، اقليم إية السهل، اقليم جبل بقصره القلعه، اقليم طيبا ليه، اقليم ابن الجابع، اقليم بقصره اخرى، اقليم موره، اقليم بالش وفيه حصن قريلش، وفيها حصن رينه وفيه حصن ايليار، وقاعدة بالش بذللش، اقليم بيرة، وبذكر الحميرى ان تدمير تضم سبع مدن هى: «اوريوله، وبلقنه، ولقنت، ومولة، وبلانه، ولورقه، اله» الروض المعطار، ص٦٢.

(٣) العذرى: المصدر السابق، ص١٦.

(٤) أعمال الاعلام «القسم بالاندلس»، ص٢١١.

(٥) العذرى: ترصيع الاخبار، ص ٨٣.

(٦) ابن الخطيب: أعمال الاعلام «القسم الخاص بالاندلس»، ص٢١٢.

أشياء: الثروة، والكبر، والبخل، والانشاء»[1]، وقد لعب هذا الوزير دورا بالغ الخطورة في عهد زهير العامري خلف خيران كما سنرى بعد في موضعه[2].

وما ان استقر الأمر لخيران في المرية قاعدته الرئيسية، حتى غادرها بجيشه تلبية لدعوة على بن حمود – القائم بسببه – الذي ثار على الخليفة المستعين مدعيا انه حصل على وصية من الخليفة هشام المؤيد، تؤهله للخلافه من بعده ويعبر ابن عذارى في ذلك نقلا عن المظفرى بقوله ان عليا لما خرج «عن طاعة المستعين اخرج كتابا نسبه إلى هشام بن الحكم يقول فيه انقذنى من أسر البرابر والمستعين وانت ولى عهدى»[3] وفي رواية للمقرى ان المؤيد هشام كان «يشتغل بالملاحم، ووقف على ان دولة بنى اميه تنقرض بالاندلس على يد علوى أول اسمه عين، فلما دخل سليمان مع البربر قرطبة ومحوا كثيرا من محاسنها ومحاسن اهلها كان من اكبر امرائهم على حمود، وبلغ هشاما المؤيد وهو محبوس خبره واسمه ونسبه، فدس إليه ان الدولة صائرة إليك، وقال له: ان خاطرى يحدثنى أن هذا الرجل يقتلنى، يعنى سليمان، فان فعل فخذ بثأرى»[4]. وأياما كان الامر، فان خيران لم يتردد في تلبية دعوة على بن حمود فسار بقواته إلى مالقه، وكان على بن حمود لكى يكسب انصاراً جدداً، قد اعلن في مالقة أنه لم يحضر إلا لنصره الخليفة هشام المؤيد[5]، فلقى اعلانه هذا استجابة من أهل مالقه بالاضافة إلى تأييد خيران وزاوى ابن زيرى وحبوس بن ماكسن بن زيرى وأخوته وبنى عمه الصنهاجيين، فعظم شأنه وقوى أمره، وحارب بهم المستعين. وكان المستعين عندما بلغه نبأ تحالف على ابن حمود وخيران العامرى عليه ومسير جيوشهما إليه، عظم عليه الأمر وخرج بمن تبقى من رجاله للقائهما، واشتبك الفريقان في المحرم سنة ٤٠٧ هـ (يوليو ١٠١٦م) فدارت الدائرة على المستعين وانصاره وانتصرت جيوش على بن حمود

(١) انظ ترجمته في ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق١، م١، ص١٥١، ابن سعيد: المغرب، جـ٢، ص٢٠٥، دوزى «رينهارت»: ملوك الطوائف، ترجمة كامل كيلانى، مصر ١٩٣٣، ص ٤٧، ٤٨.

(٢) انظر صفحة ٩٠ ومايليها.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣، ص١١٦.

(٤) نفح الطيب، جـ٢، ص٢٧.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣، ص١٢٠.

وخيران ودخل على بن حمود قصر قرطبه فى ٢٢ محرم سنة ٤٠٧هـ (يوليو ١٠١٦م)[١].

أما خيران فكان يحدوه الامل فى ان يجد مولاه هشاما ما يزال حياكما اوهم ابن حمود بذلك فلما تبين له ان الامر لم يكن سوى خدعة أظهر خلافة، وخشى فى نفس الوقت ان يغدر به على بن حمود فيتخلص منه، ولهذا السبب بادر بالرحيل عن قرطبة إلى شرق الاندلس[٢].

واما على بن حمود فقد استقرت له الامور بقرطبه الى ان قتل فى أول ذى القعدة سنة ٤٠٨هـ (١٠١٧م)، على ايدى ثلاثة من صقالبته اقدموا على قتله فى حمام قصره واعترفوا بذلك[٣]. ثم استدعى البربر أخاه القاسم من أشبيلية لمبايعته بالخلافة، فلم يتردد فى القدوم ودخل قرطبة فى ٤ ذى القعدة سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧م) وبويع له بالخلافة، وتلقب بالمأمون[٤]، ولكن نفوذ الخلافة ظل فى عهده محدود السيطرة «فقد غلب عليه رؤساء البربر المسئولون على الكور وامراء الثغور، والفتيان العامريون بالبلاد الشرقية»[٥].

فلما علم القاسم بن حمود بنبأ قيام خيران العامرى فى سنة ٤٠٧هـ (١٠١٧م)، بتنصيب خليفه من أعقاب بنى اميه يدعى عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الله بن الناصر لقب بالمرتضى، ومبايعة امراء الثغر له، كاتب العامريين وعمل على استمالتهم، فأقطع زهيرا جيان وقلعة

(١) الضبى: بغية الملتمس، ص٢٥، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣، ص١٢٠، ١٢١، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ص٣٥٧.

(٢) الضبى: نفس المصدر، ص٢٥، ابن عذارى المصدر السابق، جـ٣، ص١٢٠، ١٢١، السيد عبد العزيز سالم، : المرجع السابق والصفحة.

(٣) ابن حزم «أبو محمد على بن أحمد بن سعيد» نقط العروس فى تواريخ الخلفاء تحقيق شوقى ضيف «مجلة كلية الآداب»، مطبعة جامعة القاهرة، ديسمبر ١٩٥١، ص ٨٠، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٣، ص١٢٢.

(٤) ابن بسام: الذخيرة، ق١، م١، ص٨٣، ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٣، ص١٢٢ - ١٢٤، ابن الخطيب: أعمال الاعلام «القسم الخاص بالاندلس»، ص ١٣٠.

(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص١٣٠.

ربـاح وبياسة، وكـاتب خيران واستعطفه ولجأ إليه واجتمع به بالمريه ثم عاد إلى قرطبة[١].

وكانت لهذه المساعى على ما يبدو أثرها فى مجريات الاحداث، خاصة وان المرتضى اظهر الجفاء لمنذر بن يحيى وخيران، فندما على تأييدهما لقضيته[٢]، واضمرا الكيد له وخذلانه فى معركته المقبله مع البربر المتغلبين فى قرطبه واعمالها[٣]، فما كاد المرتضى يظفر بالبيعة حتى قر عزمه على إعادة الخلافة الاموية بقرطبة فأعد لهذا الغرض جيشاً كثيفاً من موالى العامريين خرج فى مقدمته وصحبه فى جملة من جاء معه منذر صاحب سرقسطه وخيران وعدد من فرسان الفرنجة[٤] ولكن هؤلاء خافوا من عواقب انتصاره وايقنوا أن ظفره بالخلافة يتعارض مع مطامعهم الشخصية ومصالحهم، ويعبر المقرى عن ذلك بقوله: «فكان من الاتفاق العجيب ان فسدت نية منذر وخيران على المرتضى، وقالا أرانا فى الأول وجها ليس بالوجه الذى حين اجتمع إليه الجم الغفير، وهذا ماكر غير صافى النيه»[٥]، ويعلل ابن حيان سبب غدر منذر وخيران بالمرتضى بأنهما طلبا منه ان يخرج مبارك صاحب بلنسية معهم فى غزو قرطبه ولما لم يجيبهما المرتضى إلى طلبهما واقراره بتخلف مبارك لجمع الاموال، حقداً عليه واجمعا على الغدر به فعمدا إلى تضليله وتظاهرا باسداء النصيحة له وهما يغرران به واقنعاه بمهاجمة بربر غرناطه بحجة انه لا يمكن غزو قرطبة قبل ان يقضى على عدو يتربص بهم فى غرناطه ويهدد مؤخرتهم[٦]، فاقتنع المرتضى برأيهم، ولم يجد ما يمنع من البدء بزاوى بن زيزى اكبر سند للقاسم بن حمود[٧]. وهكذا نجح خيران ومنذر بن يحيى فى استدراج المرتضى الى محاربة بربر غرناطه فى الوقت الذى دبرا فيه

---

(١) ابن الاثير: الكامل فى التاريخ، جـ٧، ص٢٨٦.

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة، السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، الجزء الاول، ص٩٥.

(٣) ابن بسام: الذخيرة، ق١، م١، ص٤٠٠، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق: الجزء الاول، ص٩٥.

(٤) المقرى: نفخ الطيب: جـ٢، ص٢٩، ٣٠.

(٥) المقرى: نفح الطيب، جـ٣، ص٢٩، ٣٠.

(٦) ابن بسام: نفس المصدر، ق١، م١، ص٤٠٠.

(٧) خالد الصوفى: تاريخ العرب فى اسبانيا فى نهاية الخلافة الأموية، حلب، ١٩٦٣. ص٣١٩.

هزيمته بالاتفاق مع زاوى بن زيزى، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن بسام فى الذخيرة اذ أشار الى انهما «دسا الى زاوى واسرا عليه بالغدر بالمرتضى»[١]، وما اورده المقرى من أن خيران لما اقترب من غرناطة كتب الى ابن زيرى الصنهاجى المتغلب على غرناطه «وضمن له انه متى قطع الطريق على المرتضى عند اجتيازه عليه الى قرطبه خذل عن نصرته الموالى العامريين اعداء المروانيين وأصحاب رياسة الثغور فاصغى ابن زيرى الى ذلك»[٢]. فلما هاجم المرتضى بجيشه بربر غرناطة تخلى منذر وخيران عنه وانسحبا من المعركة فدارت عليه الدائرة وولى الادبار، فارسل الصقالبه وأمراء الثغور بعض رجالهم لقتله وتم لهم ذلك فى سنة ٤٠٩هـ (١٠١٩م)[٣].

ثم تدخل خيران ومجاهد العامرى فى الاحداث السياسية بقرطبة مرة ثانية، إذ سعى اهل قرطبة الى الاتصال بيحيى بن على بن حمود العلوى بهدف إعادته الى الخلافة بعد ان تاكد لديهم خبر موت الخليفة المستكفى بالله الاموى[٤]، وكان يحيى بن على قد استقر انذاك بمالقه بعد ان خطب لنفسه بالخلافة وتلقب بالمعتلى، فاجاب طلبهم وأرسل من قبله عبد الرحمن بن عطاف اليفرنى واليا عليهم، ثم سار المعتلى الى قرطبة ودخل مقر الخلافة يوم الخميس ١٦ رمضان سنة ٤١٦ هـ (٩ نوفمبر ١٠٢٥م)[٥]، ولكنه لم يقم بها طويلا، إذ كان يتوجس خيفه من اهلها ولم يكن يحس بينهم بامان فغادرها بعد ما يقرب من أربعة شهور، بعد أن ترك فيها وزيره وكاتبه ابا جعفر أحمد بن موسى ودوناس بن روح كى ينوبا عنه فى حكمها[٦]، ولكن بعض المؤرخين يذكرون ان جماعة من أهل قرطبة خاطبوا يحيى ين على بالخلافة، فواقهم وارسل اليهم نائبا عنه لولاية قرطبة يدعى عبد الرحمن بن عطاف اليفرنى ولم يحضر هو باختياره[٧]. ولكن المعتلى لم يلبث

---

(١) ابن بسام: الذخيرة، م١، ق١، ص٤٠٠.

(٢) المقرى: نفخ الطيب، جـ٢، ص٣٠.

(٣) ابن بسام: الذخيرة. ق١، م١، ص٤٠٠.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب جـ٣، ص١٤٢، ابن الحطيب: أعمال الأعلام، ص١٣٦.

(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص ١٣٦.

(٦) ابن عذارى البيان المغرب، جـ٣، ص١٤٣، ١٤٥، ابن الخطيب: المصدر السابق، ص١٣٦، ١٣٧، وانظر ايضا:

Lévi - Provencal: Histoire, t. II, pp. 336 - 337.

(٧) ابن الاثير الكامل، جـ٧، ص٢٨٨، عبد الواحد المراكشي: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، نشر =/=

ان لقى حتفة بجهة قرمونة فى حربه مع ابن عباد صاحب اشبيليه[١] . وبموته ابدى اهل قرطبة أنفتهم من بقاء مدينتهم تحت حكم البربر وعزموا على اعادة الخلافة للامويين، فاتصلوا بخيران العامرى صاحب المريه ومجاهد صاحب دانية واستنصروا بهما على البربر، ومع ذلك فلم ينتظروا وصولهما فوثبوا فى ٢٠ ربيع الاول سنة ٤١٧هـ (١٩ يونيو ١٠٢٦م) على البربر وقتلوا منهم ما يقرب من الف بربرى[٢] وعلى اثر ذلك وصل مجاهد وخيران العامريان الى قرطبة بحشودهما فأقاما، بها نحو شهر ولكنهما تنازعا ودب بينهما الخلاف فخاف كل منهما من صاحبة فعاد خيران الى المرية اواخر ربيع الاخر سنة ٤١٧هـ (١٠٢٦م)، اما مجاهد فقد ظل يقيم بقرطبة مدة ثم رجع الى دانية حاضرته[٣]، ويقال ان سبب مغادرتهما لقرطبة يرجع الى عدم اتفاقهما مع اهلها للبيعة لاحد الامويين[٤].

ويمكننا ان نخلص مما سبق ان سياسة المصلحة كانت الهدف الاول الذى يوجه خيران العامرى صاحب المرية فى كل تحركاته، اذ سعى جاهدا الى توجيه العصبيه الاندلسية للقضاء على العصبية البربرية فى خلافة على بن حمود، واصطنع مع المرتضى المكر والدهاء بعد ان لجأ اليه القاسم بن حمود واستنجد به فسير المرتضى الى حتفة وتخلص منه بقتله.

ولم يقتصر دور خيران على التدخل فى الاحداث السياسية بقرطبة فقد شارك فى احداث شرق الاندلس، فعندما اسند الفتيان العامرية بشرق الاندلس أمرهم الى نفر من مشيختهم بعد خروج مجاهد رئيسهم عنهم، وتشاوروا فى تنصيب امير يتخذونه رئيسا لهم من سلالة مولاهم المنصور بن ابى عامر، اتفق رأيهم على تنصيب عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول بن المنصور بن عامر ملكا عليهم[٥].

=/= محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٦٣، ص١٠٢، المقرى: نفح الطيب، جـ١، ص٤٠٨.

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق١، م١، ص٢٧٢، ٢٧٣، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣ ص١٤٤، ١٨٨، ١٨٩، ابن الخطيب: اعمال الأعلام، ص١٣٧.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٣، ١٤٣، ابن الخطيب: المصدر السابق، ص١٣٧.

(٣) ابن الاثير: المصدر السابق، جـ٧، ص٢٨٧، ٢٨٨.

(٤) ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٣، ص١٤٤، ابن الخطيب: المصدر السابق ص١٣٧. انظر ايضا:
Levi - Proven çal: Histoire, t. II,. PP. 336 - 337.

(٥) ابن بسام، الذخيرة، القسم الثالث، مخطوطة بغداد لوحة ٨١، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣، ص١٦٤، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص١٩٤.

وكان عبد العزيز انذاك فتى حدثا لا يتجاوز من العمر خمسة عشر عاما، كان فى حماية ابيه عبد الرحمن شنجول طفلا واضطر الى الفرار من قرطبة سرا الى سرقسطة فى اعقاب مصرع أبيه واندلاع الفتنه واستيلاء محمد بن عبد الجبار على قرطبة، واقام فى سرقسطة فى كنف صاحبها يحيى بن منذر يحيى التجيبى[١]. وظل بها الى ان استدعاه الموالى العامريون فى شاطبه[٢]. التى كانت انذاك من املاك خيران العامرى – ومنها اعلنوه رئيسا لحزبهم فى سنة ٤١١هـ – ١٠٢٠م)[٣] وتلقب منذ ذلك الوقت بالمنصور تمثلا بلقب جده ابن ابى عامر، مما جعل بعض مؤرخى العرب يطلقون عليه اسم المنصور الصغير تمييزا له عن جده[٤].

ويبدو ان خيران – الذى ساهم فى تنصيب عبد العزيز عبد الرحمن شنجول على دست الرئاسه – قد خشى من ازدياد نفوذه، وعز عليه ان يحتل مكانه فعزم على التخلص منه، وساعدته الظروف على تحقيق هدفه عندما مل اهل شاطبه من حكم عبد العزيز وكرهوا استبداده بهم، وقر عزمهم على الاحاطة به فلم يتردد خيران فى تأييد حركتهم بالثورة على عبد العزيز، وتم الامر على نحو تجاوز تقديراتهم، ففر عبد العزيز الى بلنسية فى سنة ٤١٢هـ (١٠٢١م)[٥].

وفى هذه الاونه كانت العلاقات قد ساءت بين خيران ومجاهد العامرى صاحب دانيه وجزر البليار، ولعل ذلك يرجع الى حسد مجاهد لخيران بسبب سياستــه التوسعيه واقدامه على ضم مزيد من الاملاك فطمع مجاهد

---

(١) ابن الخطيب المصدر السابق، ص١٩٣، ١٩٥.

(٢) شاطبه: مدينة تقع بالقرب من بلنسيه على ساحل البحر وكانت من أكثر ثغور شرق الأندلس مناعة وحصانة، فالحميرى يذكر أنه كان لها قصبتان ممتنعتان كما يشير الى خصوبة بقعتها وعظم ثرائها وشهرتها فى صناعة الكاغد والى أنها «حاضرة اهله بها جامع ومساجد وفنادق وأسواق وقد احاط بها الوادى، (مواد أندلسية جديدة من الروض المعطار لصلاح الدين المنجد «مجلة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية»، المجلد الخامس، الجزء الأول ص٢٨ القاهرة ١٩٥٩).

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣ ص١٦٤، ابن خلدون «عبد الرحمن بن محمد» : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، بولاق ٢٨٠، هـ، ص١٦١.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤ ص١٦٢.

(٥) ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤ ص١٦٢.

فى ان يطرده[1] منها وعزم على مهاجمته، فجمع بالفعل جيوشه وأساطيله وحاصر سواحل المريه[2] فأدرك خيران بذكائة ان لاطاقة له بمقاومة مجاهد، فعمد الى دهائه، واستقر رأيه على ان يضرب مجاهد بشخص يرتضيه العامرية، فقرر ان ينصب احد احفاد مولاه العظيم المنصور بن ابى عامر ليستعين به على مجاهد العامرى، فنمى الى علمه ان محمد بن عبد الملك المظفر يقيم بجيان وانه استطاع بفضل الثروة الكبيرة التى كانت لأمه ان يجتذب اليه الاتباع ويشترى ولاء المؤيدين، فبعث خيبران فى استدعائه فقدم اليه فبايعه بالاماره وملكه أوريولة ومرسية، وتلقب محمد ابن عبد الملك بالمؤتمن ثم المعتصم[3]. الا أن الاحوال سرعان ما تأزمت بين المعتصم وخيران فالسيفان لا يجتمعا فى غمد واحد ولا يمكن للامور ان تستقيم مع طموح خيران الذى اضطر الى الفرار من مرسيه فى ربيع الاول سنة ٤١٢هـ(١٠٢١م)، والالتجاه الى المريه، ومن هناك نظم قواته واعدها لمحاربة المعتصم ونجح فى الايقاع به وتمكن من اخراجه من مرسيه فى ربيع الاول سنة ٤١٣هـ (١٠٢٢م)[4].

وهكذا يتبين لنا حنكة خيران ومدى ما اصابة من توفيق فى سياسته سواء ما يتعلق بأحداث قرطبة او علاقاته بشرق الاندلس، وما اقترنت به من مكر ودهاء وبلاء واقدام.

المرية فى عهد خيران:

اذا كان خيران قد وفق فى سياسته الخارجية، فانه بلغ شأوا عظيما فى سياسته الداخلية، فقد أصبحت المرية فى عصره وبفضل ما حظيت به من اهتمامه وجهده وما حفل به عمرانها على يديه من توسع وازدهار من اعظم مدن الاندلس واكثرها

---

(١) ابن الخطيب: اعمال الاعلام: ص١٩٣، تشركوا «كيليا سارنلي»: مجاهد العامرى قائد الاسطول العربى فى غربى البحر المتوسط فى القرن الخامس الهجرى الطبعة الأولى، لجنة البيان العربى، القاهرة ١٩٦١ ص٨٢.

(٢) ابن حزم «ابو محمد على»: كتاب طوق الحمامة فى الألفة والآلاف، تحقيق بتروف D. K Petrof ليدن، ١٩١٤ ص٨٠.

(٣) ابى الخطيب: اعمال الأعلام، ص١٩٣، ١٩٤.

(٤) السيد عبد العزيز سالم، مدينة مرسيه، موطن الشيخ الزاهد ابو العباس المرسى مطبوعات جمعية الآثار بالاسكندرية، ١٩٦٩، ص٦.

تألقا وعمرانا.[1] اذ امتدت امارة المرية انذاك على هيئة مثلث كبير رأسه نحو الجنوب يمتد جانبه الشرقى بحذاء المنطقة الممتدة على حافة الساحل الجنوبى الشرقى لأسبانيا، وجانبه الغربى حتى وادى آش وحدود مملكة غرناطة والجانب الشمالى حتى بسطه وجيان اللتين كانتا أهم قواعد الامارة بعد المرية كما كانت تضم عددا من معاقل الاندلس الكبار نذكر منها مدينتى اوريولة ومرسيه اللتين كان يحكمها زهير العامرى أميرا من قبل خيران[2].

ومن المعروف ان خيران منذ ان استقر بالمريه حتى اتخذها قاعدة لسلطانه وعمل على ضبطها، وتحصين قصبتها التى كان قد اقامها الخليفة عبد الرحمن الناصر - وزاد فيها الى حد انها نسبت اليه واصبحت من اعظم قصاب الاندلس واليه يرجع الفضل فى «سد عورات المدينة بتدعيمه أسوارها القديمة»[3] وحرصه على وصل الماء اليها وقيامه اليها ببناء الحمة العجيبة[4].

ويفهم من رواية العذرى ان خيران زاد فى سنة ٤١٠هـ (١٠١٩م) فى جامع المرية زيادة اتسع بها الجامع، كما بنى السور الهابط من جبل ليهم الى البحر وفتح فيه اربعه ابواب: باب فى جبل ليهم، وبات تجاه مدينة بجانه، وبات يسمى باب المربى وباب السودان قرب ضفة البحر الذى عرف (زمن العذرى) بباب الاسد[5].

وجه خيران اهتمامه الى العمارةوالتشييد، اهتم كذلك بالعلوم والآداب فقد وفد على المريه فى عصره بعض أدباء الاندلس المشهورين اجتذبهم خيران بكرمه وتشجيعه تذكر منهم على سبيل المثال احمد بن عباس الكاتب الذى استوزره[6]، وشاعر الاندلس الكبير ابو عمرو احمد بن دراج القسطلى الذى مدح خيران فى

---

(١) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص٦١.

(٢) راجع فى هذا، محمد عبد الله عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٠، ص١٥٩.

(٣) ابن الخطيب أعمال الأعلام، ص٢١١.

(٤) نفس المصدر، ص٢١٢.

(٥) راجع العذرى: ترصيع الاخبار، ص٨٣.

(٦) راجع ما فات هنا، ص٨١.

سنة ٤٠٧هـ بقصيدة طويلة[١]. ويعبر وفود الادباء على المريه فى تلك الفترة عما نعمت به هذه المدينة فى ظل حكم خيران من أمن واستقرار كان لهما أعظم الأثر فيما أصابته من ازدهار حضارى لم تشهده سائر مدن الاندلس المعاصرة.

وكان خيران رغم هذا متواضعا زاهدا فى الرتب الملوكية والالقاب فلم يتلقب بشئ من الالقاب الضخمة التى تلقب بها سائر ملوك الطوائف فى عهده وقنع بما كان يعرف به من ألقاب مثل «الخليفة» والفتى الكبير»[٢] وتوفى خيران بالمريه فى ٣ من جمادى الأولى سنة ٤١٩هـ (١٠٢٨م) بعد مرض دام شهور[٣].

ثالثاً: عهد زهير العامرى

وخلف خيران على امارة المريه زهير الفتى العامرى احد فتيان المنصور بن أبى عام الصقالبة (٣) فما ان توفى خيران حتى بادر الوزير احمد بن عباس بالاجتماع برجال دولته واهل العقد والحل، واخبرهم بوصية خيران فى ان يخلفه اخوه زهير فى حكم المريه إذ كان يثق به وبولائه له، فاتفق المجتمعون على تنفيذ هذه الوصية، وكان خيران حينما احس بدنو اجله قد بعث فى استدعاء زهير نائبه على مرسيه وجيان وأوصى بتوليته الامارة من بعده فاقبل زهير فور استدعائه واقام بالمريه الى ان توفى خيران واجمع القوم على استخلافه وفقا لمشورة ابن عباس، فلم يزهد فى الامارة ورضى الناس به اميرا عليهم فى ٣ جمادى الأولى سنة ٤١٩هـ (١٠٢٨)[٤].

---

(١) تبدأ القصيدة بهذا البيت المشهور:

لك الخير قد أوفى بعهدك خيران | وبشراك قد وافاك عز وسلطان

(القسطلى «ابن دراج»: ديوان ابن دراج، تحقيق، محمود على مكى، الطبعة الاولى، منشورات المكتب الاسلامى بدمشق، دمشق ١٣٨١هـ ١٩٦١م، ص٨٦، ٨٧، وقد وردت القصيدة ايضا فى ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٧٤، ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص٢١٢، ٢١٣.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: ص٢١٢.

(٣) نفس المصدر: ص٢١٥.

(٤) ابن الخطيب (لسان الدين): الاحاطة فى اخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف بمصر، ١٩٥٥، ص٥٢٥، ٥٢٦.

إلا أن زهيرا لم يسلم من منازعة الفتى القائم على حصن أوريوله، إذ وقع خلاف بينهما لعله بسبب حسد مسلم على اختيار زهير خلفا لخيران مما أدى إلى تمرده عليه فسارع زهير فى الحال باحكام الحصار عليه فى قلعة أوربوله، واستمر هذا الحصار ستة أشهر ضايقة فيها زهير حتى اضطر مسلم إلى التسليم بشروط قبلها على الفور وتم التنازل له عن كل شئ[1].

وكان زهير قبل ان يتولى امارة المريه ينوب عن خيران فى ولاية مرسيه، بالاضافة الى جيان وقلعة رباح وبياسه التى اقطعها له الخليفة القاسم بن حمود[2].

ولقد اتبع زهير منذ توليه نهج صاحبه خيران فى حسن السيرة وضبط الادارة ضبطا حازما، وتلقب بالامير عميد الدولة ابى القاسم[3]، فاتسعت امارة المرية فى عهده اتساعا كبيرا، وامتدت من بلدة المريه الى قرطبة واعمالها غربا، ومن المريه الى شاطبه ومرسية فى الشمال الشرقى، ومن المريه الى بياسه وحتى اعمال طليطلة فى الشمال الغربى[4]. ويعبر العذرى عن ذلك بقوله: «وتمادت ولاية زهير الفتى على المرية واعمالها الى ان دخل فى ولايته مدينة قرطبة واعمالها»[5]. أما ابن الخطيب فروايته اكثر تفصيلا فهو يذكر ان زهير «دبر أمر قرطبه منفردا به أيام الفتنة ولاستفتاء عن الخلافة، وسكن قصرها يوم الاحد لخمس بقين من شعبان سنة ٤٢٥هـ، ودام سلطانه عليها خمسة عشر شهرا ونصف شهر»[6].

ويفهم من نص العذرى وابن الخطيب ان قرطبة دخلت فى ولاية زهير، وانه اقام بها زهاء خمسة عشر شهرا ونصف شهر، ولم يوضحا ان كان ذلك تم سلما أم حربا. ومن المعروف ان قرطبه كانت تابعة آنذاك لابى الحزم بن محمد بن

---

(١) العذرى: ترصيع الأخبار، ص ٨٣.

(٢) راجع ما فات هنا، ص٨٣.

(٣) ابن خلدون. العبر، جـ٤، ص١٦٢.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣، ص١٦٨، ١٦٩، ابن الخطيب: أعمال الاعلام ص٢١٦، الاحاطه، جـ١، ص٥٢٦.

(٥) العذرى: المصدر السابق، ص٨٣.

(٦) ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص٢١٦، الاحاطه، جـ١، ص٥٢٦، راجع ايضا:
Prieto Y Vives (Antonio): Los Reyes de Taifas, Madrid 1926, p. 34.

جهور الذى ظل يتولى امارتها منذ ان أعلن سقوط الخلافة الاموية فى الاندلس سنة ٤٢٢هـ (١٠٣٠م) حتى سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م)، وكان ابو الحزم بن جهور حاكما قديرا استطاع ان يلم الشمل وينهض قرطبه من عثرتها، ويجدد ما طمس من معالمها بعد سقوط هشام[١]، ويصفه ابن الخطيب بانه كان بين «رؤساء الطوائف بمنزله الاب يفصل بينهم فى القضايا ويشفع فى الحوائج ويصلح بينهم فى المنازعات، فيم يدر الناس ما فقدوا منهم إلا بعدان بلوا غيرهم وفقدوا خيرهم»[٢]. واعتقد ان ابا الحزم بن جهور استدعى زهيرا للمعاونة فى استتباب الاوضاع فى قرطبه لا سيما فى الفترة التى اعقبت انهاء رسم الخلافة نهائيا فى الاندلس لخطورتها وما يمكن ان يترتب على ذلك من نوائب وفوضى متجددة تزيد من طحن الاندلس ونكبتها، ولعل عبارة ابن الخطيب انه «دبر أمر قرطبه منفردا به أيام الفتنه والاستغناء عن الخلافه»[٣]، وما تذكره المصادر المعاصره من ان فترة حكم ابى الحزم بن جهور بقرطبه واعمالها امتدت من سنة ٤٢٢هـ (١٠٣٠م) الى سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م)، يشير الى استمرار ابن جهور فى حكم قرطبه فى الفترة نفسها التى اقام فيها زهير بقرطبه مما يدل على ان اقامته هناك كانت بناء على طلب ابن جهور.

وفى عهد زهير عرض عليه ضم قصبة شاطبه ولكنه اسلمها للمنصور عبد العزيز ابن عامر قائلا: «هو احق بها من جميعنا»[٤]، وفى عهده انسلخت عنه قلعة رباح باستيلاء اسماعيل بن ذى النون عليها[٥].

وسعى زهير الى تأكيد شرعيته فى حكم منطقة نفوذه عن طريق الاستناد إلى سند شرعى يأتى بشبيه للخليفة هشام المؤيد ويزعم انه عثر عليه ويقيم معه فى المريه ليستمد من وجوده شرعية لحكمه تدعم مركزه وتزيد من سلطانه فأحضر رجلا سقاء شديد الشبه بهشام. زعم انه هشام بعينه وظل يموه به على الناس زمنا خلال عام ٤٢٦هـ (١٠٣٤) ثم طرده[٦]. وفى رواية اخرى لابن عذارى، ان

---

(١) ابن بسام: الذخيره، ق١، م٢، القاهرة ١٩٤٢، ص١١٤.

(٢) ابن الخطيب أعمال الاعلام، ص١٥١.

(٣) ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص٢١٦.

(٤) العذرى: ترصيع الاخبار، ص٨٣.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣ ص١٩٠.

(٦) ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص١٥٤.

هشام المؤيد المزعوم كان قد اختفى وظهر فى مالقه – حين توثب على بن حمود على الخلافة بقرطبة – ثم سار الى المريه فانهى خبره الى صاحبها زهير الفتى فاخرجه منها، فقصد قلعة رباح التى كانت تحت طاعة ابن ذى النون فاطاعه أهلها، وعندما علم اسماعيل بن ذى النون بخبره، حاربهم فضعفوا عن مقاومته واخرجوا هشام المزعوم[1].

كما احتذى القاضى محمد بن عباد حذو زهير فى تنصيب خليفة بجواره يستمد منه سلطانه، فجاء بشخص فقير يشبه هشام يسمى «خلف الحصرى» كان يشتغل فى الحلفاء باحدى قرى اشبيليه وبايعه بالخلافه فى عام ٤١٧هـ (١٠٣٥م)[2]، واقتفى اثره فى مبايعة هذا الخليفة عدد كبير من ملوك الطوائف منهم بنو المنصور ابن ابى عامر اصحاب بلنسيه وابن جهور صاحب قرطبه، ومجاهد العامرى صاحب دانيه ولبيب صاحب طرطوشه عام ٤٢٩هـ (١٠٣٧)، ولم يتخلف عن مبايعته من الصقالبة العامريين سوى زهير صاحب المريه الذى رفض أن يعترف به خليفة فى اشبيلية[3]. كذلك شارك باديس بن حبوس صاحب غرناطه زهيرا فى عدم مبايعة هشام المؤيد باشبيليه، وعندما علم بنية القاضى ابن عباد على محاربته واقدامه على ارسال جيش لمعاقبته اسرع بالالتجاء الى باديس بن حبوس وعقد تحالفا معه، وبفضل هذا التحالف اضطر القاضى ابن عباد الى العودة بمعسكره الى اشبيليه «ولم يكن بين المعسكرين قتال»[4].

وفى هذه الاثناء، كان يحيى بن على بن حمود قد قتل بظاهر قرمونه على يدى اسماعيل بن عباد عام ٤٢٧هـ (١٠٣٥)م، وتغلب محمد بن عبد الله البرزالى عليها ولما بلغ ادريس بن حمود بسبته خبر مصرع يحيى أخيه، سارع متوجها الى مالقه حيث دخلها ودعا الى نفسه، فاستجاب لدعوته حبوس بن ماكسن وزهير العامرى، وتعاقد الزعيمان على القيام بدعوته، وبالفعل أمر زهير بالخطبة لادريس فى المريه فى منتصف شهر ذى الحجه عام ٤٢٧هـ (١٠٣٥م)

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب جـ٣ ص١٩٠، ابن الاثير: الكامل جـ٧، ص٢٩١.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق جـ٣، ص١٩٩، ٢٠٠، ابن الخطيب: اعمال الاعلام ص١٥٤.

(٣) ابن عذارى: المصدر السابق جـ٣ ص١٩٠، ابن الاثير: المصدر السابق جـ٧ ص٢٩١.

(٤) ابن الاثير: المصدر السابق جـ٧ ص٢٩١ وراجع ايضاً:

Dozy (R): Histoire, t. III: P. 17.

منفذا فى ذلك اتفاقا أبرمه مع حليفه وجاره بالبيرة[١].

ولكن حبوس لم يلبث ان اختلف مع حليفه زهير بسبب موالاة زهير لمحمد ابن عبد الله البرزالى صاحب قرمونه فى حربه ضد حبوس صاحب غرناطه[٢]، ويعزى المستشرق الهولندى دوزى سبب هذه الوقيعه الى ابن عباس وزير زهير الذى نجح فى ايغار صدره على حليفه وتمكن من الوقيعة بينهما[٣] ويرجع سبب تحامل ابن عباس على حبوس الى انكاره ان يرى سيده زهيرا حليفا لرئيس بربرى يستوزر يهوديا، وكان ابن عباس عربيا قحا يكره البربر ويحتقر اليهود[٤]، وكان من تأثير هذا الوزير ابن عباس على زهير انه «كان لا يحدث أمر إلا باشارته وبعد مشاورته»[٥].

ويظل زهير واقعا تحت تأثير وزيره حتى وفاة حبوس بن ماكسن صاحب غرناطة فى عام ٤٢٨هـ (١٠٢٦م) وقيام ابنه بامارة غرناطة من بعده، فعندما تولى باديس امر غرناطة كتب الى زهير «معاتبا مستدعيا تجديد المحالفة»[٦]، التى كانت قائمة بين أبيه حبوس وزهير صاحب المريه، ولكن زهير يرد عليه بأن كل شئ تتم تسويته عند المقابلة[٧]، ويبدو ان زهير كان يضمر فى نفسه أمراً، فقد استصغر باديس[٨]، وطمع فى امتلاك غرناطه وضمها إلى مملكته متبعا فى ذلك مشورة وزيره ابن عباس الذى زين له غزو باديس فى غرناطه، مهونا عليه أسباب الاستيلاء عليها خاصة بعد زوال حبوس[٩].

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣ ص١٩٠، ١٩١، ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص١٤٠

(٢) ابن بسام: الذخيرة ق١م ٢ص ١٦٦، ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٣ ص١٦٩.

(٣) دوزى «رينهارت»: ملوك الطوائف، ترجمة كامل كيلانى، الطبعة الاولى، مكتبة البابلى، القاهرة، ١٩٣٣ ص٥٠.

(٤) نفس المرجع، ص٤٩.

(٥) ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٩٣.

(٦) ابن بسام: الذخيرة، ق١م ص١٦٦، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣ ص١٦٩، ابن الخطيب: أعمال الاعلام ص٢١٦، الاحاطة جـ١ ص٥٢٦.

(٧) دوزى: ملوك الطوائف، ص٥٣.

(٨) ابن سعيد: المغرب، جـ٢، ص١٩٤.

(٩) الامير عبد الله: مذكرات الامير عبد الله، اخر ملوك بنى زيرى بغرناطه المسماه بكتاب «التبيان» تحقيق ليفى بروفسال، دار المعارف، مصر ١٩٥٥ ص٣٤.

فخرج زهير من المريه فى حشود كثيفه، واجتاز حدود مملكة باديس ولم يتبع القواعد والمراسيم المتبعه فى الزيارات أو عند الالتقاء[1]، «بل أقبل ضاربا سوطه حتى تجاوز الحد الذى جرت عادته بالوقوف عنده من عمل باديس دون اذنه، وصير الأوعار والمضايق خلف ظهره لا يفكر فيها، واقتحم البلد حتى وصل الى باب غرناطة[2]» مما يدل على ما كان يبيته فى نفسه نحو باديس[3].

وكان من الطبيعى ان يستثير هذا التصرف الشائن باديس فيعتبره ضربا من التعدى على سيادة بلاده، ولكنه رغم كل هذا قابل زهيرا بكل حفارة وترحاب، ولم يظهر له شيئا من غضبه، بل أولم له ولمن معه وليمة فاخرة واغدق عليهم العطاياوالهدايا.

إلا أن زهير – على ما يبدو – اعتبر احتفال باديس له وترحيبه به نوعا من الضعف وأوهمه وزيره ان باديس لم يفعل ذلك إلا لعجزه عن الوقوف امامه، فأخذ فى التشطط فى مطالبه وتظاهر أمام باديس بعظمة تركت فى نفسه أثراً سيئا.

وكان طبيعيا أن تفشل المفاوضات التى دامت بين باديس وزهير، فلم يتمكنا من الاتفاق على شئ، بسبب تشدد زهير وتصلبه فى موقفه[4].

ورغم هذا لم ييأس باديس بل ارسل أخاه بلقين رسولا من قبله الى الوزير ابن عباس فى محاولة أخيرة للتوفيق بينهما لعلمه بأن زهيراً يأخذ بمشورة وزيره ولا يصدر شئ عنه إلا بعد أخذ رأيه، فتوجه بلقين إلى حيث مجلس ابن عباس ليلا وخاطبه فى تصفية الخلافات القائمة بين الامارتين وتجديد الحلف القديم، لكن ابن عباس رد عليه بلهجة قاسية كشف عن نفوذ وسلطان قاهر من جهة، وعن امتهان لمحدثه وازدراء له من جهة أخرى، ولما حاول بلقين ان يستعطفه فقام إليه معانقا باكيا، ولم يؤثر فى ابن عباس معانقة بلقين ودموعه[5]، وانما بالغ فى الاستخفاف به وقال له: «وفر عليك هذه المظاهر الكاذبه، والعبارات الفارغه فانها لا

---

(١) ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٣ ص١٦٩، ابن الخطيب المصدر السابق، ص٢١٦.

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق١م٢ ص١٦٧، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ٣، ص١٦٩، ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص٢١٦.

(٣) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المريه الاسلامية، ص٧١.

(٤) ابن بسام: المصدر السابق، ق١، م٢ ص١٦٧.

(٥) ابن بسام: الذخيرة، ق١ م١ ص١٧١.

تترك أى أثر فى نفسي»[1].

فخرج بلقين حانقا لما لحق به من اهانه، وعاد إلى أخيه باديس ومجلسه منعقد، فأفضى إليه بكل ما دار بينه وبين ابن عباس من حديث، وما اصابه من إذلال، فقرر المجتمعون محاربة زهير لقحته وجفائه، وصمموا على الايقاع بوزيره ابن عباس لما بدا منه من عناد وفظاظه[2].

وكان لابد لزهير - عند عودته الى المريه - من اجتياز قنطرة لا محيد له عنها، فأمر باديس بقطع هذه القنطرة، كما ارسل جنده فاحتلوا تلك المضايق والاوعار، ونصب كتائبه وكمائنه فى الطريق، وأعد عدته للحرب[3].

ومع ذلك فان باديس لم يفعل ما اقدم عليه إلا بدافع من الحيطه ولمجرد التأمين على نفسه وبلده، كما انه لم ييأس من رجوع زهير - صديق والده القديم - إلى صوابه، ليجدد صلات الود والصداقة التى كان يرتبط بها مع ابيه، ولهذا قرر ان ينبهه فى الخفاء الى الخطر المحدق به، فعهد الى حرس من البربر من جند المرية وبعثه إلى زهير رسولا وأسر إليه بما اخبره به[4].

ويبدو ان هذه النصيحة صادفت قبولا عند زهير ووقعت منه موقع الاعجاب، إلا ان عباس وزيره رفضها، ويقال فى تعليل موقف ابن عباس هذا، آنه إنما كان يهدف إلى التخلص من زهير فى المعركة، فينفرد بحكم المريه، ومما يؤيد هذا الرأى اعتزاز ابن عباس - وهو فى سجنه - امام باديس بأنه تمكن من استدراج زهير حتى وقع فى الشرك[5]، «وغاداه باديس صبيحتها على تعبئة محكمة، فلم يرعه إلا رجة القوم راجعين إليه»[6]، فتظاهر زهير بالثبات، فرتب جنده المشاه من الزنوج وكانوا خمسائة، والمشاة من الاندلسيين، وقدم هذيلا الصقلبى خليفته على

(١) دوزى: ملوك الطوائف، ص٥٥.

(٢) ابن بسام: المصدر السابق، ق١ م ١ ص١٧٢.

(٣) ابن بسام: الذخيرة ق١ ، م٢ ، ص١٦٧ ، ١٦٨.

(٤) ابن بسام: الذخيرة، ق١ ، م٢ ص ١٧٢ ، ١٧٣.

(٥) نفس المصدر، ق١ م ٢ ص ١٧٣ ، وراجع ايضاً دوزى ملوك الطوائف ص٥٨.

(٦) ابن بسام: ق١ م٢ ، ص١٦٨.

الفرسان الصقالبه[1]. ولم تكد المعركة تحتدم حتى سقط هذيل عن جواده وانهزم زهير واصحابه فأخذهم البربر بالسيف وابادوا من فر منهم فى شعاب غرناطه، وقتـل زهير «وجهل مصرعه[2]» وان كان معظم المؤرخين يؤكدون مصرعه فى قرية ألفنت من خارج غرناطه[3]. وأسر كبار رجاله من حملة الاقلام، وفى مقدمتهم وزيره ابن عباس، الذى قتل بعد ذلك بأسابيع قليلة بايعاز من باديس[4]، أما باقى حملة الاقلام فقد أمر بالافراج عنهم وكان من بينهم ابن حزم والباجى وغيرهما[5].

أما ما يتعلق بأعماله فى المريه، فقد تابع زهير نهج سلفه خيران من الاهتمام بتعمير البلاد والتوسع فى العمران، فكانت له بالمريه اثار جليلة، فهو الذى بنى المسجد الجامع وزاد فيه الزيادات من جهاته الثلاث: الشمالية والشرقية والغربية[6]، كما أوقف عليه الفنادق والحوانيت الموجودة فى شرقيه وفى قبليه وفى معظم شماله، وهو الذى بنى السقايه وجلب الساقيه إليها من النطيه، وهو الذى بنى السور الواقع بساحل ربض المصلى[7].

وكان زهير بالاضافة إلى اصلاحاته، يشاور الفقهاء، ويعمل بقولهم[8].

---

(١) نفس المصدر: ق١م٢، ص١٦٨.

(٢) ابن بسام: نفس المصدر، ق١م ٢ص ١٦٩، ويذكر الامير عبد الله الزيرى: «وخفى زهير عن المعسكر فلم يوجد حياً ولا ميتا، (مذكرات الامير عبد الله ص٢٥)، كما يذكر العذرى «وقتل زهير يوم الجمعة فى آخر شهر شوال سنة تسع وعشرين وأربعمائه واختلف فيمن قتله ولم يوقف على حقيقة ذلك»، (العذرى: ترصيع الاخبار، ص٨٣، راجع ايضا ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣، ص١٧١).

(٣) ابن سعيد: المغرب، جـ٢ ص١٠٧، راجع ايضاً: ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣، ص١٦٧، ٢٩٣، ابن الخطيب: اعمال الاعلام: ص٢١٧، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المريه الاسلامية، ص٧٢.

(٤) ابن بسام: الذخيرة، ق١، م٢، ص١٧٣، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٣، ص١٧٢.

(٥) ابن بسام: المصدر السابق، ق١، م٢ص ١٧٠، ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٣ ص١٧١.

(٦) العذرى: ترصيع الاخبار ص٨٣، ابن الخطيب: المصدر السابق ص٢١٦.

(٧) العذرى: المصدر السابق ص٨٣.

(٨) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص٢١٦.

وكانت هزيمة زهير ومصرعه ضربة قاسية أصابت إمارة المريه، كان من آثارها استيلاء باديس بن حبوس على الجزء الشمالى الغربى من اراضى المريه وفى مقدمتها مدينة جيان اكبر قواعدها الشمالية[١].

ولما علم اهل المريه بهزيمة زهير ومصرعه، اجتمع اعيانهم وأسندوا امرهم إلى شيخهم **ابى بكر الرميمى**، فقام بشئون المريه وضبط الأمن والنظام بها، الى ان كاتب اهلها عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول بن ابى عامر ببلنسيه[٢]، وكان عبد العزيز يرى انه صاحب الحق الشرعى فى ميراث الفتيان العامريين موالى جده، وكان منذ مصرع زهير قد أرسل وزيره ابن صمادح الى باديس صاحب غرناطه، يلح عليه فى قتل الوزير ابن عباس[٣]. حتى لا يعارضه فى امتلاك المريه، وبادر عبد العزيز الى المريه فدخلها فى آخر ذى القعدة عم ٤٢٩هـ (١٠٣٧م) ودخل قصبتها وملك جميع اعمالها، فبايعه اهلها، واستولى على بيت المال بها، بما كان يحويه من ذهب مضروب ودراهم وجواهر، ونقل كل هذا إلى مقر ملكه بلنسيه[٤] واقام عبد الغزيز الدعوة على منابرها لهشام المؤيد، واصبح ملك عبد العزيز يشمل مرسيه وبلنسيه والمريه.

ولكن المنصور لم يهنأ طويلا بامارة المرية، إذ سرعان ما انتهز مجاهد العامرى صاحب دانيه وجزر البليار فرصة وجوده بها وخرج غازيا بلاده، ويعلل ابن حيان ذلك بقوله: «لما صارت (اى المريه) لعبد العزيز بن ابى عامر واستضافها الى بلده بلنسيه حسده على ذلك مجاهد صاحب دانيه واظلم الأفق بينهما، فخرج مجاهد غازيا الى بلاد عبد العزيز وهو (اى المنصور) بالمريه مشتغل فى تركة زهير، فخرج مبادرا عنها لاستصلاح مجاهد[٥]»، ويذكر ابن عذارى ان الحرب وقعت بين

---

(١) عنان: ملوك الطوائف، ص١٦١.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣ ص١٦٧، ١٩١، ابن الخطيب: أعمال الاعلام: ص ٢١٧، ابن خلدون: العبر، جـ ٤ ص١٦٢.

(٣) ابن عذارى: نفس المصدر، جـ٣، ص١٧٢.

(٤) العذرى: ترصيع الاخبار، ص ٨٤.

(٥) ابن بسام: الذخيرة، ق١، م٢ ص ٢٣٧.

مجاهد وقوات المنصور[1].

لذلك اضطر المنصور الى مغادرة المرية والعودة الى مقر حكمه فى بلنسيه، وقدم على المريه ابنه عبد الله عام ٤٣٠هـ (١٠٣٨م)، ولقبه بالناصر، واستوزر له ذا الوزارتين ابا الاحوص معن بن محمد بن صمادح، وخطب فى المريه للمؤيد هشام المنصب باشبيليه[2].

غير ان رئاسة عبد الله للمريه لم تدم طويلا، إذ سرعان ما استغل معن بن صمادح فرصة غياب المنصور، ووفاة ابنه عبد الله، ودعا لنفسه وانتزى بالمرية فى سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١م)[3]، وباستقلاله بها تبدأ صفحة جديدة فى تاريخ هذه القاعدة.

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣، ص٢٠٢.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٣، ص١٩٢، النويرى (أحمد بن عبد الوهاب)، نهاية الارب فى فنون الادب: الباب الخامس من القسم الخامس، نسخة مصورة من دار الكتب المصرية ١٩٥١، مودعة بمكتبة الاداب الاسكندرية رقم ٢٢ م ص٩١.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣، ص١٩٢، ١٩٣.

الفصل الثالث

المرية فى ظل بنى صمادح حتى استيلاء المرابطين عليها

الفصل الثالث

المرية فى ظل بنى صمادح حتى استيلاء المرابطين عليها

أولاً : قيام دولة بنى صمادح فى المرية

أولوية بنى صمادح :

ينحدر بنو صمادح من أصل عربى، فهم من ولد عبد الرحمن بن عبد الله ابن المهاجر بن عميره، وتعد قبيلة عميره من تجيب من أشهر وأعرق قبائل العرب التى نزحت إلى بلاد الاندلس، وفى عهد عبد الرحمن بن عبد الله يجتمعون مع بنى هاشم التجيبيين اصحاب سرقسطه، فهذان الفرعان ينتميان إلى تجيب(١).

وقد كان ابو يحيى محمد بن صمادح جد المعتصم بن صمادح مؤسس الدولة من قواد محمد بن أبى عامر، ولاه الولايات وقاد له الجيوش(٢)، ثم تولى مدينة وشقه واعمالها، ولما تولى سليمان المستعين الخلافة سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢م) نال ابو يحيى ثقته وتقديره واقره على ولاية وثنى له الوزارة، إذ كان سياسياً بارعا، ومحاربا قديراً، ومحدثاً لبقا، ولم يكن فى أصحاب السيوف من يعدله فى خلاله هذه(٣) وكان يرتبط مع ابن عمه منذر بن يحيى التجيبى، صاحب سرقسطة بصلات وديه وثيقة إلا أن هذه الصلات لم تلبث أن ساءت بينهما بمجرد انتهاء دولة سليمان الظافر وقيام بنى حمود باغتصاب الخلافة فى سنة

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق ١ ، م ٢، ص ٢٣٦، ابن الأبار : الحلة السيراء، جـ٢، ص ٧٨، وما بعدها،

Dozy (R) : Essai Sur L'histoire des Todjibides, Les Banu Hachim de Saragosa et les Banu Smadih D'Almeria, Recherches, I, PP. 211 - 291;

وقد ذكر ابن الخطيب : نقلا عن ابن الصيرفى، أن صمادح هو اسم امرأة هى صمادح بنت عبد الرحمن بن عبد الله بن المهاجر بن عميره، وأن هذا الفرع عرف باسم أمهم، «أعمال الاعلام : ص ١٨٩»، غير أن هذا الرأى يعارضه ما جاء فى قول ابن حزم أن صمادح هو جدهم «جمهرة أنساب العرب : تحقيق ليفى بروفنسال، ص ٤٠٥» وما أورده ابن الابار «الحلة السيراء – ٢، ص ٧٨» وكذا ما ثبت فى البيان المغرب لابن عذارى، جـ٣، ص ١٧٣.

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق، جـ ٣ ، ص ١٦٧.

(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق ١ ، م٢ ، ص ٢٣٦، ابن عذارى : البيان المغرب : جـ ٣ ، ص ١٧٣، أبن الخطيب : أعمال الاعلام «القسم الخاص بالاندلس»، ص ١٨٩.

٤٠٧ هـ (١٠١٦م)، فاضطربت العلاقات بين ابى يحيى ومنذر، فسار الأخير فى قوات كبيرة إلى وشقة، وحارب ابا يحيى وانتصر عليه وتمكن من الاستيلاء على وشقه اما ابو يحيى فقد نجا بنفسه واهله وولده وفى ذلك يقول ابن حيان : «فلم يلبث أن تفرجت الحال بينهما بعد مضى سليمان، وتحاربا على ملك وشقه، فعجز ابن صمادح عن منذر لكثرة جمعه، واسلم له البلد وفر بنفسه، فلم يبق بالثغر متعلق، وكان أول ساقط من الثوار، لم يتمل سلطانه ولا أورثه من بعده»[١].

ووجد أبو يحيى فى كنف المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن ابى عامر صاحب بلنسيه مجالا طيباً للمقام، فقد رحب بمقدمه وأكرم وفادته وتعهده بالرعاية والحماية وتوثقت العلاقات الطيبة بينهما بالمصاهرة، فقد قبل المنصور أن يزوج أختيه إلى ولدى أبى يحيى : معن بن مصادح وأبى عتبه صمادح، ثم عزم أبو يحيى على المضى إلى المشرق والظاهر أنه كان يستهدف الرحلة إلى بغداد سعياً إلى الظفر بتأييد الخليفة العباسى ليعود بعد ذلك وقد حمل معه السند الشرعى فى الحكم ما يتيح له أن يؤسس ملكا، ولكن لم يقدر له أن يحقق امنيته اذ مات غريقا فى البحر، وبقى ابنه معن فى كنف صهره المنصور عبد العزيز[٢].

وكان المنصور عبد العزيز قد استخلف ابنة عبد الله الناصر على المرية[٣]، بعد أن بلغة خروج مجاهد اليه طامعا، ولكن عبد الله لم يلبث أن توفى كما قدمنا[٤]. فاضطهر المنصور إلى تقديم صهره معن بن صمادح على المرية عاملا عليها من قبله سنة ٤٣٢ هـ فتلقب هذا بذى الوزارتين، وانتهز اشتغال المنصور بمحاربه مجاهد صاحب دانيه فخطب فى المرية للمؤيد هشام المنصوب باشبيليه منذ سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٨م)[٥] تمهيداً للخروج على المنصور والانفراد بحكم المرية.

---

(١) ابن بسام : المصدر السابق، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٣٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب، جـ٣، ص ١٧٣ ، ابن الخطيب : المصدر السابق، ١٨٩ .

(٢) ابن الابار : الحلة السيراء : جـ٢، ص ٨١.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، جـ ٣، ص ١٩٢.

(٤) راجع ما فات هنا : ص ٩٨.

(٥) ابن عذارى : المصدر السابق، جـ٣، ص ١٩٢.

ولم يمض على ذلك عهد قصير حتى ثار على صهره سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١م) فغدر به وانتزى عليه، وخلع طاعته ودعا لنفسه[١]، واستبد بضبطها، ويعبر ابن حيان عن هذا الحدث بقوله : «فكان شر خليفة استخلف، فلم يكد يوارى وجهه عبد العزيز عنه حتى خان الأمانة، وطرده من الامارة، ونصب له الحرب، فغرب فى اللؤم ما شاء، وتنكب ابن أبى عامر التوفيق لا سترعائه الذئب الأزل على ثلته، ومسترعى الذئب أظلم، وكان من العجب أن تملاها ابن صمادح وخلفها ميراثا فى عقبه»[٢]، وحاول المنصور ان يسترد سلطانه على المريه، فحارب أبا الاحوص معن بن محمد بن صمادح ولكنه لم يظفر منه بطائل[٣].

ويورد العذرى رواية اخرى، يفهم منها أن المنصور ولى على المرية أبا الاحوص معن بن صمادح، فوليها هذا هو وأخوه أبو عتبه، إلى أن أرسل المنصور إلى أهل المرية بطلب تعيين خواص منهم، فاجتمع أهلها ورغبوا فى تنصيب ابى الاحوص معن عليهم واستشاروا فى ذلك باديس بن حبوس صاحب البيرة وغرناطه واعمالها، الذى ساعد معن فى القيام على المنصور والاستقلال بالمرية سنة ٤٣٣هـ (١٠٤١م)[٤]. ونعتقد أن هذه الرواية مبالغ فيها ونرجح ان ابا الاحوص معن عمد بعد أن خرج على طاعة المنصور إلى كسب تأييد جيرانه من ملوك الطوائف فصالح صنهاجه غر ناطه، فاستقامت له الأمور[٥] إلى أن توفى فى سنة ٤٤٣ هـ (١٠٥١م).

وبفضل علاقات الصداقة والمودة التى جمعت بين معن وباديس استقرت

---

(١) ابن سعيد : المغرب، جـ٢، ص ١٩٥، ابن عذارى : جـ٣، ص ١٦٧.

Dozy (R) : OP. Cit., I, P. 241.

(٢) فى ابن بسام : الذخيرة : ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٣٧، ابن عذارى : البيان المغرب، جـ ٣ ، ص ١٧٤.

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق، جـ٣ ، ص ٢٩٣.

(٤) ترصيع الاخبار، ص ٨٤، ويؤيد هذا ما ذكره الامير عبد الله بن بلقين الزيرى بقوله : «وعضد جدنا (أى باديس) رحمة الله – لرياسة (أى لمعن ابن صمادح)، واثباته له فى ملكة عند قيام ابن أبى عامر عليه» (مذكرات الامير عبد الله، ص ٤٤).

(٥) ابن عذارى : المصدر السابق، جـ ٣ ، ص ٢٩٤.

دعائم دولته ودانت له لورقة وبياسة وجيان وغيرها[١].

وكان معن بن صادح من أهل الدهاء والفضل والعلم والاداب، فنعمت المرية فى عهده باستقرار لم تشهده من قبل، كما نعم اهلها بحياة هادئة يسودها السلم والامن والرخاء وتبوأت مكانا فريدا بين دويلات الطوائف الاخرى، وكان لاعمال معن الجليلة اثرها فى أن «انتهى بالمرية فى دولته الريع منتهاه، وأوثر بلده على بلد سواه، للسيرة الجميلة والخصال المحمودة، وحمل الناس على العدل والانصاف، وكان قد سد باب البغى»[٢].

ويتبين لنا مما سبق أن معن بن صادح صاحب الفضل الاعظم فى قيام دولة بنى صمادح بالمرية وانه المؤسس الحقيقى لهذه الدولة، وظل معن يتولاها زهاء عشر سنوات إلى أن توفى بقصبة المريه سنة ٤٤٣ هـ (١٠٥١م)[٣].

احداث المريه فى عهد المعتصم :

وبعد وفاة معن بن محمد بن صمادح خلفه ولده ابو يحيى، فبايعه بنوعمه ورجاله وهو لم يستكمل ثمان عشرة سنة[٤]، ويذكر الحجارى أنه ملك المريه وهو ابن اربع عشرة سنة [٥]، ويؤيده فى ذلك ابن الاثير ويضيف عليه بأن ابا يحيى كفله عمه ابو عتبه بن محمد واستمرت وصايته عليه مدة ثلاث سنوات، توفى بعدها ابو عتبه وبقى يحيى مستضعفاً لصغر سنة[٦]، ولم يبلغ الرشد بعد.

وكان معن قد اخذ البيعه له فى حياته، بعد أن عرضها على اخيه ابى عتبه ابن صمادح الذى رفضها واعتذر عنها[٧]. فتمت البيعة لابى يحيى محمد بن

(١) ابن الاثير : الكامل، جـ ٧ ، ص ٢٩٣، راجع ايضاً :

Dozy (R) : OP. Cit., I; P. 242.

(٢) العذرى : ترصيع الاخبار، ص ٨٤.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، جـ٣، ص ١٦٧، ص ٢٤٠، ابن الاثير : الكامل، جـ ٧ ، ص ٢٩٣.

Dozy (R) : OP. Cit., I; P. 241.

(٤) ابن الابار : الحلة السيراء، جـ٢، ص ٨١.

(٥) ابن سعيد : المغرب، جـ٢، ص ١٩٦.

(٦) ابن الاثير : الكامل، جـ٧، ص ٢٩٣.

(٧) ابن الابار : المصدر السابق، جـ٢ ، ص ٨١.

ابن صمادح وارتقى ذروة الامارة، ولقب نفسه بـ «معز الدولة»[١] . ولم يلبث أن تلقب بـ «المعتصم بالله» ، و «بالواثق بفضل الله» ، عندما اقدم ملوك الطوائف على التلقب بهذه الالقاب الخلافية التى اصبحت سمة من سمات هذا العصر[٢] ، ويقال أنه تلقب ايضا بالرشيد[٣] .

ولقد كان لصغر سن المعتصم بن صمادح – الذى لم يبلغ الرشد – اثره فى تطلع ذوى المطامع فى دولته، فضعف شأنه فى الحكم، وتمزقت مملكته حتى انحسرت[٤] . فلم يكد يظفر بالامارة حتى ثار عليه ابن شبيب عامل ابيه على لورقة – وكانت من أعمال المريه، وحدها الشمالى الشرقى المجاور لبلنسيه – وانتزعتها من دولته[٥] . ولما ادرك عزم المعتصم على محاربته التمس مساندة المنصور عبد العزيز بن أبى عامر صاحب بلنسيه، ولم يتردد المنصور فى المبادرة بتقديم كل عون عسكرى له مدفوعا فى ذلك بحقده على معن بن صمادح وابنه لانتزائهما بالمريه واعمالها وانفرادهما بحكمها، أما المعتعصم فلما بلغه خروج ابن شبيب عليه واستقلاله بلورقه ومساندة المنصور له، رأى أن يجدد الحلف القائم فى أيام ابيه بين المريه وغرناطه فتحالف مع باديس الذى زوده بكل ما يحتاج إليه من عدة وعتاد، واعد المعتصم جيشاً قوياً بقيادة عمه ابى عتبه بن محمد، اشتبك مع عامل لورقه فى معركة ضارية لم تؤدى إلى استرجاع هذه المدينة ولكن اباعتبه تمكن من الاستيلاء على بعض حصونها يؤكد ذلك ما ذكره ابن خلدون بقوله : «فقاتلوا حصونا من حصون لورقه واستولوا عليها ورجعوا»[٦] .

ولكننا نستدل من رواية ابن الاثير على أن المعتصم فقد لورقة نهائياً، وأن ملكه اقتصر على المريه وما جاورها فقد ذكر ابن الاثير أن «أخذت بلاده البعيدة عنه ولم يبق له غير المرية وما يجاورها»[٧] والمقصود بالبلاد الواردة فى هذا النص لورقة التى

(١) ابن الابار : المصدر السابق، جـ٢، ص ٨١.

(٢) ابن الابار : نفس المصدر، جـ٢ ، ص ٨١، ابن عذارى : البيان المغرب، جـ٣، ص ١٦٨ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق ١ ، م ٢، ص ٢٣٨ .

(4) Priets Y Vives : Los Reyes de Taifas; P. 61.

وأنظر ايضاً، كليليا سارنلى : مجاهد العامرى، ص ٧٤.

(٥) ابن خلدون : العبر، جـ ٤ ، ص ١٦٢ .

(٦) كتاب العبر، جـ٤ ، ص ١٦٢ ، وأنظر أيضاً ،

Dozy (R) : OP. Cit., I; P. 242.

(٧) الكامل فى التاريخ : جـ ٧ ، ص ٢٩٣

تشكل الحد الشمالى الشرقى للمريه - كما سبق القول - وأخذت هنا بمعنى أغتصبت، وهذا يدل دلاله قاطعة على فقدها نهائياً وخروجها من أعمال المرية.

وهكذا استقل ابن شبيب بحكم لورقة، وخلفه على حكمها اخوته الثلاثة بالتعاقب، وقد اعترف آخر الاخوة الثلاثة بطاعة ابن عباد صاحب اشبيليه ومن ثم دخلت لورقة فى أعمال اشبيلية منذ ذلك الحين حتى سقوط اشبيلية فى ايدى المرابطين فى سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١)[١]. ومع ذلك فقد حاول المعتصم ابن صمادح مناوءه خصومه واسترجاع بعض املاكه فقد انتهز فرصة وفاة المنصور عبد العزيز ابى عامر فى سنة ٤٥٢ هـ (١٠٩٠م)، واستخلاف ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر، وسير قوة من جيشه للاعارة على حصن من عمل تدمير مستعيناً فى ذلك بحليفه باديس بن حبوس صاحب غرناطه، الذى لم يتردد فى تقديم العون له «لما كان يعتقده من العصبية البربرية ويذهب إليه من ازدراء فرقة الاندلسيين»[٢]. إلا أن عامل هذا الحصن ابدى من الشجاعة والاستبسال والصمود ما احبط هذا الهجوم، فلم يظفر بطائل وانتهت الحملة بالفشل[٣].

وعلى الرغم من الحلف القائم بين المريه وغرناطة وارتباط المعتصم وباديس بصلات وثيقة من الصداقة والود اثبتت وجودها عدة مرات فان المعتصم كان فى اعماقة اندلسياً يكره الطائفه البربرية ويتعصب للطائفه الاندلسية، وليس ادل على ذلك من تلك المناظرة التى وقعت بين المعتصم وبين الشاعر خلف بن فرج السميسر والتى انتهت بقول المعتصم للشاعر «لقد احسنت فى الاساءة إليه (أى إلى ابن بلقين صاحب غرناطة)[٤]. والظاهر أن المعتصم لم يلجأ إلى محالفة باديس إلا

---

(١) عنان : دول الطولف، ص ١٦٤.

(٢) ابن بسام : الذخيرة، ق ١ ، م ٢، ص ١٢٨.

(٣) يذكر ابن بسام : «وفاتن (أى المعتصم) ابن خالة عبد الملك بن عبد العزيز المنصور وام يزع فيه حق صهره يحيى بن ذى النون كبير أمراء الأندلس، فعمد له على حصن من عمل تدمير وثب فيه لعامل عبد الملك، وجرت بينما خطوب، واستعان بحليفه باديس واستمده على ما ذهب اليه من الفتنة» (الذخيرة، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٣٨).

(٤) المقرى : نفح الطيب، جـ٤، ص ٣٨١، وكان المعتصم صاحب المرية قد بلغة هجاء الشاعر السميسر له وللمرية فى قوله :

بئس دار المرية اليوم داراً ... ليس فيها لساكن ما يحب
بلدة لا تمار الا بريح ... ربما قد تهب أو لا تهيب

=/=

بدافع من حرصه على استرجاع املاكه فحسب[1].

ولم تلبث العلاقات الودية بين المعتصم وباديس أن فسدت عندما اكتشف باديس اطماع المعتصم فى ضم املاكه إليه، وربما يرجع سبب ذلك إلى مكائد يوسف بن نغرالة اليهودى وزير باديس، الذى كان يسعى إلى الاطاحه بباديس وتمكين المعتصم من الاستيلاء على غرناطة ذاتها، أو على حد قول عبد الله بن بلكين كان متهيئاً «لفتح ابوابها (أى ابواب غرناطة) متى جسر وطرقها»[2].

فدس إلى المعتصم بن صمادح صاحب المريه فى السر يستحثه على المجئ ويعده بأن يدخله غرناطه[3]، ولم يتردد المعتصم لحظة واحدة فى اغتنام الفرصة وخرج بقواته متجها نحو غرناطة وتمكن من الاستيلاء على بعض اعمال غرناطه الشرقية وعلى حصن آش[4]، واغارت بعوثه على غرناطه[5]. وقد ترتب على هذه الاغارات أن فقدت غرناطة معظم اراضيها الشرقية، فلم يتبق فى حيازتها بهذه المنطقة إلا حصن قبريره الواقع على مقربه من غرناطه فى طريق وادى آش[6]، أما غرناطه نفسها فلم يجسر المعتصم على غزوها[7].

=/= (فى ابن بسام : الذخيرة، ق ١ ، م ٢ ، ص ٣٧٤، المقرى : المصدر السابق، جـ٤، ص ٣٦٠.

فأمر المعتصم باحضار هذا الشاعر واحتال فى ذلك حتى مثل بين يديه، فقال له : أنشدنى ما قلت، فقال له : وحق من جعلنى فى يدك ما قلت شراً فيك، وانما قلت :

رأيت آدم فى نومى فقلت له	أبا البرية أن الناس قد حكموا
أن البرابر نسل منك، قال اذن	حواء طالقة ان كان ما زعموا

فاباح ابن بلقين صاحب غرناطة دمى، فخرجت إلى بلادك هاربا، فوضع على من أشاع ما بلغك عنى لتقتلنى أنت، فيدرك ثأره بك، ويكون الاثم عليك، فقال : وما قلت فيه خاصة مضافا إلى ما قلته فى عامة قومه؟ فقال : لما رأيته مشغوفاً بتشييد قلعته التى يتحصن فيها بغرناطة، فقلت :

يبنى على نفسه سفاهاً	كأنه دودة الحرير

(راجع المقرى : المصدر السابق، جـ٤، ص ٣٨١، ٣٨٢، راجع أيضاً : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المرية الاسلامية، ص ٧٦ ، ٧٧ ، وقرطبه حاضرة الخلافة فى الاندلس، جـ١ ، ص ١٣).

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المرية الاسلامية، ص ٧٩.

(٢) الامير عبد الله : مذكرات الامير عبد الله، ص ٥٣.

(٣) البيان المغرب، جـ٣، ص ٢٦٦.

(٤) الامير عبد الله : المصدر السابق، ص ٥٣ ، ٥٤.

(٥) ابن الخطيب : الاحاطه، جـ٢ ، ص ٤٤٨.

(٦) الامير عبد الله : مذكرات الامير عبد الله، ص ٥٣ ، ٥٤.

(٧) نفس المصدر، ص ٥٤.

لكن باديس لم يقف مكتوف اليدين، فقد دفعته أطماع المعتصم بن صمادح فى مملكة غرناطة إلى التحرك لإسترداد ما انتزعه منها ونجح بمعاونة ابن ذى النون صاحب طليطلة فى استرداد وادى آش، وكان باديس قد بعث إليه «يعلمه بمادهمه من الأمر، ويسأله صلة يده به، وأنه ما انصرف إليه من البلاد أعطاه منها ما أحب واختار»[1]. فسارع ابن ذى النون إلى إجابته مدفوعا هو الآخر باطماعه، فقد كان «من الطمع فى غاية لم ينته إليها ملك»[2]، ولحق بباديس وهو يحاصر وادى آش، وتمكنا من انتزاعها من المعتصم، وبرباديس بوعده فتنازل لابن ذى النون عن بسطة كما طلب[3].

واستشعر المعتصم بمشاعر الندم لما اجتزمه فى حق باديس حليفه وحليف ابية، فأرسل إلى باديس يسأله العفو والاغضاء على ما بدر منه ملقيا اللوم على اليهودى ابن نغراله – وزير باديس – الذى استحثه على فعلته، فقبل باديس اعتذاره[4].

واستمرت العلاقات الطيبة قائمة بين المعتصم وباديس ولكنها تغيرت عقب وفاة الاخير وتولية حفيده عبد الله بن بلقين اميراً على غرناطه. وفى عهد الامير عبد الله وقعت منازعات كثيرة بين المعتصم وبينه، بدأت عندما لجأ ابن ملحان قائد مدينة بسطة إلى المعتصم وذلل له مهمة الاستيلاء عليها وعلى حصن شيلس[5]، منتهزاً فرصة انشغال عبد الله بن بلقين بمواجهة ابن عباد ويرجع سبب تصرف هذا القائد إلى مضايقات وزراء الامير عبد الله له بطلب المال، «فلم يجد سبيلا إلى الدفاع عن نفسه، ولا شكوى لمن يذب عنه ويحميه فترامى على ابن صمادح وقبله»[6]. وبذلك تم للمعتصم ضم حصنى بسطه وشيلشن إلى أعمال المربه.

ولكن المعتصم اغضب بهذا المسلك الشائن الامير عبد الله صاحب غرناطة الذى عمد إلى الانتقام فهاجم اجزاء من مملكة المرية ونجح فى انتزاع حصن شنت

---

(١) مذكرات الامير عبد الله، ص ٥٦.

(٢) نفس المصدر، ص ٥٧.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) نفس المصدر والصفحة.

(٥) حصن شليشن : كذا بالاصل وقد اختلف القدماء فى رسم الكلمة فهى عند العذرى ترصيع الاخبار ص ٩٠ «شيلش» من أقاليم البيره واجزائها أما ابن الخطيب فقد رسمها «شيالش»، راجع حسين مؤنس تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس، ص ٥٨٤.

(٦) الامير عبد الله : المصدر السابق، ص ٧١.

افلج - من معاقل المعتصم - عوضاً عن حصن شيلشن، ثم صالحة مهادنه حتى ينتهى خلافه من ابن عباد[1].

ولكن السلام لم يعد بين غرناطه والمرية ولم تكن الهدنه المعقودة سوى قناعا زائفاً يخفى حقيقة الاوضاع السيئه بين الدولتين، فقد حدث ان نفى عبد الله بن بلقين أمير غرناطه وزيره سماجه، فلجأ هذا الاخير إلى المريه فلقى ترحيباً من المعتصم الذى قربه إليه واكرم وفادته، فأخذ سماجة يحقر للمعتصم دولة عبد الله بن بلقين وييسر له ويشجعه على مهاجمة غرناطة أملاً فى أن «ينال على يديه فرصة بمداخله أو ادلال على موضع قائدة»[2] ولما علم الامير عبد الله بما دبره سماجة مع المعتصم أمربنيان حصن المنتورى الواقع بالقرب من مدينة فنيانه[3]، مجاوراً لحدود المريه، وشحنه بالجند وزوده العدة والعتاد انتظاراً لما قد يحدث من جانب صاحب المرية، وقد سبب شحن هذا الحصن بالعدد والالات مضايقات للمعتصم، ولكن عبد الله ابن بلقين لم يكتف باقامة هذا الحصن بل شرع فى بنيان سبعة حصون اخرى لتمكين الدفاع عن حدود بلاده مع المرية وغلق المناطق المتاخمة لها فكان من اثر بناء تلك الحصون، فشل بعوث ابن صمادح ورجوعها على اعقابها[4].

وهكذا نجحت سياسة الامير عبد الله الدفاعية فى الاطاحة بتدبير سماجة والمعتصم وعلى الرغم من العداء القائم بين المعتصم وعبد الله إلا أن هذا الاخير كان يبدى كثيراً من النوايا الطيبة للتصالح والمهادنة مع المعتصم جاره وحليفه القديم وبفضل هذه المشاعر الطيبة من جانب عبد الله الزيرى ساد الصلح بينهما وانتهى الامر بأن اصدر عبد الله بن بلقين امره بهدم تلك الحصون - التى كان قد بناها فى منطقة حدوده الشرقية مع المرية كما سبق القول - توكيداً لنواياه الطيبه وحفاظاً

---

(١) مذكرات الامير عبد الله، ص ٧١.

(٢) مذكرات الامير عبد الله، ص ٨٨.

(٣) فنيانه Finana ، وتعرف بالحصن «الادريسى : صفة المغرب، ص ٢٠١» من أعمال المريه وتقع على مسافة ٣٠ كيلو متراً جنوب شرق وادى آش «الحميرى : الروض المعطار، ص ١٤٣ والترجمة الفرنسية ص ١٧٢هـ ٢»، وصفها ابن الخطيب بأنها غزيرة السقيا والثمار «مشاهدات لسان الدين من الخطيب ص ٨٩، حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس، معهد الدراسات الاسلامية مدريد سنة ٦٧ ، ص ٥٦٨».

(٤) مذكرات الامير عبد الله، ص ٨١

على المهادنه بينه وبين المعتصم، ويعبر الأمير عبد الله عن ذلك بقوله «فصالحت الرجل، وأمرت بهدم تلك الحصون ونشرت المريه من كفن[1]».

ثانياً : ازدهار المريه فى عهد المعتصم

ازدهرت المرية فى عصر المعتصم فى مختلف مناحى الحياة ادبية ومادية، وكان من ابرز مظاهر ذلك الازدهار تلك النهضة العمرانية التى شملت المدينة وتمثلت فى اتساع المرافق المختلفة ونمو العمران وزيادة البنيان، ويسجل العذرى شواهد ناطقة عن هذه النهضة العمرانية، فيشير إلى الزيادة التى أجراها المعتصم فى قصبة المرية عندما شرع فى إعادة بنيانها والزيادة فى رفع سورها مبالغة منه فى تحصينها ومنعتها، هذا بالأضافة إلى اهتمامه بتشييد القصور الفخمة واهمها ذلك القصر الكبير الذى كان يشرف من الجهة الشمالية على جبل ليهم ويعرف بالصمادحية، ومن المعروف أن المعتصم اقام فى الجهة القبلية من القصر الكبير بستانا عظيم الاتساع، غرسه بمختلف النوى والفواكه المعروفة فى الاندلس والغريبة عنها، وقد ذاعت شهرة هذا البستان وعظمته إلى حد عجز معه المؤرخون عن وصفه[2]، واتخذ المعتصم قبلى القصر مجلساً رائعاً فتحت ابوبه وجعل له دففا[3] على نسق دفف المشرق بل تفوقها فى غرابة النقش والاتقان وفرش هذا المجلس بالرخام الابيض سطحه وازره، ثم شيد فى الجهة القبلية منه داراً كبيرة اتقنت بكل انواع التذهيب وغريبه مما يحار فيه النظر، كما أقام فيما يلى تلك الدار جنوباً مجلساً مقربساً[4] «بالرفوف المزوقه المنفوشه المنزول[5] فيها الذهب الطيب مفروش بالرخام الابيض وقد ازر بالرخام المنقوش ... وفى ذلك النقش تاريخ بناه والذى امر به»[6]، ويلى صحنه

---

(١) مذكرات الامير عبد الله، ص ٩٠.

(٢) ترصيع الاخبار، ص ٨٤ ، ٨٥.

(٣) دفه «بفتح الدال المهمل» أو دفه «بضم المهمله» كما تنطق فى أسبانيا، الجمع دفف ودفاف، ضرابه – أى مطرقه معدنية تعلق بالباب، راجع :

Dozy, Supplement I, P. 447 b.

(٤) مقر بصات وتقابل بالاسبانية Almocarabes زخرفة تشبه عش النحل بين حوفاتها الصغيرة دلايات منشورية الشكل (راجع جوميث مورينو، المرجع السابق، ص٤٨٨).

(٥) المنزول فيها الذهب بمعنى المرضعة بالذهب هى تقابل بالفرنسية Enchasser كما جاء فى :

Dozy : OP. Cit., II. P. 660 a.

(٦) العذرى : المصدر السابق، ٨٥.

من الجهه القبلية ابواب نصبت عليها شراجب[1] تطل على جميع مدينة المريه كما تطل ايضاً على بحرها ومرساها، وإلى شرق هذا القصر اقام المعتصم داراً للحكم[2].

ومن اعظم مناقب المعتصم ومآثره التى ذاع أمرها اهتمامه بالمنشآت الدينية وحرصه على استكمال المرافق العامة المتعلقة بهذه المنشآت فمن ذلك على سبيل المثال أنه زود جامع المريه (فى أول رمضان سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٥م) بسقاية للمياه تصب فى حوض اقيم لهذا الغرض يقع غربى الجامع، ومن هذه السقاية أجرى قناة كانت تصل إلى ما وراء القصبة تسرى مياهها فى سرب جوفى إلى البئر الذى أقيم فى جوافى القصبة، وعلى هذا البئر اقام المعتصم سواقى يسنى فيها، ويصل ماؤها إلى الرياض التى تحف داره المعروفة بالصمادحية[3].

ولم تقتصر اعمال المعتصم على المرية نفسها بل تجاوزت نطاقها إلى ما حواليها، فقد أقام بستانا، وشيد قصوراً محكمة البناء غريبة الزخرفة والتنميقات، وغرس فى البستان انواعا مختلفة من الاشجار المعروفة والغريبة كالموز وقصب السكر كما أقدم فى وسط هذا البستان بحيرة عظيمة حاطها بمجالس مفتحة مطلة على البحيرة كسيت ارضها بالرخام الابيض. وعرف هذا البستان بالصمادحية، اسهب الشعراء والادباء فى وصفه[4] وكان يقع على مقربة من مدينة المرية، وكان بتصل بالصمادحية روضات اخرى مماثلة[5].

ولعل الغريب فى كل هذا، أن هذا الغلو فى التأنق المعمارى والاسراف فى الابهة والترف لا يتناسب مع صغر ملك المعتصم[6].

(١) شراجب، بمعنى صف برامق «قوائم أو أعواد» مثل السياج الخشبى الذى تتقاطع فيه الأعواد على شكل رقعة الشطرنج.

(٢) العذرى : المصدر السابق، ص ٨٥.

(٣) العذرى : ترصيع الاخبار، ص ٨٥، وأنظر أيضاً : السيد عبد العزيز سالم تاريخ مدينة المريه الاسلامية، ص ٧٧ - ٧٨.

(٤) المقرى : نفح الطيب، جـ٢، ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٥) العذرى : المصدر السابق، ص ٨٥.

(٦) ابن خاقان : تلائد العقبان، ص ٥٣، وأنظر أيضاً :
Pérés (Henri) : La Poésie Andalouse en arabe Chassique au XIe Siécle, P. 143, Paris, 1937.

وإلى جانب هذه النهضة المعمارية الكبرى التى اتسم بها عصر المعتصم كانت هناك نهضة أخرى ادبية ساعد المعتصم نفسه على دفعها، فلقد كان المعتصم عندما تولى امارة المرية غلاما لم يبلغ الرشد بعد، فلما كبر أخذ نفسه بالعلوم ومكارم الاخلاق، فذاع صيته واشتهر ذكره، وعظم سلطانه(١) فكان المعتصم صاحب ذوق ادبى رفيع ينظم الشعر(٢)، ويرتاح لسماعه كثيراً(٣)، فاجتذب الشعراء بنعمة وجزيل عطاياه، فانتجعوه من كل قطر وقصدوه من كل أوب وكان يعقد لهم مجالس يتبارون فيها النظم، ولهذا لزمه جملة من فحول شعراء العصر(٤). أمثال ابى عبد الله بن الحداد(٥)، وابن عبادة(٦):

وإلى جانب ولعه بالشعر ومجالسه كان المعتصم يتصف برجاحة العقل. والطهروالاهتمام بالدين وإقامة الشرع، ولذلك لم تقتصر مجالسه كما بينا على الشعر فحسب بل كان يعقد بقصره مجالس للمذاكرة فى العلوم الدينية ومما يروى فى ذلك انه كان يخصص يوم الجمعه لمجالسةالفقهاء والخواص، يتناظرون فى حضرتة فى كتب التفسير والحديث(٧)، ومن بين من كان يتردد على مجالسة ابو

(١) اب الاثير : الكامل،جـ٢، ص ٢٩٣، ٢٩٤، وأنظر أيضاً :

Dozy (R) : Op. Cit., I. PP. 245, 247.

(٢) ابن خاقان : القلائد، ص ٥٣، ٥٥، وأنظر أيضاً :

Pérés : Op. Cit., P. 143.

(٣) ابن سعيد : المغرب ، جـ٣ ، ص ١٩٦.

(٤) ابن بسام : الذخيرة، م٢، ق ١ ، ص ٢٣٩، وأنظر أيضاً، ابن عذارى : البيان المغرب، جـ٣، ص ١٧٥، ابن الخطيب : أعمال الاعلام، ص ١٩٠، ١٩١.

Dozy (R) : Op. Cit., I. PP. 248, 259.

(٥) أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادى آش، ويسمية البعض مازن، من شعراء القرن الخامس الهجرى، اختص بمدح معن بن صمادح ونظم فيه أمداحا كثيرة، توفى سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧م)، راجع ابن بسام : الذخيرة، م، ق١، ص ٢٠١ وما بعدها، ابن سعيد : المغرب، جـ٢، ص ١٤٣، ابن الابار : الحالة السيراء، جـ٢، ص ٨٢ ، هـ ١،

Dozy : Op. Cit., I. P. 253.

(٦) أبو عبد الله محمد بن عبادة المعروف بالقزاز، كان شاعر، معن بن صمادح : أنظر عنه، ابن بسام الذخيرة :، م٢، ق١، ص ١٩٦، ابن سعيد : المصدر السابق جـ٢، ص ١٣٤، وما بعدها، المقرى : أزهار الرياض، جـ٢، ص ٢٥٣.

(٧) ابن الابار : الحلة السيراء، جـ٢، ص ٨٢، ص ٨٣، وراجع أيضاً :

Dozy : Op. Cit., I. P. 245.

بكر محمد بن مالك القرطبى(١)، والاسعد بن إبراهيم بن بليطة القرطبى(٢).

ولعل شهرة بنى صمادح الادبية ترجع إلى المعتصم نفسه(٣) إذ كان شاعراً مجيداً وناقداً لاذعا، وكان بلاطه ملتقى الأدباء والعلماء فى عصره، وكان وزيره ابو الاصبغ عبد العزيز بن ارقم شاعراً قديراً يحسن الوصف والمديح كما أتصف هذا الوزير بالوفاء(٤) كذلك كان بلاط المعتصم ينافس فى مجالسة الادبية، وفى رعايته للشعراء والادباء بلاط اشبيلية(٥)، ويعلق الاستاذ هنرى بيريس على تألق الحياة الادبية فى عصر الطوائف بقوله : «لم يكن ملوك الطوائف يتنافسون فى المجال السياسى فحسب، بل تجاوزوا ذلك إلى مجال آخر ذلك هو أنهم كانوا يحوطون أنفسهم بكتاب عرفوا بفصاحتهم وبراعتهم التى مكنتهم من التبريز فى مجالس الادب(٦).

وحافظت المريه على هذا التألق الأدبى والازدهار العمرانى إلى أن انقرض ملوك الطوائف ودانت الاندلس للمرابطين.

ثالثاً : الأوضاع السياسية فى الاندلس قبل دخول المرابطين

أخذت الاحوال السياسية فى الاندلس تتطور تطوراً سريعاً قبيل ظهور المرابطين(٧) على المسرح السياسى فى الاندلس، فقد أدى انقسام الاندلس فى

(١) كان بارعا فى الشعر والنثر، أنظرعنه، ابن بسام : الذخيرة، م٢، ق١، ص ٢٤٥ وما بعدها.

(٢) الاسعد بن ابراهيم بن بليطة، توفى فى حدود ٤٤٠ هـ (الحميدى «أبو عبيد الله محمد بن أبى نصر فرج بن عبد الله الازدى» جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الاندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦، ص ١٧٦، ترجمة (٢٣٠) قال عنه ابن بسام «فارس جحفل، وشاعر محفل، فجرى فى الميدانين، وارتزق فى الديوانين (الذخيرة ق١، م٢، ص ٢٩٠ وما بعدها، ذكره ابن الابار : الحلة السيراء، جـ٢، ص ٨٣، ابن سعيد : المغرب، جـ٢، ١٧، المقرى : نفح الطيب، جـ٥، ص ١٩٣).

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، جـ٣، ص ١٧٥، ابن بسام، المصدر السابق، م٢، ق ١، ص ٢٣٩.

(٤) المقرى : المصدر السابق، جـ٥، ص ٤٥.

(٥) عنان : دول الطوائف، ص ١٦٥.

(6) Pérés (Henri) Op. Cit., P. 23.

(٧) المرابطون أو الملثمون، قوم صحراويون من قبائل صناجه اللثام، خرجوا من الصحراء برسالة دينية تقوم على جهاد الخارجين عن الدين من قبائل براغوطة وغمارة فى بلاد المغرب شمالاً وأسسوا =

أعقاب انهيار الخلافة الاموية بقرطبة إلى ظهور العنصرية بين مختلف أجناس المسلمين فى الاندلس من عرب وبربر وصقالبة، وتصدت كل طائفة من هذه الطوائف أمام الاخرى إلى أن استقر الأمر على طائفتين احداهما اندلسية والاخرى بربرية، استعانت كل منهما بعناصر اسبانية من نصارى الشمال الذين وجدوا فى ذلك فرصة مواتية للقضاء على دولة الاسلام فى الاندلس[1]. والقيام بدور جديد يمكننا أن نطلق عليه بحق حركة الاسترداد Reconquista ولم تلبث قوى الاسلام أن تفككت وتمزقت اشلاء بسبب هذا الصراع بين الطائفتين واستنفذت المعارك والاشتباكات المتواصلة هذه القوى الاسلامية فوهنت وتخاذلت فى الوقت الذى بدأت قوى المسيحية تتحدد وتتضامن فيما بينها بفضل مبادرة الملك شانجة العظيم Sancho el Mayor الذى استطاع فى سنة ٢٩١هـ (١٠٠٠م) أن يحقق تحت تاجه اتحاداً يضم قشتالة وليون وجليقية[2]، وأن يربط بين باقى الممالك المسيحية عن طريق المصاهرات[3]. وعلى هذا النحو أمكنة أن يبسط سلطانة على اسبانيا النصرانيه من جبال البرتات إلى ما وراء شنت ياقب وحتى نهر دويره فيما يلى هضبة الجزيرة

=/=

قوية نصرت الاسلام وادت الرسالة على احسن وجه (راجع فى تفاصيل قيام هذه الدولة، ابن ابى زرع (ابى الحسن على بن عبد الله الفاسى) الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الطبعة الفاسية، ١٣٠٥هـ، ابن عذارى البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب، جـ٤ (قطعة من تاريخ المرابطين) تعليق احسان عباس، دار الشروق بيروت، ١٩٦٧، مؤلف مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية، الطبعة الأولى، تونس ١٣٢٩هـ، حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة فى تاريخ المغرب فى العصور الوسطى مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٧، أحمد مختار العبادى : الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين، (مجلة كلية الآداب، جامعة الأسكندرية العدد الحادى والعشرين ١٩٦٧ مطبعة جامعة الأسكندرية ١٩٦٨، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير، جـ٢، الدار القومية للطباعة والنشر الاسكندرية ١٩٦٦ وأنظر أيضاً :

Huici Miranda (Ambrioso); La Invasion de los Almoravides Y la batalla de zallaca. (Hespéris; 1933).

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ٧١٨.

(٢) حسين مؤنس، السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين (المجلة التاريخية المصرية) المجلد الثالث العدد الأول، مايو ١٩٥٠، ص ٤١.

(٣) حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين، ص ٢٤٨.

الوسطى عند وادى الرمله الوعر[1]. ولاحت للقوى النصرانية بوادر امل لسحق القوة الواهية للاسلام فى الاندلس والمتمثلة فى تلك الدويلات الاسلامية التى قامت على اشلاء الدولة الاموية، ولكن الظروف شاءت ألا يتحقق أمل النصرانية، إذ هلك سانشو الكبير تاركا وراءه اربعة ابناء اقتسموا مملكته فيما بينهم فتصدع بذلك الاطار العام لوحدة اسبانيا المسيحية، وأدى هذا التمزق السياسى إلى انصراف هذه الدويلات المسيحية بمشاكلها الخاصة عن مواجهة الاسلام فى الاندلس وتوقف حركة الاسترداد إلى حين[2].

إلا أن حركة الاسترداد لم تلبث أن نشطت فى عهد فرناندو الأول الابن الأكبر لشانجة وتسميه المصادر العربية فرذلند ٤٢٧هـ / ٤٥٨هـ (١٠٣٥م / ١٠٦٥م) فمنذ أن تولى الملك وهو يسعى سعياً حثيثا إلى توحيد الممالك المسيحية تحت رايته ونجح فى توجيه جموع النصرانيه وجهه واحدة تستهدف مدافعه المسلمين، واستطاع أن ينتزع منهم عدداً من مدن الاندلس الكبار مثل سموره "Zamora" وقلمريه "Coimbra" وبازو "Viseu"، كما هدد بقواته دويلات الطوائف الاربع الكبرى سرقسطة وطليطله وبطليوس واشبيليه واجتاحت عساكره المناطق التابعه لها وارغم ملكى طليطلة وبطليوس على شراء سلمه بجزيه سنوية يؤديانهاإليه[3].

وفى عهد أبنه وخلفه الفونسو السادس تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ الاندلس كادت تتعرض فيها الاندلس لخطر الاسترداد القشتالى، فقد كان الفونسو أشد اصراراً على مواجهة المسلمين من ابيه فاتبع سياسة تقوم على الارهاب والتسلط وبث الغارات ترمى إلى استنزاف القوى الاسلامية ودفع ملوك الطوائف إلى الدخول فى طاعته والخضوع لمشيئته واللوذ إليه بالجزيات الفادحة حتى إذا ما أبدوا عجزهم عن ادائها تعرضوا لتنكيله وتعرضت بلادهم لعبث عساكره فيضطروا إلى قبول شروطه[4].

(١) اشباخ (يوسف) : تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين، جـ٢، ص ٩ ترجمه ووضع حواشية محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مؤسسة الخانجى، القاهرة، ١٣٧٧هـ، ١٩٥٨م.

(٢) اشباخ : المرجع السابق، ص ٩.

(٣) حسين مؤنس : السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين، ص ٤١.

(٤) مذكرات الامير عبد الله، ص ١٠١، وأنظر ايضاً، ابن الخطيب : أعمال الأعلام (القسم الثانى)، ص ٢٤٣.

ولم يكتف الفونسو بتطبيق هذه السياسة الخبيثه التى كانت تستهدف فى نهاية الامر إلى إزالة سلطان الاسلام من الاندلس بل قرن ذلك بخطة تستهدف تقليص الرقعه الاسلامية وذلك بأن يحكم الحصار حول حصون الاسلام، وتنتسف قواته ما حولها من غروس ومزروعات وترغم حامياتها على التسليم بدون قيد ولاشرط، أو كان يعتمد على سياسة الوقيعة والدس بين ملوك الطوائف فينتصر لفريق على فريق ويحقق بذلك سياسته الرامية إلى استنزاف موارد المسلمين المالية عن طريق الاتاوات واستنزاف قواهم ومقوماتهم الذاتية عن طريق الحروب الاهلية بين طوائف المسلمين وبفضل ذلك يتمكن هو فى النهاية من الظفر بملك الجزيرة كلها[1].

ولقيت سياسته تلك قدراً كبيراً من النجاح بسبب مشاعر الطمع والجشع والتحاسد[2] التى ملأت نفوس ملوك الاسلام وتفرق أهوائهم على الرغم من وضوح نوايا الفونسو التوسعية لديهم كل الوضوح[3].

وكان من أثر هذه السياسة إستيلاء القشتاليين على مدينة طليطلة فى ٢٧ المحرم ٤٧٨هـ (٢٥ مايو ١٠٨٥م)[4]، فقد اثقل على صاحبها بالجزية وانتزع من مملكته ما كان يحميها من حصون أماميه حتى إذا ما تم له ذلك حاصر المدينة سبع سنين وانتزعها من صاحبها القادر بالله بن ذى النون فازداد بامتلاكها قوة إلى قوته[5]، «وأخذ يجوس خلال الديار، ويستفتح المعاقل والحصون»[6].

وأحدث سقوط طليطله فى يد الفونسو دويا هائلا إذ كانت تمثل وسط الاندلس وقلبه، وكان نذيراً لقوى المسلمين فبدأوا يستشعرون حقيقة الأوضاع بعد أن الهتهم اطماعهم ونزواتهم عن مواجهة خطر الاسترداد وفى نفس الوقت سجل سقوط طليطلة ارتفاعا واضحاً لحركة الاسترداد إذ ألهب مشاعر النصرانية وزاد من دفع هذه الحركة وتنشيطها، إذ كان سقوطها يجسم فكرة العصبية الدينية باعتبارها

(١) ابن الكردبوس : كتاب الاكتفاء فى اخبار الخلفاء، ص ٨٢.

(٢) ابن الخطيب : أعمال الاعلام (القسم الثانى)، ص ٢٤٤.

(٣) حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين، ص ٢٥٤.

(٤) المقرى : نفح الطيب، جـ٦، ص ٨٨ السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير جـ٢، ص ٧١٨.

(٥) ابن بسام : الذخيرة، ق ٤، م١، ص ١٢٧، وأنظر ابن الاثير : الكامل : جـ٨، ص ١٣٨.

(٦) المقرى : نفح الطيب، جـ٦، ص ٨٨.

كانت عاصمة اسبانيا قبل الفتح الاسلامى للاندلس كما أن استيلاء القشتاليين عليها يمهد الطريق أمامهم لمزيد من الفتوحات توطئة لسيطرتهم الشاملة للاندلس وارتفع بذلك شأن الفونسو السادس فى نظر معاصرية، وتسمى بالأنبراطور[1]، واتخذ لقب «ذى الملتين» وأخذ يكاتب أمراء المسلمين قائلاً : «من الانبيطور ذى الملتين الملك المفضل الاذفنش بن شانجة»[2] وبدأت الامال تراوده فى طرد المسلمين نهائياً من الاندلس، تلك الامـال التى سبق أن راودت اباه وقـال فى ذلك «إنما كـانت الاندلس للروم فى أول الامر حتى غلبهم العرب وألحقوهم بأبخس البقاع جليقية، فهم الان عند التمكن طامعين بأخذ ظلاماتهم[3].

وإذا كـانت آمـال النصـرانيـة قد تضـاعـفت بعد سـقـوط طليطلة فى إيدى القشتاليين فإن آمال المسلمين فى الحفاظ على دولة الاسلام فى الاندلس بدأت تتلاشى وبدأ يلازمهم الاحساس بالنهاية المحتومة، ويتمثل ذلك فى بضعـة أبيات نظمها شاعر من شعراء الطوائف[4] وعلى هذا النحو تحقق لالفونسـو ما كـان يهدف إليه من اضعاف ملوك الطوائف بالجزيات تمهيداً لادخالهـم تحـت لوائـه، واخذ خطره يستفحل على دويلات الطوائف عنـدما بـادر ملوكها يخطبـون وده ويسترضونه بمضاعفة الجـزية، خـاصة بعـد أن اسـتولى على طليطلة نقطـة دائـرة الاندلس[5] أو قلبهـا النابض، ولكنه لم يقنع بـذلك بعد أن انتزع اعظـم مدن الاندلس ودفعه غرورة إلى التصريح بعزمـه على فتح مدن الاندلس كلها وعلى الاخص قرطبه حاضرة الخـلافة، فلما أشـار عليه رجـال دولته بوضـع التـاج على رأسـه اعـترض على ذلك حتى يطـأ ذرْوة الملك وينتـزع قـرطبـه

---

(١) ابن الكردبوس : كتاب الاكتفاء، ص ٨٨، وراجع معلومات عن لقب انبراطور بنفس المصدر والصفحة هامش رقم ٣.

(٢) مؤلف مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية، الطبعة الأولى، مطبعة التقدم الأسلامية، تونس، ١٣٢٩هـ، ص ٢٢.

(٣) مذكرات الامير عبد الله، ص ٧٣.

(٤) ومن شعر عبد الله بن فرج اليحصبى المشهور بابن الغسال :

يا أهل اندلس حثـوا مطيكم ... فما المقام بهـا الا من الغـلط
الثوب ينسل من اطرافه وأرى ... ثوب الجزيره منسـولا من الوسـط
ونحن بين عـدو لا يفارقنـا ... كيف الحياة مع الحيات فى سفط

(٥) مؤلف مجهول : الحلل الموشية، ص ١٢.

«واسـطة السلك»[1].

ولم يكن ملوك الطوائف فى نظره إلا شرذمه من الجبناء والطامعين، فلم يكن يكتـرث لهم أو يحـفل بقـوتهم. ولم يكن أحـد من هؤلاء الملوك لا يؤدى إلى الفونسو الجزية وكانوا «احقر فى عينة واقل من أن يحتفل لهم»[2].

وعمد الفونسو فى المدن الاسلامية التى استولى عليها إلى تطبيق سياسة ماكره خبيثه تهدف إلى اضعاف روح المقاومة فى نفوس المسلمين، فجعل لكل من دان له من الاسلام «البر والرعاية، واخد نفسه بالعدل فيهم والامان، والرفق فى السر والاعلان ووعدهم الايلزمهم غير ما توجبه السنة الاسلامية وان يحملهم فى سائر ذلك على الحرية وقد كان تحقق انه فرق على ضعفاء أهل طليطلة مائه ألف دينار ليستعينوا بها على الزراعة والاعتمار[3].

وفى تلك الاثناء كانت قواته تنشر فى جميع قوعد الاندلس وتعيث فساداً فى جميع أمصارها[4]. وأصبحت أكثر بلاد المسلمين مرتعاً لهم.، ولم تسلم المريه من عدوانهم فقد اغاروا عليها فى ثمانين فارساً، فاضطر ابن صمادح إلى مواجهتهم بقوة من اربعمائه من خيار الجند، لم تلبث أن ولت الادبار عند أول اشتباك لها مع العدو[5].

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ف ٤ ، م١، ص ١٣١، وأنظر ايضاً : أعمـال الاعـلام (القسم الثانى)، ص ٢٤٤.

(٢) المراكشى (محى الدين ابى محمد عبد الواحد بن على التميمى) : تاريخ الاندلس المسمى بالمعجب فى تلخيص اخبار المغرب تحقيق محمد سعيد العريان القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م، ص ١٩٣.

(٣) ابن الكردبوس : كتاب الكتفاء، ص ٩١، وأنظر ايضاً هامش نفس المصدر رقم١.

(٤) ابن ابى زرع : روض القرطاس، ص ٩٩.

(٥) ابن الكردبوس : المصدر السابق، ص ٨٩.

(٦) من أمثلة المبالغة فى الأستخفاف بملوك الطوائف انه كتب إلى المعتمد بن عباد كبير هؤلاء الملوك يطلب منه تسليم بعض حصونة واعماله إلى رسلة وعماله، فكتب إليه بين ما كتبه «من الانبطور ذى الملتين، الملك المفضل الاذفنش من شانجة إلى المعتمد بالله سدد الله رأية ونصره مقاصد الرشاد، سلام عليك من مشيد شرفه العنا وثبت فى المنن فاهتز اهتزاز الرمح بعامله والسيف بساعد حاملة وقد ابصر تم ما نزل بطليطله واقطارها وما صار بأهلها حين حاصرها بما صار فى هذه =/=

وعلى هذا النحو بلغ استخفاف ألفونسو بالمسلمين مداه وفى نفس الوقت امكنه بفضل غاراته المتواصله وعبث قواته فى أراضى الاسلام أن يثير الخوف فى نفوس المسلمين وأن يستذل ملوك الطوائف بما فرضه عليهم فى الاتاوات، فأصبح الناس يؤمنون بتفوق قوى المسيحية وأيقنوا بالنهاية المحتومة، ولهذا ساءت أحوالهم وأصبحوا وقد غلبت عليهم الانانية واللامبالاه يعيشون لساعتهم ولا يحسبون حساباً للغد وأقبلوا على الترف وملذات النفس[1]، وانقلبت المعايير الاخلافية فغلب النفاق واخذ الحكام يستعينون بعضهم على بعض بمر تزقة النصارى[2]، وتبالغ بعض الروايات العربية فى تصوير الغرور الذى ركب الفونسو، فتشير إلى أنه سار حتى وصل إلى جزيرة طريف فى اقصى الجنوب، فأدخل قوائم فرسه فى البحر وقال «هذا آخر بلاد الاندلس قد وطئته»[3]، ويعتقد الدكتور حسن محمود أنه «سواء أصح ذلك أم لم يصح فانه يصور لنا كيف أن آمال ملك قشتالة قد جاوزت كل غاية، وأعتقد عن يقين أنه محيى ملك الذريق، وأنه لا معصم للمسلمين من بطشة إلا التسليم، أو الفرار بدينهم إلى بر العدوة»[4].

وأيا كان الأمر، فإن الفونسو لم يلبث أن قفل عائداً إلى الشمال فنزل على سرقسطه وضرب عليها الحصار واقسم أن لا يرتحل عنها حتى يدخلها أو يحول الموت بينه وبين ما يريد ورفض الأموال الكثيرة التى عرضها عليه المستعين ابن هود صاحبها اعتقاداً منه بأنه سيظفر بالمال والبلاد فى آن واحد[5].

وكيفما كان الأمر، فقد وصلت الأوضاع فى الأندلس فى هذه الفترة إلى غاية السوء.

=/= السنين «راجع (مؤلف مجهول الحلل الموشية،ص ٢٣، ٢٣، ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر)، وفيات الاعيان وانباء الزمان : حققة احسان عباس، م٧، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص ١١٥، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير، جـ٢، ص ٧١٩، ٧٢٠.

(١) حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين، ص ٢٥٩.

(٢) ابن الكردبوس : كتاب الاكتفاء، ص ٧٧.

(٣) ابن أبى زرع : الانس المطرب بروض القرطاس، ص ٩٩.

(٤) قيام دولة المرابطين : ص ٢٥٥.

(٥) ابن أبى زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس : ص ٩٩.

استدعاء المرابطين للجهاد فى الاندلس :

تختلف الروايات فى تعليل دخول المرابطين الاندلس، فالأمير عبد الله الزيرى يبرر دخولهم بالمنازعات التى نشبت بين المعتمد بن عباد والفونسو السادس ومبالغة الاخير فى مطالبة ابن عباد بالتخلى عن معاقل هامة من أعماله «كان الموت عنده أولى من اعطائها، فوجست نفسه منه بالجملة ورام كسره بطوائف المرابطين[١]». ثم أن ملوك الطوائف لاسيما فى غرب الاندلس كابن عباد وابن الافطس تنبهوا إلى مرامى الفونسو البعيدة وأنه لا يقنع منهم بالهدايا أو الجزية، فاستقر رأيهم على مكاتبة يوسف بن تاشقين أمير المسلمين[٢]، يعلمونه بحال الاندلس وما آل إليه امرها من تغلب العدو على اكثر ثغورها وبلادها[٣].

وتذهب رواية المراكشى إلى أبعد من الكتابة لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، إذ تشير إلى أن المعتمد بن عباد جاز البحر فى سنة ٤٧٩هـ (١٠٨٦م) قاصداً مدينة مراكش بهدف مقابلة يوسف بن تاشفين والاستنصار به على القشتاليين، فاستقبله يوسف واكرمه، وسأله ابن عباد عن حاجته فى إمداده إياه بالعدد والعدة، فأسرع يوسف فى إجابته إلى طلبه، وقال له : «أنا أول منتدب لنصره هذا الدين، ولا يتولى هذا الأمر أحد إلا أنا بنفسى[٤]»، فعاد ابن عباد إلى الاندلس سعيداً باجابة امير المسلمين لطلبه.

وهناك فريق آخر من المؤرخين يعلل سبب جواز يوسف بن تاشفين إلى الاندلس بوفود جماعة من الاندلس عليه وشكواهم إليه بما حل بهم من عدوهم الفونسو السادس[٥]، فلقد لمس فقهاء، قرطبه من قوة النصارى وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض، فتشاوروا فى الأمر واجتمعوا بالقاضى

---

(١) مذكرات الامير عبد الله : ١٠١ ، ١٠٢.

(٢) ابن الكردبوس : كتاب الاكتفاء، ص ٨٩ ، ص ٩٠.

(٣) ابن أبى زرع : المصدر السابق، ص ٩٩، وأنظر أيضاً ابن الخطيب «لسان الدين» أعمال الأعلام : القسم الخاص بالمغرب، جـ٢، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادى ومحمد ابراهيم الكتانى، دار الكتاب بالدار البيضاء، المغرب، ١٩٦٤، ص ٢٣٧.

(٤) المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب : ص ١٩١، وفى رواية أخرى تقول بأن الاجتماع كان فى الشمال بموضع يسمى بليط بالقرب من سبته.

(٥) مؤلف مجهول : الحلل الموشية، ص ٢٠.

عبد الله بن محمد بن أدهم واستعرضوا الحالة التى آلت إليها البلاد، وما وصل إليه المسلمون من الصغار والمذلة وتقديمهم الجزية للعدو النصرانى، فتشاوروا فى الأمر وقلبوا الآراء المختلفة، فاقترح بعضهم الاستعانة بينى هلال عرب افريقية ولكنهم خافوا أن ينقلبوا عليهم فيخربوا بلادهم كما خربوا بلاد افريقية[١] . وهكذا عدل الفقهاء عن رأيهم واجمعوا على مكاتبة يوسف بن تاشقين لترغيبة فى الجواز بقواته إلى الاندلس لجهاد العدو[٢] .

ويورد ابن خلكان رواية تختلف تماما عما سبق اذ تفيد بانه لما تمهدت ليوسف بن تاشقين البلاد، تاق للعبور إلى جزيرة الاندلس، فانشأ لذلك المراكب والشوانى، فلما نما إلى ملوك الاندلس عزم يوسف هذا، كرهوا عبور المرابطين إلى الاندلس فاستعدوا لذلك، بالعدد والعده الا أنهم عدلوا عن مواجهته بعد أن ايقنوا بعجزهم عن مقاتلة حشوده، ثم أنهم كانوا يدركون فى نفس الوقت عظم الخطر الذى تمثله قوى النصرانية عليهم من الشمال وما يترتب على غاراتهم المتواصلة على بلادهم من نتائج خطيرة، فاستقر رأيهم فى اجتماع عقدوه مع المعتمدبن عباد كبيرهم على أظهار موالاتهم للمربطين أمام قوى النصرانية فى اسبانيا مستهدفين من ذلك بث الذعر والهلع فى نفوس القشتاليين ومن حالفهم من ممالك اسبانيا المسيحية، واجمعوا فى نفس الوقت على الاتصال بيوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين ومكاتبته[٣] .

والواقع أن الحالة السيئة التى تردت اليها دويلات الطوائف بالأندلس من فرقه وتنازع وخلاف فيما بينهم واستنصار بعضهم بقوى الفونسو السادس على بعضهم الاخر والتزامهم بتأديه اتاوات سنوية له، والمطامع بعيده المدى التى طغت على ملك قشتالة بعد ما عاينه من سوء احوال المسلمين وانقسامهم وتطلعاته إلى السيطرة على المعاقل والحصون فى الاندلس وتحرير الجزيره نهائياً من ايدى المسلمين، هذا الوضع لم يكن خافيا باى حال من الاحوال على يوسف بن تاشفين الذى كان الجهاد فى سبيل الله غاية أمله ومنتهى رجائه والأساس الذى قامت عليه دولة المرابطين، وفى نفس الوقت الذى كان يجتمع فيه ملوك الطوائف للمشاورة وحسم الاوضاع

---

(١) ابن الاثير : الكامل، جـ٨ ، ص ١٤١ .

(٢) ابن الاثير : الكامل، جـ٨، ص ١٤١ ، ابن الابار : جـ٢ ، ص ٩٩ .

(٣) ابن خكان : وفيات الاعيان، م٧ ، ص ١١٣ ، ١١٤ .

كان فقهاء الأندلس من جانبهم يعقدون اجتماعا لبحث الموقف وأصدروا قرارهم الذى سجلوا فيه خطورة الموقف وما يتطلبه من جمع الصفوف والتماسك والتلاحم بين مسلمى الأندلس والمغرب واكدوا ضرورة الاستنصار بقوى المرابطين، فاتصلوا بهم يستحثونهم ويرغبونهم فى الجواز إلى الأندلس، وجاء قرارهم متفقا مع قرار ملوكهم استدعاء المرابطين للجهاد بالاندلس من أجل نصرة الاسلام والذب عنه أمام الخطر الاسبانى.

ويبالغون فى تصوير الحماس الذى ابداه المعتمد بن عباد للاستنصار بالمرابطين فيذكرون أن الرشيدبن المعتمد اعترض على استدعائهم فرد عليه المعتمد قائلاً «والله لا يسمع عنى أبدا أنى اعدت الأندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى، فتقوم على اللعنه على منابر الاسلام مثل ما قامت على غيرى، وحرز الجمال، والله عندى خير من حرز الخنازير[1].

وأيا ما كان الأمر فقد اثبتت الاحداث المقبلة صدق مشاعر الأندلسيين فى استدعاء المرابطين إلى الأندلس، فأهون الشرين أن تظل الأندلس بلداً اسلامياً سواء حكمه ملوك الطوائف أو حكمه أمراء المرابطين. ونستدل على ذلك من الرواية القائلة بأن المعتمد تأخر فى سنة ٤٧٩هـ (١٠٨٦م) عن سداد الاتاوة التى اعتاد تقديمها لألفونسو فى الموعد المحدد، ثم ارسلها له مما أدى إلى غضب الفونسو واشتط فى طلب بعض الحصون وأمعن فى التجنى وكان قد بعث رسوله اليهودى لابن عباد برسالة تحمل هذا المعنى، والظاهر أن وصول رسول ملك قشتاله إلى اشبيلية اتفق مع قرار المعتمد بن عباد الاتصال بيوسف بن تاشفين الامر الذى دعاه إلى التجرؤ على القشتالى والامتناع عن تنفيذ مطالبه اعتماداً على نصره المرابطين له إلى حد أنه لم يتردد فى قتل رسول الفونسو اليه عندما احتد عليه واغلظ له القول، فلما بلغ الاذفنش ما صنعه برسوله وجنده اقسم ليغزونه باشبيلية[2].

وتذكر المصادر العربية أن المعتمد كتب على الفور إلى أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين فى غرة جمادى الأول ٤٧٨هـ (١٠٨٥م)[3] يستصرخه على

(١) مؤلف مجهول : الحلل الموشية، ص ٢٨، وأنظر أيضاً ابن الخطيب : أعمال الاعلام، القسم الثانى، ص ٢٤٥.

(٢) الحميرى : الروض المعطار : ص ٨٤، ٨٥.

(٣) يذكر صاحب الحلل أن مكاتبة ابن عباد ليوسف بن تاشفين حدثت فى سنة ٤٧٩هـ، (راجع : الحلل الموشية، ص ٢٩).

الفونسو ويدعوه إلى الجواز للاندلس للجهاد واحياء شريعة الدين، فلما وفدت سفارة المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين بمراكش حاضرة ملكه، وتليت عليه الرسالة، شاور اخوته وبنى عمه، وأستقر الرأى على تلبيه دعوة ابن عباد للجهاد، كما استشار يوسف بن تاشقين كاتبه عبد الرحمن بن أسبط فى هذا الشأن كان اندلسيا من أهل المرية، فأشار عليه بقوله: «لايمكنك الجواز إلا ان يعطيك (أى ابن عباد) الجزيرة الخضراء فتحمل فيها اثقالك واجنادك؛ ويكون الجواز بيدك متى شئت[1]» فبعث برسالة لابن عباد تحمل هذا المعنى، ووافقه ابن عباد على طلبه.

والرواية المذكورة تتضمن بعض المبالغة فى تصوير الموقف، فلو ان المعتمد لم يكن قد اتصل مسبقا بيوسف بن تاشقين وحصل منه على وعد قاطع ببذل العون لما اقدم على اهانة رسول الفونسو إليه ولما تجرأ على قتله، وليس من المعقول ان يكون ذلك قد حدث دون ان يكون موقفه مدعما لا بمجرد وعد من ابن تاشفين فحسب بل بقرب وصول الامدادات المرابطية او وصولها بالفعل إلى ساحل الجزيرة، اما القول بأن ابن أسبط هو الذى أشار إلى يوسف بالمطالبة بثغر الجزيرة لنزول قوات المرابطين فاعتقد انه بعيد عن الصحة والارجح ان المعتمد خصصه لهذا الغرض بادرة منه عندما فوجئ بنزول قوات المرابطين بالجزيرة ولم يكن الامر يتطلب مكاتبات مسبقة من جانب المرابطين للحصول عليها، وإنما الظروف وحدها هى التى املت على بنى عباد التصرف فى هذا الثغر وتقديمه الى المرابطين تسهيلا لمهمتهم، يؤكد ذلك ما رواه الامير عبد الله الزيرى فى مذكراته: «فالتفت القوم الى خيل قد ضربت محلتها، لم يدر متى اقبلت، ولم يصبح لهم إلا وطائفة أخرى بعدها، يزيدون ويترادفون، حتى انكمل العسكر كله على الجزيرة مع داود بن عائشة، واحدقوا حواليها يحرسونها[2]»، ولما اعترض الراضى بن المعتمد بن عباد على هذا التصرف رد عليه داود بن عائشة، وهو من ابرز قواد المرابطين بقوله: «وعدتمونا بالجزيرة ونحن لم نأت لأخذ بلده، ولا ضرر بسلطان وانما أتينا للجهاد فاما ان تخليها من هنا إلى وقت الظهر من يومنا هذا، وإلا فالذى تقدر عليه، فاصنع[3]».

---

(١) ابن الخطيب: أعمال الاعلام : القسم الثانى، ص ٢٤٥.

(٢) مذكرات الامير عبد الله: ص ١٠٣.

(٣)نفس المصدر : ص ١٠٣.

وبمجرد احتلال يوسف بن تاشفين الجزيرة الخضراء شرع فى بناء اسوارها وترميم أبراجها وشحنها بالمؤن والأسلحة وحشدها بالجند[١]، ثم رحل عن الجزيرة وكتب إلى رؤساء الاندلس يستنفرهم للجهاد، ويحضهم على اللحاق به[٢]، فوافاه المعتمد بن عباد بجمله من لدية من الاجناد، والمتوكل بن الافطس صاحب بطليوس فى قواته[٣] كما لحق به عبد الله بن بلكين صاحب غرناطة وأخوه تميم صاحب مالقه[٤]، كما لحق به أيضاً أكثر رؤساء الاندلس الراغبين فى الجهاد بقواتهم[٥]، أما المعتصم بن صمادح صاحب المرية «فأبى عليه وبقى متربصا ليرى كيفية الامر ومخرجه مع الروم، واعتذر بكبر السن مع الضعف، وأرسل ابنه معتذرا[٦]»، واكتفى بارسال بعض قوات رمزية بعثها للمشاركة فى الجهاد.

وسار أمير المسلمين نحو بطليوس وعسكر على مقربه منها بموضع يسمى الزلاقة[٧] وارسل من هناك إلى الفونسو كتاباً يعرض عليه فيه أن يختار بين الدخول فى السلام أو أداء الجزية أو القتال كما تقضى السنة[٨]، وقد اثار ذلك غضبه واقسم ألا يبرح من مكانه الذى حل به، وهكذا دارت المعركة الثانى عشر من رجب

---

(١) مؤلف مجهول : الحلل الموشيه، ص ٣٤.

(٢) الامير عبد الله، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٣) الحلل الموشية، ص ٣٤ ، ٣٥.

(٤) نفس المصدر : ص ٣٤، ابن الخطيب أعمال الاعلام «القسم الخاص بالمغرب» ص ٢٤٠ وما بعدها.

(٥) الحلل الموشية، ص ٣٥.

(٦) مذكرات الامير عبد الله، ص ١٠٤، بينما يقول صاحب الحلل الموشية أن المعتصم اعتذر بسبب العدو الملاصق له بحصن لييط من عمل لورقة، (الحلل الموشية لمؤلف مجهول ص ٣٤) ويرى الأستاذ امبروميو اويثى ميراندا أنه اثر البقاء انتظاراً لنتيجة المعركة المقبلة، أنظر :
Ambrosis Huici Miranda' La Invasion de los Almoravides y la Batalla de Zalaca; Hesperis, t. X1, 1953, P. 40.
السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير، جـ٢، ص ٧٢٣ و هـ ٣، المرية الاوسلامية، ص ٨١.

(٧) فحص الزلاقة من اقليم بطليوس من غرب الأندلس ، (الحميري : الروض المعطار ، ص ٨٣ ، ابن الكردبوس : الاكتفاء ، ص ٩٣) .

(٨) مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ص ٣٥ ، وراجع ايضاً بعض فصول الخطاب بنفس المصدر والصفحة ، وانظر ايضاً ابن ابى زرع : الانيس المطرب ص ١٠١ .

٤٧٩ هـ (١٠٨٦م)[1] بين قوى الإسلام والنصرانية، وانتهت بإنتصار حاسم احرزه المسلمون.

فلما انتهت المعركة بهذا الإنتصار، جمع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين رؤساء الأندلس فى مجلسه، وامرهم بالتضامن والإتفاق، وان تكون كلمتهم واحدة، وابلغهم ان النصارى لم تفترسهم إلا بسبب ما بينهم من تباين وتنابذ، فوافقه المجتمعون واظهروا طاعته ووعدوا بتحقيق ما امر به[2]، سيما بعد الانتقادات اللاذعة التى وجهها يوسف بن تاشفين لملوك الطوائف قبل وقوع المعركة والتى عبر عنها فى قوله كان غرضنا فى ملك هذه الجزيرة ان نستنقذها من ايدى الروم، لما رأينا استيلاءهم على اكثرها وغفلة ملوكهم واهمالهم للغزو وتواكلهم وتخاذلهم وايثارهم الراحة، وانما همة احدهم كأس يشربها وقينة تسمعه ولهو يقطع به ايامه[3]».

ثم قفل امير المسلمين يوسف بن تاشفين راجعاً إل العدوة المغربية فى بداية عام ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م)، إذ وافته انباء مزعجة بوفاة ابنه أبى بكر لم يجد معها

---

(١) مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، ص ٢٤٠ ، ٣٤١ ، اختلفت الروايات الإسلامية في تحديد تاريخ موقعة لزلاقة ، فذكر ابن خلكان انها وقعت يوم الجمعة ١٥ رجب ٤٧٩ هـ (ابن خلكان: وفيات بالاعيان ، حـ ٧ ص ١١٧) ، في حين اورد المراكشي انها وقعت يوم الجمعة ١٣ رمضان ٤٨٠ هـ (المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص ١٩٥ ، اما الحميري فيذكر انها حدثت يوم الجمعة ٢٠ رجب ٤٧٩ هـ (الروض العطار ، ص ٩٤)، وابن ابي زرع يوم الجمعة ١١ رجب ٤٧٩ هـ (الانيس المطرب ، ص ١٠١) ، وابن الاثير في العشر الأول من شهر رمضان ٤٨٩ هـ ، (الكامل في التاريخ : الجزء الثامن ص ١٤٢) راجع تفصلات هذه المعركة في :

A. Huici Miranda, Op, cit

الحميري : الروض المعطار ، ص ٨٣ وما بعدها ، حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٢٧٣ ، إلي ٢٨٨ ، والسيد عبد العزيز سالم المغرب الكبير ص ٢ ص ٧٢٣ ، ٧٢٧ .

(٢) مذكرات الامير عبد الله، ص ١٠٦ .

(٣) المراكشى : المعجب فى تلخيص اخبار المغرب، ص ٢٢٦ .

بدا من سرعة الكرة[1]. والعودة إلى العدوة المغربية[2]، وشيعه ابن عباد إلى الجزيرة الخضراء[3]، ويرجع الدكتور حسن أحمد محمود سبب عودة يوسف بن تاشفين السريعة إلى المغرب إلى أنباء وصلته عن وفاة عمة أبى بكر بن عمر زعيم المرابطين واميرهم ٤٨٠ هـ (١٠٨٧م)، فأحب ان يعجل بالعودة إلى المغرب ليرث ملك عمه، ويبادر بأخذ البيعة لنفسه، قبل أن يغتصبها منه الأمراء الآخرين منتهزين فرصة وجوده بالأندلس منشغلاً بمعركة الجهاد[4].

وكيفما كان الأمر، فقد عجل امير المسلمين يوسف بن تاشفين بالعودة إلى المغرب بعد أن اسند قيادة الجيش المرابطى فى الأندلس إلى قائدة سير بن أبى بكر توطئه لعودته إلى الأندلس بعد تدبير شئون مراكش ليتابع فيها الحرب بنفسه[5].

والواقع ان اضطراب الأحوال السياسية بالأندلس كان له اعظم الاثر فى تضييق هوة الخلاف بين ملوك الطوائف فتناسوا بعض الوقت احقادهم ومطامعهم وسعوا إلى توحيد الصف أمام اعدائهم الذين بدأت تحركهم دوافع الطمع فى استرجاع اسبانيا وانتزاعها من أيدى المسلمين واعادتها إلى ما كانت عليه ايام القوط.

فبالرغم من العداء السافر الذى كان قائماً بين المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية والمعتصم بن صمادح صاحب المرية، وهو عداء كان يذكيه المعتصم[6] وينفخ فى رماده إلى درجة تبادل المراسلات القبيحة بينهما، وإلى تعريض المعتصم بالمعتمد فى مجالسه، وانتهى الأمر بصدام مسلح بين الطرفين وذلك عندما اقدم

---

(١) الحميرى : الروض المعطار، ص ٩٤، مؤلف مجهول : الحلل الموشية، ص ٤٧ ابن أبى زرع : الانيس المطرب، ص ١٠٥.

(٢) مؤلف مجهول : الحلل الموشية، ص ٤٧، ابن الكردبوس : الاكتفاء، ص ٩٥.
ابن ابى زرع : المصدر السابق، ص ١٠٥.

(٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام، القسم الخاص بالمغرب، جـ٣، ص ٢٤٩.

(٤) قيام دولة المرابطين ، ص ٢٨٧ ، وانظر ايضاً التعليق بهامش رقم ٨ ، ص ٩٥ ، ٩٦ من كتاب الأكتفاء لابن الكردبوس .

(٥) اشباخ : تاريخ الآندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٨٩ .

(٦) يقول المراكشي في ذلك : كان (المعتصم) قديم الحسد للمعتمد كثير النفاسة عليه (المراكشي: المعجب ، ص ١٩٦) .

المعتمد بن عباد على غزو المرية[1]، وعلى الرغم من ذلك كلة فقد اتفق الخصمان على تصفية خلافاتهما، وتم الاجتماع بينهما فى موضع قريب من حدود مملكتى اشبيلية والمرية، انعقد فيه مجلس الصلح بينهما وقد احتفل المعتصم بهذه المناسبة بضيفه المعتمد غاية الاحتفال وبالغ فى إكرامه، باعداد مجالس الانس، وآلات الطرب، واستمرت ضيافة المعتمد فى كنف المعتصم ثلاثة أسابيع عاد بعدها إلى بلاده[2].

والظاهر أن هذا الاجتماع، بالأضافة إلى أنه ادى إلى تصفية الخلافات وانعقاد الصلح ولو بشكل ظاهرى، كانت له نتائج طيبه، إذ ساعد على تقبل يوسف بن تاشقين للمعتصم بن صمادح ورضائه عليه بفضل امتداح المعتمد له عنده ونعته اياه بكل فضل، استغل المعتصم – وهو مشهود له بالذكاء – يحسن العلاقات بينه وبين أمير المسلمين وغمره بالهدايا الفاخرة، والتحف النفيسة «وتلطف فى خدمته حتى قربة أمير المسلمين اشد تقريب، وكان يقول (أى يوسف ابن تاشقين) لأصحابه : هذان رجلا هذه الجزيرة يعنى المعتصم والمعتمد»[3].

وعندما عبر المعتمد بن عباد بحر الزقاق إلى العدوة والتقى بأمير المسلمين يوسف بن تاشقين وشكا إليه ما يعانيه المسلمون بسبب حصن لييط وضرره على المسلمين[4] وصور له أهمية هذا الحصن، «وأنه فى قلب البلد وأن لا راحة للمسلمين إلا بفقدة»، استجاب أمير المسلمين لرغبته، فجاز إلى الجزيرة الخضراء وما كاد يستقر بها حتى كتب لملوك الطوائف يستنفرهم للجهاد معه[5]. فوافته هناك جيوش الاندلس، وساهم المعتصم بن صمادح بجيشه مع بقية ملوك الطوائف فى حصار لييط، ويضيف ابن بسام بأن المعتصم «خرج عن المرية إلى لييط

---

(١) الحميرى : الروض المعطار، ص ٨٤.

(٢) المراكشى : المعجب، ص ١٩٧، وأنظر أيضاً :

Dozy (R), OP. Cit., 1; P, 266.

(٣) المراكشى : المصدر السابق، ص ١٩٧.

(٤) ابن ابى زرع : الانيس المطرب، ص ١٠٦، وأنظر أيضاً الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٤٨، ابن الخطيب : أعمال الأعلام، جـ٣، ص ٣٤٩.

(٥) مذكرات الأمير عبد الله، ص ١٠٨، الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٤٩ وابن ابى زرع : الانيس المطرب، ص ١٠٦.

يجر جيشاً، لا تتأبى الطير غدوته ولا يتوقع العدو وطأته»[١]، وظهر المعتصم بين فرسانه البيض فى ثوب مرابطى اسود فكان كما وصفه بعض الرواه العرب كالغراب الاسود بين الحمام الابيض[٢].

ويروى الامير عبد الله أن المعتصم بن صمادح «أتى بفيل اقامه وخرق به العادة، اصابه من الحصن قبس من نار فأحرقه»[٣]. وأستمر حصار المسلمين لحصن ليبط اربعة اشهر ولكنه انتهى بالفشل، وربما يرجع ذلك إلى صمود الحامية القشتالية، وقوة تحملها لهذا الحصار، بالاضافة إلى عامل آخر اكثر من الأول أهمية هو اختلاف كلمة المسلمين[٤]، فقد شكا المعتمد بن عباد لأمير المسلمين ابن رشيق الثائر عليه بمرسيه، كما اختلف ابن صمادح مع ابن عباد بشأن بعض الحصون وانصرفا دون اتفاق بينهما[٥]. ذلك أن المعتصم لما استوثق من علاقته بأمير المسلمين وتمكن منه، سعى فى تغييره على المعتمد بافساد العلاقات الطيبة بينهما، فكان من جملة ما اسر به لأمير المسلمين الغرور الذى ركب المعتمد وبجاوزه الحدود فى استعلائه وتكبره[٦]:

والظاهر أن يوسف بن تاشقين استبشع ما رآه بين ملوك الطوائف من خلافات واستاء من الوضع الداخلى فى الاندلس وأبدى استياءه برفع الحصار عن حصن

---

(١) الذخيرة : ق١، م٢، ص ٢٤٠.

(٢) اشباخ : تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والوحدين، ص ٩١.

(٣) مذكرات الأمير عبد الله، ص ١٠٩، (فيل : آلة من الات الحصار وهى أشبه بالكبش الذى كان يستخدمه المحاربون فى حصار المدن الساحلية بالشام ابان الحركة الصليبية).

(٤) مذكرات الأمير عبد الله، ص ١١١ وما بعدها، الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٤٨.
ابن ابى زرع : الأنيس المطرب، ص ١٠٦.

(٥) مذكرات الأمير عبد الله، ص ١١٣.

(٦) كما وشا به عند يوسف بن تاشقين فابلغة أنه قال عنه : «طالت اقامة هذا الرجل بالجزيرة يعنى أمير المسلمين : لو عوجت له اصبعى ما أقام بها ليلة واحدة هو ولا اصحابه : وكأنك تخاف غائلته وأى شئ هذا المسكين واصحابة، أنما هم قوم كانوا فى بلادهم فى جهد من العيش وغلاء من السعر، جئنا بهم إلى هذه البلاد نطعمهم حسبة واتتجارا فاذا شبعوا اخرجناهم عنها إلى بلادهم»،
(راجع المراكشى : المعجب، ص ١٣٨).

لييط والانصراف إلى ناحية لورقة، ثم مغادرة الاندلس إلى العدوة المغربية عن طريق المرية(١).

وازداد غضبة وهو بالعدوة المغربية على ملوك الطوائف عندما بلغة أن الاميرعبد الله بن بلكين تعاقد مع البرهانس وكيل الفونسو السادس فى جهات غرناطه والمريه، وأن الأمير عبد الله التزم بدفع جزية عن ثلاث سنوات ماضية قدرها ثلاثين الف دينار مقابل مسالمته(٢). وكان قد ثيت لامير المسلمين من قبل تعاون ابن رشيق مع النصارى اثناء حصار لييط(٣). لكل هذه الأسباب، عزم امير المسلمين على استئصال دويلات الطوائف والاطاحة بعروشها حتى يتهيأ له توحيد الجبهة الأندلسية المغربية لمواجهة خطر النصارى، فجاز للمرة الثالثة إلى الاندلس فى سنة ٤٨٣هـ (١٠٩٠م)، متظاهراً بعزمه على محاربة النصارى، وسير قوات ضخمة عبرت من سبته إلى الجزيرة الخضراء إلى مختلف نواحى الاندلس، وفى هذه المرة لم يطلب من ملوك الطوائف جنداً لمعاونته، كما أنهم لم يعرضوا عليه العون بل اخذوا يترقبون حركات المرابطين فى حذر وتشكك، وعرج يوسف على رأس جيشه إلى طلطيلة فحاصرها، ولكنه ما كاد يشرع فى العيث بأراضيها ويتوغل حتى ظاهر عاصمة قشتاله(٤)، حتى رجع فجأة نحو الاندلس وقد عزم على استئصال شأفة ملوك الطوائف فبدأ بنكبة الامير عبد الله الزيرى صاحب غرناطه، وكان شديد الغضب عليه، فعزله عن ملكة ونفاه إلى أغمات(٥)، واردفه بأخيه تميم صاحب مالقه(٦).

وفى سنة ٤٨٤هـ (١٠٩١م)، سير جيوشاً اربعة عبرت من سبته إلى الجزيرة الخضراء وجهها إلى مختلف بلاد الاندلس، فقدم على الجيش الأول ابن عمه

---

(١) ابن ابى زرع : الانيس المطرب، ص ١٠٦.

(٢) مذكرات الأمير عبد الله، ص ١٢٣ وما بعدها، وأنظر أيضاً : أبن ابى زرع : المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٣) مذكرات الأمير عبد الله، ص ١١٢.

(٤) ابن ابى زرع : الانيس المطرب، ص ١٠٧، وأنظر أيضاً، أشباخ : تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموجدين، ص ٩٣.

(٥) مذكرات الأمير عبد الله، ص ١٦٠، الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص ٥١.

(٦) مذكرات الأمير عبد الله، ١٦٢، ١٦٢.

الأمير سير بن ابى بكر وامره بمحاصره ابن عباد باشبيلية واحتلالها ثم التوجة إلى بطليوس والاستيلاء عليها واسقاط صاحبها المتوكل على الله عمر بن المظفر بن الافطس، كما قدم على الجيش ابا عبد الله بن الحاج وعهد اليه بمنازلة الفتح الملقب بالمأمون بن المعتمد بن عباد بقرطبة والاستيلاء عليها، كما عهد إلى الأمير يحيى بن واسنو بقيادة جيش ثالث لفتح المريه وقدم على الجيش قائدة جرور الحبشى وعهد اليه بفتح رنده واسقاط واليها الراضى بن المعتمد بن عباد(١).

وقد نجحت هذه الجيوش جميعاً فى تنفيذ مهماتها واسقاط ملوك الطوائف فى اشبيلية وبطليوس ورنده.

أما المرية، فقد لاقت هى الاخرى نفس مصير هذه الدويلات ذلك أن المعتصم ابن صمادح عندما شعر بنية المرابطين فى الاستيلاء على بلاده وعجزه عن تفادى المصير المحتوم الذى قضى به ابن تاشقين على جميع ملوك الاندلس(٢)، وحوصرت المريه من البر والبحر حصاراً محكماً، سعى المعتصم إلى النجاة بنفسه ودولته من هذه النهاية المفجعه ورأى أن يجرب آخر سهم فى جعبته، فبادر بارسال ابنة عبيد الله عز الدولة، وكان متفقها فى الدين - إلى الأمير يحيى بن واسنو عله يستطيع أن يثنيه عن عزمه وذلك عن طريق بيان وجه الحق له، إلا أن عز الدولة لم يكد يصل إلى الأمير حتى امر هذا بثقافه على المقام فى الحديد، وعندما علم المعتصم بأمر ولدة تحيل فى اطلاق سراحه(٣). وفى هذه الاثناء طرق جيش المرابطين أبواب المرية، وكان قد استولى على جميع اعمالها ولم يبق فى حوزه المعتصم بن صمادح سوى المرية ذاتها فاعتصم بقصبتها، غير أنه لم يلبث أن داهمه المرض فى الوقت الذى كان المرابطون يحكمون فيه الحصار حولها، وينسبون إليه عبارة جرت مجرى الأمثال، نصها : «نغص علينا كل شئ حتى الموت»(٤). ويروون أنه عندما لاحظ

---

(١) مؤلف مجهول : الحلل الموشية، ص ٥٢.

(٢) أشباخ : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، ص ٩٩.

(٣) مذكرات الامير عبد الله، ص ١٦٧، وأنظر أيضاً : ابن الابار : الحلة السيراء، جـ٢، ص ٨٨، ٨٩.

(٤) ابن بسام : الذخيرة، ق ١، م٢، ص ٢٤٠، ٢٤١، وأنظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان، م٥، ص ٤٤.

Dozy (R) : Op. Cit., I, P. 272.

جاريته تبكى عند رأسة اشفق عليها ودعاها إلى ادخار هذه الدموع لوفاته الوشيكة، فعبر عن ذلك ببيت من الشعر ضمنه الاحساس بالمرارة والقنوط[1]. ولما أيقن نهايته مع نفاذ قدرة عسكره على المقاومة والصمود دعا ولده وولى عهد معز الدولة للمثول بين يديه ونصحه بضرورة المطاولة والتشبث بقصبة المريه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وقال له : (امتسك هذه القصبة طول مقام ابن عباد فى ملكة باشبيلية ما استطعت، فإن رأيت ابن عباد قد خرج، فلا تتربص ساعة واحدة، وانج بنفسك إلى القلعة وادخل البحر بما قدرته عليه من زخائرك إذ لا مطمع لك فى البقاء بعده»[2].

ولم يطل الأمر بالمعتصم إذ لم يلبث أن توفى فى ربيع الأخر سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١م)[3]، بعد ما يقرب من إحدى واربعين عاما تولى خلالها شئون للملكة، وخلفه ابنه معز الدولة فى ولا يتها وتحمل تبعة هذه التركة المثقلة بالمشاكل، والظاهر أن المرابطين قد فتر حماسهم بعض الوقت عن فتح المرية لانشغالهم باحكام الحصار حول اشبيلية، والتمهيد للسيطرة عليها ومع ذلك فلم يصرفهم ذلك متابعه محاصره المرية برا وبحراً، فمكث معز الدولة يترقب الاحداث إلى أن تأكد لديه سقوط اشبيلية، ووقوع ملكها المعتمد بن عباد اسيرا فى قبضة ابن أبى بكر سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١م)، وعندئذ عمد إلى الاخذ بوصية ابية والبحث عن مخرج له من المصير المحتوم. فتظاهر برغبته فى مفاوضة المرابطين، ونجح فى حمل عسكرهم على تخفيف الخناق عنه ناحية البحر[4]. ثم أنه أنتهز هذه الفرصة لينجو بنفسه، فأمر رجاله بنقب السور الممتد خارج باب موسى إلى دار الصناعة[5]. وركب مع

---

(١) ترفق بدمعك لا تفنه   فبين يديك بكاء طويل

(ابن بسام : نفس المصدر، ق ١ ، م٢، ص ٢٠٤، ٢٤١، ابن الخطيب : أعمال الأعلام «القسم الخاص بالأندلس»، ص ١٩١).

(٢) مذكرات الامير عبد الله، ص ١٦٧ ، ١٦٨، ابن بسام : الذخيرة، ق ١، م٢، ص ١٤١، ابن الابار : الحلة السيراء، جـ٢، ص ٨٩، ابن الخطيب أعمال الاعلام، «القسم الخاص بالأندلس»، ص ١٩١.

(٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام، «القسم الخاص بالاندلس»، ص ١٩١.

(٤) اشباخ : تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين، ص ٩٩.

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق، ص ١٩٢، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المرية الاسلامية، ص ٤٩.

خواصة فى قطعة بحرية وشحن ما قدر عليه من الاموال والمتاع والذخائر فى قطعتين أخريين[١]، ثم تظاهر أمام رعيته بالخروج لمهادنة يوسف بن تاشفين، فسر أهل المريه لذلك[٢] اعتقاداً منهم بانه سيمهد بذلك طريق المصالحة مع المرابطين وتجنيبهم الأخطار المترتبة على احتلالهم للمرية، ولكنه ما كاد يركب مع آله وخواصه حتى أمر باحراق باقى الاجفان خشية المطاردة[٣]. ولما توسطت مراكبة البحر أغدق على البحريين أموالا جمه واعلنهم بوجهته، فلاذ إلى ثغر الجزائر ونزل فى كنف بنى حماد أصحاب البلاد[٤]، فأسكنوه مدينة تدلس[٥]، وكان فى شهر رمضان سنة ٤٨٤هـ (١٠٩١م)[٦].

ولم تمض بضعة ايام حتى كان المرابطون قد استولوا على المرية دون مقاومة، وبسقوط المرية فى ايدى المرابطين تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ المرية الإسلامية.

---

(١) ابن الخطيب : نفس المصدر والصفحة، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المرية الاسلامية، ص ٨٢.

(٢) مذكرات الامير عبد الله، ص ١٦٨، السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع، ص ٨٢.

(٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام «القسم الثانى»، ص ١٩، السيد عبد العزيز سالم، نفس المرجع، ص ٤٩، أحمد مختار العبادى : دراسات، ص ٣٠٩.

(٤) ابن الخطيب : نفس المصدر والصفحة.

(٥) ابن الأثير : الكامل، جـ٨، ص ١٠٦، ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ١٠٥.

(٦) ابن الابار : الحلة السيراء، جـ٢، ص٩.

الباب الثانى

أهم المظاهر الحضارية

الفصل الأول

تطــور عمــران مدينــة المريــه

الفصل الأول

تطور عمران مدينة المريه

أولاً : تخطيط المريه وتطور عمرانها منذ تأسيسها حتى سقوطها فى أيدى المرابطين

حظيت المرية منذ أن امر عبد الرحمن الناصر بتأسيسها واحكام تسويرها فى سنة ٣٤٤هـ (٩٥٥م) باهتمامه الخاص لما كان ينفرد به موقعها من حصانة طبيعية جعلها تبرز فى المقام الأول بين ثغور الأندلس المنيعة، ولم تلبث أن اصبحت بفضل جونها العميق وروعة موقعها من أشهر مراسى الاندلس واكثرها عمرانا، فأتسعت وامتد عمرانها وازدادت حركة مرفأها، وانتجعها التجار من المشرق والمغرب على السواء وأضحت هى وبجانه على حد قول ياقوت الحموى : «بابى الشرق منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار، وهى مرفأ ومرسى للسفن والمراكب»(١).

ومما يجدر ذكره، أن المصادر العربية لم تزودنا بأى اخبار تصور لنا ما كان عليه عمران المرية عند تأسيسها، كما لم تزودنا بعد ذلك بروايات توضح تطور عمرانها وامتداده فى عصر الطوائف بعد أن اكتملت هذه المدينة بربضيها الشرقى والغربى، والرواية الوحيدة التى يقول عليها الباحثون عند تصويرهم للنطاق العمرانى للمرية بعد اتساعه هى رواية الادريسى التى يقول فيها : «والمرية فى ذاتها جبلان وبينهما خندق معمور، وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة، والجبل الثانى منها فيه ربضها ويسمى جبل لاهم، والسور يحيط بالمدينة والربض، ولها ابواب عدة ولها من الجانب الغربى ربض كبير عامر يسمى ربض الحوض»(٢).

ويرجع الفضل الاعظم فى دراسة عمران المرية فى العصر الاسلامى وتتبع تطوره إلى باحثين جليلين أولهما المستشرق الاسبانى المهندس وعالم الاثار الاستاذ ليوبولدو توريس بلباس أول من تنبه إلى أهمية دراسة تاريخ هذه المدينة اعتماداً على ما تبقى فيها من آثار وتوصله إلى تسجيل صورة واضحة المعالم لعمرانها(٣)، والثانى

---

(١) معجم البلدان، المجلد الخامس، ص ١١٩.

(٢) الادريسى : صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس، ص ١٩٧، وأنظر ايضاً : الحميرى : صفة جزيرة الاندلس، ص ١٨٤.

(3) Torres Balbas (Léopoldo) : Almeria Islamica, Al - Andalus, Vol. XXII, Madrid, 1957, PP. 411 - 453.

استاذى الدكتور السيد عبد العزيز سالم الذى افرد باللغة العربية بحثاً قيماً عن المدينة موضوع الدراسة ضمنه عرضاً قيما لتاريخها وتخطيطها ودراسة اصيلة لعمرانها[١]، ويفضل الحقائق التى توصل إليها وبفضل ما امدنى به من توجيهات امكننى أن أتوصل إلى تحديد البؤرة العمرانية الأولى وموقعها من القصبة، كما امكننى ان اتتبع ما فاض حواليها من فيض عمرانى فى عصر الطوائف وذلك بعد أن أتيحت له الفرصة لدراسة عمران المدينة القديم على الطبيعة وتتبع نموها العمرانى ابتداء من بؤرتها الأولى واتساعها شرقاً وغرباً، وتبين لى خلال دراستى للاثار الباقية فى المدينة وعلى الاخص قصبة المرية والابراج المتبقية من اسوارها القديمة، أنه كان لعامل التضاريس وطبيعة السطح اثره العميق فى التحكم فى توجية عمران المدينة الفائض شرقاً وغرباً بامتداد السهل الساحلى وفى امتداد اسوارها، فكانت المدينة القديمة تتخذ شكل مستطيل يبلغ طوله على وجه التقريب ٥٦٠ متراً وعرضه ٣٥٠ متراً بحيث يغطى رقعة من الأرض مساحتها تصل إلى نحو ١٩ ١/٢ هكتار دون احتساب المساحة التى تشغلها القصبة[٢]، ويمتد هذا السطح ما بين القلعة المنسوبة إلى خيران، الواقعة باعلى جبل القصبة شمالاً وبين الساحل جنوباً. وكان يحد هذا المسطح العمرانى الذى تشغله المدينة من الشرق والغرب واديان ضحلان.

وكانت المدينة القديمة تشتمل على عدد من المرافق أهمها المسجد الجامع القائم فى وسطها ثم الفنادق والحمامات والاسواق التى كانت تتوزع حول مساحته، أما القيساريه فكانت تقع إلى جنوبيه ودار الصناعة تحتل الركن الجنوبى الشرقى من المدينة[٣].

ومنذ بداية القرن الخامس الهجرى، طرأ على عمران المدينة تغير واضح المعالم فقد نما هذا العمران فجأة واتسعت المدينة دفعة واحدة، وتحولت المدينة الهادئة إلى مركز رئيسى للهجرات وذلك ابان الاضطرابات التى اعقبت سقوط الخلافة واشتعال نار الفتنة البربرية، ومنذ ذلك الحين ازداد عدد سكانها بمن وفد عليها من قرطبة ومن غيرها من مدن الاندلس التى طحنتها الفتنة ومن أنسوا الامان بين

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية، وبحثة عن «المرية قاعدة الاسطول الاندلس»، مجلة الرابطة، القاهرة، مايو - يونيو ١٩٥٩، ص ٦٨ - ٧٩.

(2) Torres Balbas (L) : Almeria Islamica, PP. 430 - 436.

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ١١٦

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص ١١٦ ، ص ١١٧.

اسوارها وتحت قصبتها الشامخه وفى ظلال ما كان يسودها من هدوء وسلام بحكم بعدها عن مناطق الصراع الرهيب القائم بين الطائفتين البربرية والاندلسية، وكان من الطبيعى بسبب تزايد وفود القادمين اليها أن تضيق المدينة عن الاتساع لجموعهم وأن تتكون بؤرات عمرانية خارج نطاق المدينة القديم، ولما كان من المستحيل أن يمتد العمران شمالاً بسبب اعتراض جبل القصبة وجنوباً لوجود البحر، أصبح من المحتم أن يمتد العمران شرقاً بامتداد فحص المرية الفسيح، وغرباً فى المنطقة المحصورة بين وادى الرملة الذى يعرف اليوم باسم «رملة لاشانكا» وبين جبل الكنيسة[١].

وفى هذين الاتجاهين تكون ربضا المدينة الشرقى والغربى، الأول، فقد اطلق عليه اسم ربض المصلى، نسبة إلى المصلى أو ربض الشريعة القديمة التى كانت تقع خارج الباب الشرقى من المرية الأولى[٢]، وموقعه شرقى المدينة القديمة، ويفصل هذا الجبل عن جبل القصبة خندق عميق يعرف اليوم باسم الاخدود La Hoya[٣].

وأما الربض الثانى، فهو ربض الحوض، يحتمل أنه سمى كذلك نسبه إلى جب كبير كان موجوداً فى هذه الناحية، وللأسف لم يبق من اثار شوارع هذا الربض شئ يدل على ما كانت عليه هذه الشوارع فى العصر الاسلامى، وذلك لتخرب عمرانة منذ أن استولى القشتاليون على المدينة عام ٥٤٢هـ (١١٤٧م)[٤].

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المصدر السابق، ص ١١٦ ،١١٧ .

(2) Torres Balbas (L) : Musalla y Saria, Al - Andalus, Vol. XIII, P. 175, 1948.

عن السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ١١١، المصلى فى المدن الإسلامية فضاء فسيح خارج اسوار المدينة، كانت تقام فيه شعائر صلاة العيدين وصلاة الاستسقاء ايام الجفاف، والشريعة القديمة لأن امتداد العمران خارج نطاق أسوار المدينة الأول استلزم انشاء شريعة جديدة فى نفس الاتجاه خارج ابواب الربض الجديد (أنظر، سالم : المرجع السابق، ص ١١٧).

(3) Torres Balbas (L) : Almeria Islamica, P. 433.

السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ١١٧ .

(4) Torres Balbas (L) : La Medina, los Arrabales y los Barrios, Al - Andalus, Vol. XVIII, P. 167.

عن السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص ١٢١ .

وبامتداد العمران إلى هذين الربضين بلغت مساحة مدينة المرية علاوة على قصبتها نحو ٧٩ هكتار[١].

ثانياً : الاثار الباقية فى مدينة المرية

الاثار الحربية :

القصبة : هى القصبة التى اسسها خيران العامرى ونسبت إليه، فابن سعيد يشير إليها عند تعرضه لذكر مدينة المريه بقوله : «وبنى فيها خيران العامرى قلعته العظيمة المنسوبة إليه»[٢]، ويؤكد المقرى ذلك بقوله : ولها (أى المريه) القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران»[٣]. ونستدل من رواية العذرى التى يشير فيها إلى قيام خيران باقتحام المرية والاستيلاء على القصبة[٤] أن القصبة كانت قائمة بالفعل قبل استيلاء خيران العامرى على المرية، وعلى هذا نستنتج أن خيران أسس قلعته بعد أن استولى على القصبة على اساس أن القصبة اشمل وأعم من القلعة. وقد يكون المقصود من نص العذرى أن خيران اهتم بتحصين القصبة بالأسوار المنيعة التى ما زالت حتى اليوم[٥]، وشدة عنايته بهذا العمل الضخم هو الذى دعا المؤرخين العرب إلى نسبتها إليه[٦].

وكيفما كان الأمر، فإن القصبة تنتصب شامخة باعلى جبل صخرى ارتفاع نحو ٦٥ متراً فوق سطح البحر، صعب الارتقاء لوعورته، والجبل المذكور هو آخر حلقة من سلسلة جبال جادور Gador القريبة من نهر اندرش الذى كانت مياهه بادئ ذى بدء تصب فى البحر فى موضع اكثر ارتفاعا بالقرب من مدينة

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ١١٦.

(٢) المغرب فى حلى المغرب، جـ٢، ص ١٩٣، وأنظر أيضاً، جوميث مورينو : الفن الإسلامى، ص ٣١٧.

(٣) نفح الطيب، جـ١، ص ١٥٣.

(٤) ترصيع الاخبار، ص ٨٣.

(٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص ١٢٢.

(٦) جوميث مورينو : الفن الاسلامى فى اسبانيا، ص ٣١٧، ويذكر العذرى : «وقد اشرفت على المدينة قصبتها، وهى فى جبل منفرد على سور متقن لا يصعد إلى قصبتها إلا بكلفة ولا يرقى اليها الا بمشقة، محكمة فى رتبها غاية فى امتناعها» (ترصيع الاخبار، ص ٨٣).

بجانه Pechina.

ويرى بعض الباحثين أن قصبة المرية أقيمت على أساس برج فينيقى قديم(١)، ولكنا نستبعد ذلك لأن كل ما عثر عليه فى سلاح جبل القصبة لا يعدو قطعاً من الفخار من العصر التيوليتى تدل على أن هذا الموضع كان مأهولاً فى عصور قديمة(٢).

هذا وتقع القصبة إلى شمال مدينة المرية القديمة، وتشرف من الجهة الشمالية والشمالية الشرقية على ربض المصلى وخندق باب موسى، ومن الجهة الغربية على ربض الحوض، وتمتد طولاً من الشرق إلى الغرب بمقدار ٥٣٠ متراً، ويؤكد الحميرى هذا الامتداد الشرقى - الغربى للقصبة فى قوله : «وقصبتها بجوفيها وهو حصن منيع لا يرام مديد من المشرق إلى المغرب»(٣). ويتخلل امتداد سطحها بروزات وابراج كثيرة فى غير نظام وينقسم هذا السطح إلى ثلاثة مرتفعات غير متساوية، يفصل بين كل منها سور، فالمرتفع الأول، وهو المرتفع الغربى الذى يتخذ شكلا أقرب ما يكون إلى شكل المثلث، يتصل بسور المدينة فى خط مواز لطريق لاشانكا La Chanca وتكتنف سور هذه القلعه المثلثه ابراج اسطوانية الشكل ضخمة تضم غرفا، كما تشتمل على معقل أمامى به ثلاثة ابراج أخرى للمدفعية يحيط بها خندق، وكل هذه الابراج اقيمت من كتل حجريه على النظام القوطى(٤) اما المرتفع الثانى أى الأوسط، فيتخذ شكل مربع سطحه يكاد يكون منبسطاً ويمتد هذا المرتفع من أسوار القلعة الغربية حتى السور الفاصل الذى يقسم القصبة إلى قسميها الشرقى والغربى وكان هذا القطاع يضم كل بنيان القصر وملحقاته، وفى الناحية الشمالية من هذا القطاع يمكننا أن نتتبع القسم الاخير من الطرف المقابل لسياج المدينة ويمتد مخترقا طريق لاهويا La Hoya، وكان فيما مضى عامرا بالدور ليصعد بعدئذ إلى تل سان كريستوبال San Cristobal أو جبل

(1) Sainez de Robles : Castillos en Espana, Madrid, 1954, P. 295.

عن السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ١٣٧.

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ١٣٧، هـ١.

(٣) الروض المعطار، ص ١٨١.

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ١٣٧، ١٣٨، جوميث مورينو : الفن الاسلامى، ص ٣١٧.

ليهم، وقد زود سور هذا القطاع بابراج مربعة الشكل تتجاوز فى ارتفاعها السور، وتتميز الاجزاء العليا من هذه الابراج بانها مجوفه بدون اقبية وتنتهى بنيتها من أعلى بشرفات ذات رؤوس مدببة[1].

وأما المرتفع الثالث، وهو المرتفع الشرقى، فطويل للغاية وتعادل مساحته كل من مساحة المرتفعين الغربى والاوسط، وكانت تشغله فيما يبدو حدائق القصر ومن هذا المرتفع الأخير يسلك الجند والقائمون بحراسة القصبة إلى المدينة[2]، ويتميز هذا القسم من القصبة بجبابة العميقة وناعورة يبلغ عمقها وفقاً لما ذكره ما دوث سبعون قامة[3].

والباب الحالى للقصبة، لانشك فى أنه من العصر الاسلامى قد شيد على طريقة عهد الخلافة بعقودة المدببة االمتجاوزة المنكسرة القامة من الآجر إذ تتداخل فيه الصفوف المزدوجة من لوحات الحجر الرملى ممتده بين أخرى تتعاقب فيها الكتل القائمة طولاً وعرضاً[4].

أسوار المدينة والربضين :

تتناول دراسة أسوار المدينة القديمة والقطاع الشرقى والغربى منها :

١- أسوار المدينة القديمة :

يذكر العذرى أن عبد الرحمن الناصر أقام أسوار المريه فى سنة ٣٤٣هـ (٩٥٤م) من الحجر (الصخر)[5]، ومن المعروف أن هذه الاسوار تتفرع شمالاً من طرفى القصبة الشرقى والغربى باتجاه الواديين الجانبيين إلى أن تلتقيا جنوباً بالسور القبلى للمدينة القديمة الذى يمتد بحذاء البحر ويضربه ماؤه[6]، وإليه يشير ابن سعيد نقلا عن الرازى - فى قوله : «سورها على ضفه البحر وبها دار الصناعة»[7].

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ١٣٩ .

(٢) جوميث مورينو : الفن الاسلامى فى اسبانيا، ص ٣١٧.

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ١٣٨ .

(٤) جوميث مورينو : المرجع السابق، ص ٣١٧ ، ٣١٨.

(٥) ترصيع الاخبار، ص ٨٦.

(٦) معجم البلدان، المجلد الخامس، ص ١١٩ .

(٧) المغرب فى حلى المغرب، جـ٢، ١٩٣ .

٢- القطاع الشرقى :

تحكمت طبيعة سطح الربض الشرقى فى بنيان سوره وفرضت نفسها على تخطيط هذا السور؛ إذ املت على بناة هذا السور احتواء مقدمة جبل لاهم التى يسميها ابن خاتمة بالعرقوب وتعرف اليوم بمرتفع سان كريستوبال داخل نطاق الربض[١]. وتخطيط هذا السور حسب وصف ابن خاتمة، ووفقاً لمخطط المدينة الذى نفذ فى سنة ١٦٠٣م يرجع إلى القرن الخامس الهجرى، وينبثق هذا السور من منتصف السور الشمالى للقصبة ويمضى فى اتجاه الشمال الشرقى ثم يهبط إلى خندق باب موسى ليغلق هذا المذخل الخطير المؤدى إلى الربض المحدث، ثم يأخذ فى الارتفاع فى الشمال الشرقى إلى السطح الجنوبى لجبل لاهم ثم ينحرف إلى الشرق ويتدرج فى الهبوط نحو الجنوب الشرقى إلى أن يصل إلى باب بجانه، ثم يغير اتجاهه إلى الجنوب ويمضى فى وجهته حتى يقابل الطرف الشرقى من السور القبلى للربض، وتظهر فى مخطط ١٦٠٣م آثار جدار يتجاوز نقطة التقاء السور الشرقى للربض بالسور القبلى ويصل إلى البحر[٢] ويعتقد الاستاذ توريس بلباس أن هذا الجدار لا يعدو أن يكون سورا «برانيا» يقطع الطريق الساحلى على من يهاجم المدينة[٣]. واغلب الظن أن هذا السور بنى فى عهد خيران العامرى، استناداً إلى قول العذرى : «وبنى خيران الفتى السور الهابط من جبل ليهم إلى البحر وجعل له اربعة ابواب[٤]، وفى موضع آخر «سور ربضها الشرقى (ربض المصلى» واتصل سور الربض بالمدينة وكان الذى سور الربض الفتى خيران[٥]. ويذكر الحميرى ذلك فى قوله أن ربض المصلى بالمريه عليه «سور تراب بناه خيران العامرى»[٦].

ولم يتبق من هذه الاسوار جميعاً سوى ستارتان يبلغ طولهما نحو ٤٤٠ متراً

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية، ص ١١٧.

(2) Torres Balbas (L) : Almeria Islamica, P. 414.

السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع السابق، ص ١٣٨.

(3) Torres Balbas (L) : Ibid, P. 434.

السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ١١٨.

(٤) ترصيع الاخبار، ص ٨٦.

(٥) نفسه، ص ٨٦.

(٦) الروض المعطار، ص ١٨٤.

بارتفاع يصل إلى خمسة امتار[1]، الأولى، تمتد من السور الشمالى للقصبة إلى مرتفعه العرقوب أو جبل لاهم، وتقتصر مهمتها على غلق المدخل المؤدى إلى ربض المصلى عبر خندق باب موسى المسمى اليوم بالاخدود، وهذا السور اقيم بأكملة من الملاط المعروف فى الأندلس بالطابية أو التراب[٢]، كما اقيمت بهذه المادة الابراج المستطيلة التى تحميه، وهى ابراج متقاربه قليلة البروز عن مستوى السور، ولهذا السور ممشى علوى ليس على مستوى واحد وانما يتدرج فى ارتفاعه حسب سطح الأرض[٣]. أما الستارة الاخرى الباقية فتشتمل على السور القائم على جبل لاهم كله، وكان يواصل امتداده إلى ان يصل قرب باب بجانه، وتبدأ ابراج هذا السور ببرج اسطوانى يليه برجان نصف دائريين مطولان ثم برج مستطيل أكثر بروزا، مهمتهما حماية البويب المجاور له ويلى هذا البويب برج نصف اسطوانى فاربعة ابراج مستطيلة الشكل تنتهى بها الستارة العليا، هذا ويلاحظ أن الابراج الاسطوانية قد بنيت من قطع الحجارة، وجميع هذه الابراج تحتوى على طوابق علوية، أما الابراج المستطيلة فمبنية بالطابية، ويعتقد الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن الابراج المستطيلة يرجع تاريخ بناؤها إلى عصر خيران العامرى فى حين يعتقد أن الابراج الاسطوانية بنيت فيما بين منتصف القرن الخامس الهجرى والربع الاخير من القرن التاسع الهجرى، وأن كان سيادنه يرجح انتهائها إلى عصر المرابطين[٤].

ويغلب على الظن أن السور الشمالى لربض المصلى، القائم بأعلى جبل لاهم كان يتقدمه «حزام برانى» أو سور أمامى تتجلى آثاره فى الخريطة المؤرخه سنة ١٨٥٧ ويؤكد ذلك ما ذكره الونسودى بلنسية من وجود أسوار اماميه بالمرية عندما استولى عليها الملكان الكاثوليكيان[٥].

---

(1) Torres Balbas (L) : Op. Cit., P. 439.
السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ١٤٣.

(٢) الطابية مزيج من الجير والرمل وقطع الحجارة الصغيرة (الديسه)، وقد ذكر الملاط فى كتاب ابن القوطية تحت اسم آلاشة ماشة وهى لاتينية، ويعرف هذا المزيج باسم الملاط، (راجع، جوميث مورينو : الفن الاسلامى، ص ٤٩٠).

(3) Torres Balbas (L) : Almeria Islamica, P. 434.
السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص ١٤٣.

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ١٤٣.

(5) Torres Balbas (L) : Almeria Islamica, P. 439.
السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص ١٤٤.

٣- القطاع الغربى :

اما السور الدائر بربض الحوض فيغلب على الظن أنه من بناء خيران العامرى، وذلك لاتساع مدينة المريه من الجهة الشرقية والغربية فى آن واحد، فلابد أن يكون الربضان قدأحيطا بالاسوار فى وقت واحد(١) ويؤكد ذلك ذلك ما ذكره العذرى «وكذلك الربض الغربى مسور ايضا قد اتصل سوره بالمدينة»(٢). والملاحظ أن ربض الحوض كان أقل اتساعا من ربض المصلى، وذلك يرجع إل ضيق المساحة الواقعة بين وادى الرملة الغربى والسفوح المنحدرة للجبل المعروف منذ القرن الثامن الهجرى باسم جبل الكنيسه، ولقد اشار ابن فضل الله العمرى إلى الفارق الكبير فى المساحة بين الربضين(٣)، وحسب اشارة ابن خاتمة فان ربض المصلى يزيد فى اتساعة عن المدينة وربض الحوض معا(٤).

وكان السور الغربى يمتد من الطرف الغربى لقلعه القصبة متجها نحو الجنوب متبعاً خط سير وادى الرملة (لاشانكا) حتى التقائه بسور المدينة القبلى، ولم يتبق من هذا السور سوى مطلعه الذى يبدأ من البرج الاسطوانى الكبير القائم فى طرف القصبة الغربى، وينتهى ببرج مربع الشكل يحتوى على غرفة عليا، كما تبقت كذلك آثار قليلة من سور لاشانكا وابراجه وقد أقيمت جميعها من الطابية، ولا يختلف نظام البناء فيها باية حال عن نظام البناء فى تحصينات القرن الخامس الهجرى(٥).

كذلك تبقى من السور الشمالى لربض الحوض برجان كبيران مربعاً القاعدة لكنهما مهشمان، لكل منهما غرفة عليا، ويبعد الواحد عن الآخر بمسافة عشرين متراً، وتقتصر مهمتها على الدفاع عن المدخل الشمالى لربض الحوض عبر وادى الرملة، كما تبقت ابضاً من السور الغربى بعض ابراج مربعة الشكل اصغر حجما، ولكنها متباعده ومنعزلة بسبب دثور الستائر التى كانت تربطها فيما بينها، وبناء هذه الأبراج ايضاً من الطابية(٦).

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٢) ترصيع الاخبار، ص ٨٦.

(٣) وصف افريقية والمغرب والاندلس، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب، ص ٤٦.

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ١١٣.

(٥) نفس المرجع السابق، ص ١٤٢.

(6) Torres Balbas (L) : Almeria Islamica, P. 430.

ابواب المدينة :

لم تقتصر تحصينات المريه على القصبة والاسوار كوسيلتين من وسائل الدفاع عنها، وأنما تشمل هذه التحصينات ايضاً ابواب المدينة التى تلعب دوراً فى أحكام غلق حلقة الدفاع إذا ما حاول عدو ما اقتحامها. ولذلك اهتم أهل الاندلس بنظام بناء ابواب المدن، فبجانب دورها الدفاعى، كانت ايضاً منافذ للدخول إلى المدينة والخروج منها، وكانت الابواب غالبا، تسمى باسماء المدن التى تتجة إليها لتفتح الطريق المباشر بين هذه المدينة والمدينة التى تقابلها(١).

ولقد ترتب على ضياع معظم معالم اسوار المريه واختفاء آثارها بما فى ذلك الابواب التى كانت تنفتح فى ستائرها بالاضافة إلى طغيان العمران الحديث على مواضعها القديمة قيام مشكلة تحديد هذه المواضع، إنه بفضل اسهامات مؤرخى العرب القدامى والمحدثين وما أسفرت عنه أعمال التنقيب الاثرى على ايدى علماء الآثار الاسبان امكن التوصل إلى معرفة اسماء مواضع الأبواب التى كانت تنفتح فى أسوار المريه الاسلامية.

ويجدر بنا القول بهذه المناسبة أنه لم يتبق اليوم من هذه الابواب سوى بويب أو خوخه مفتوحه فى جبل لاهم بقطاعه الشمالى، يعلو اسطوانه قبوه حجريه قليله التكور ويتوج الباب عتب يعلوه فراغ مستطيل الشكل يرجح أنه كان مخصصاً للوحتهالانشائية(٢).

وفيما يلى دراسة مقتضبة لهذه الابواب نبدأ فيها بأبواب الربض الشرقى ثم نتطرق إلى ابواب المدينة القديمة لنختتمها بابواب الربض الغربى :

ابواب الربض الشرقى أو ربض المصلى :

١- باب موسى : لانشك فى أن تسمية هذا الباب باسمة المذكور نسبة لأحد أعلام المريه المشهورين، وكان هذا الباب ينفتح فى سور الخندق الموصل بين جبل القصبه وجبل لاهم، ويذكر ابن الخطيب أنه نفس الباب الذى خرج منه معز الدولة بن صمادح إلى دار الصناعة حيث ابحر فى جفن إلى ثغر الجزائر فراراً من

---

(١) ليفى بروفنسال : الاسلام فى المغرب والاندلس، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم والاستاذ محمد صلاح الدين حلمى، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ص ٥٧.

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص ١٢٤.

جيش المرابطين المحاصر لمدينة المريه فى ذلك الوقت[1]. وآثار هذا الباب لا تزال ماثلة فى يومنا هذا، وأن كان قد سد بالطابية ويكتنفه برجان مربعاً الشكل[2].

٢- باب ليهم : نسبة إلى جبل ليهم، ويقع فى أول السورالها بط من هذا الجبل. وقد ذكره العذرى فى جملة ابواب السور الهابط من جبل ليهم إلى البحر وعدتها اربعة[3].

٣- باب بجانه : وكان هذا الباب يعتبر من الابواب الرئيسية للمريه إذ كان ينفتح فى اتجاه مدينة بجانه ولذلك سمى باسمها، وقد سمى هذا الباب فيما بعد باسم برشانه، فقد اختلط على القشتاليين الأمر عند دخولهم المريه فى سنة ٨٩٥هـ (١٤٨٩م) فنسبوا هذا الباب إلى برشانة بدلا من بجانه[4] لتقارب الاسمين فى النطق.

٤- باب المربى : ذكره العذرى[5]، ولعل تسميته باسمه ترجع إلى اشرافه على فحص المريه، وربما كانت هذه المنطقة فى ذلك الوقت تشتهر بتربية الأغنام والمواشى ومن ثم سمى بهذا الاسم.

٥- باب السودان : يلى باب المربى[6] جنوباً وقد اورده العذرى فى مؤلفه فى جملة ابواب المرية الاربعة التى تنفتح فى السور الشرقى الممتد من جبل لاهم إلى البحر، وكان يعرف فى ايامه بباب الاسد.

٦- باب دار صناعة المرية[7]: ويقع فى الطرف الجنوبى الشرقى من السور المطل على البحر، وهو آخر ابواب هذا السور وسمى كذلك نسبة إلى دار الصناعة ولعله كان ينفتح بالقرب منها.

---

(١) اعمال الاعلام : «القسم الخاص بالاندلس»، ص ١٩٢.

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص ١٢٦.

(٣) ترصيع الاخبار، ص ٨٣.

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ١٢٤، وبرشانه من امنع حصون المريه وأوثقها بنيانا، (الحميرى الروض، ص ٤٢)، وتقع على وادى يسمى بالمنصورة (ابن الخطيب : مشاهدات، ص ٣٦، ملحوظة١، ص ٨١).

(٥) ترصيع الاخبار، ص ٨٣.

(٦) نفس المصدر والصفحة.

(٧) نفس المصدر والصفحة.

٧- باب العقاب : وقد ذكره المقرى بقوله : «ومن ابوابها (أى المريه) باب العقاب، علية صورة عقاب من حجر قديم عجيب المظر[١]. ونستخلص من ذلك ان باب العقاب انما سمى كذلك بسبب تمثال كلاسيكى ضخم لعقاب كان يعلو الباب، والعقاب يرمز إلى القوه والبأس ووجوده دليل على مناعتها وحصانتها، وكان تزيين بوابات المدن الاندلسية بالتماثيل القديمة أمراً شائعاً فى العصر الاسلامى كما هو الحال فى مدينة الزهراء وقرطبة وبجانه وبلنسية[٢]، ويرجح الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن هذا الباب كان ينفتح فى منتصف السور الشرقى لربض المصلى المؤدى إلى فحص المريه[٣] واعتقد أن هذا الباب استحدث فى القرن السادس الهجرى بدليل ان العذرى لم يشر اليه على الرغم من اهتمامه الخاص بذكر ابواب السور الشرقى لربض المصلى، وقد يكون بابا ثانويا ولهذا لم يرد فى جملة الابواب التى ذكرها العذرى.

ابواب المدينة القديمة :

٨- باب البحر : يظهر هذا الباب فى خريطة المريه المؤرخه فى سنة ١٦٠٣، وقد سمى كذلك لانفتاحه على البحر[٤].

٩- باب الزياتين : ينسب هذا الباب فيما يغلب على الظن إلى حى الصناع المختصين بعصر الزيوت، ولعل هذا الحى كان يشغل ركنا بعيداً عن قلب المدينة، ولكنه قريب من البحر حتى يتيسر شحن الزيت على السفن التجارية، وقد ورد ذكر هذا الباب فى ترجمة محمد بن خليد بن محمد التميمى من أهل المريه[٥]. ويرجع الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن هذا الباب كان ينفتح فى السور الجنوبى من اسوار المدينة، أو لعله ينفتح بالذات فى السور الجنوبى من المدينة الداخلية كالشأن دائماً فى رأيه أن تكون معاصر الزيوت قريبة من الميناء حتى يسهل

---

(١) نفح الطيب : جـ١، ص ١٠٢.

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلامية، ص ١٢٥، قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس، جـ١ ، ص ٢٣٦.

(٣) تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص ١٢٥.

(٤) نفس المرجع، ص ١٢٧.

(٥) ابن الابار : ابن عبيد الله بن عبد الله) : التكملة لكتاب الصلة، جـ٢، مطبعة الخانجى بمصر والمثنى ببغداد، ١٩٥٦، ص ٤٩٥، ترجمة (١٣٧٠).

نقل الزيت وتصديره[١] .

ابواب الربض الغربى أو ربض الحوض :

باب مقبره الحوض : لم تمدنا المصادر العربية باية اشارة عن وجود هذا الباب، كما أن أعمال التنقيب الاثرى لم تسفر حتى الأن عن آثار تشير إلى وجود ابواب فى هذا الربض، ولكن جرت العادة فى مدن الاندلس أو المدن الاسلامية بوجه عام أنه اينما وجدت مقابر خارج السور تفتح بالضرورة ابواب تيسيراً لدفن الموتى ويعتقد الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن السور القبلى لربض الحوض كان ينفتح فيه باب قبلى يؤدى إلى مقبرة الحوض المعروفة بالرابطة[٢] .

الآثار المدنيــة :

القصر : كانت القصبة تشتمل بدون ادنى شك على مقر القائم بالدفاع عن المدينة، فقد كان من الطبيعى أن يكون هذا القصر بداخل قصبتها، أما مقر الوالى أو الحاكم فكان أغلب الاحيان مجاورا للمسجد الجامع كالشأن فى عديد من قصور الاندلس حتى يسهل على الوالى الانتقال من القصر إلى الجامع ايام الجمع والأعياد أو فى المناسبات الرسمية، وأما قصر القصبة فكانت له أهمية باعتباره المركز الرئيسى للدفاع عن المدينة وكان يتولاه قائد الحامية أو صاحب المدينة ويرجع تاريخ انشاء هذا القصر إلى تاريخ انشاء القصبة، وقد استمر ذلك فى عهد الولاه التابعين للخلافة الاموية، ثم فى عهد خيران وزهير العامريين اما فى عهد بنى صمادح فقد اسس بالاضافة إلى القصرين المذكورين قصر منيف عرف بقصور الصمادحية.

وللاسف لم تمدنا المصادر العربية بقدر كاف من الاخبار التفصيلية عن هذه القصور، وكل وصل إلينا عنها لا يعدو اخباراً قليلة متناثرة هنا وهناك فى بطون المصادر التقطناها من خضم الأحداث السياسية، وأن كانت اعمال التنقيب التى اجراها بعض المستشرقين الاسبان فى منطقة القصبة وغيرها قد أمدتنا ببعض المعلومات التى امكننا بواسطتها تصور ما كانت عليه هذه القصور.

ولقد حدد اعمال البحث والتنقيب الموضع الذى كانت تقوم عليه قصور الصمادحية بالمرتفع الاوسط من القصبة، ولكن الهزات الجيولوجية المتعاقبة تسببت للاسف فى تدمير ما أقيم فى هذه المنطقة من منشآت مدنية فى العصر الاسلامى

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ١٢٦ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : نفس السابق، ص ١٢٨ .

نذكر منها ثلاث هزات ارضية أولها الزلزال الكبير الذى وقع فى سنة ١٤٩٥م، وتسبب فى هدم جزء من المدينة الوسطى، وثانيها زلزال سنة ١٥٢٢م الذى الحق اضرارا فادحة بمنشآت القصبة، أما النزر اليسير من المبانى التى قدر لها أن تبقى قائمة بعد هذا الزلزال الاخير فقد طواها المرتفع المذكور فى اعقاب الزلزال الذى حدث عام ١٥٥٠م(١). ولم يتبق من اثار هذه المبانى سوى آثار جدران وغرف وحمام وحوض جوفى(٢).

ويبدو قصر القصبة من خلال الآثار الباقية على شكل شبكة من جدران سميكة مبنية من ملاط شديد الصلابة وغطيت بعض الاجزاء الدنيا من الجدران بطلاء احمر اللون يميل إلى الصفرة، كما عثر على جدار آخر تظهر فيه المداميك (صفوف الكتل) الضخمة بخطوط محفورة فى كسوته، ومجموعه أخرى من من الجدران مشيدة من الحجر تتوزع بينهما ممرات تمتد بين غرف مربعة مع بقايا درج، وكان يقوم فى نهاية الطرف الشمالى من هذا المرتفع الأوسط بناء اشبه ما يكون بشرفه تطل على خندق باب موسى، ويتألف هذا البناء من طابقين، ويحتوى على عقود ضخمة فى الواجهة احدها على شكل حدوة الفرس، وتتعلق هذه العقود بقاعات طولها ٩,٦٥م وعرضها ٢,٣٢م، لعلها كانت مسقوفة فى كل من الطابقين، وقد بقيت فى الجزء الامامى قاعة اخرى وصل طابقها الاسفل سليما وهى اشبه ما تكون بسرداب يتقدمه ما يشبه الرواق، وتظهر إلى يمين القسم الأدنى من البناء قاعدة باب مع عقدين على شكل حدوة الفرس احدهما وراء الآخر بتسنيج كامل وافريز، نظام البناء فيهما ينتظم على اساس كتل حجريه تتعاقب طولا وعرضاً، قائمة وممتده يبلغ ارتفاعها ٥٠سم، ٢٠ سم على التوالى(٣).

وقد كشف البحث الاثرى فى اطلال القصر عن حمام يتكون من خمس

---

(1) Luis Seco de Lucena : Los Palacios del Taifa Almeriense Al - Mutasin en (Cuaderno de la Alhambra); III; 1967; P. 17.

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص ١٣٩.

(٣) جوميث مورينو : الفن الاسلامى، ص ٣١٨، بلاط صلب : مزيج من الجير والرمل وقطع الدبش، والاصطلاح بالفرنسية Béton وبالاسبانية Hormigon (المرجع السابق ص ٤٩٤)، افريز : الحجارة أو الآجر على مسافات منتظمة داخل افريز زخرفى (نفس المرجع السابق، ص٤٩٣)، تسنيج : من سنجة وجمعها سنجات، والسنجات هى الكتل الحجرية التى يتألف منها العقد المقوس فى البناء، (راجع السيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور بالاندلس – دار المعارف بمصر ١٩٥٨، ص ٣٠، هـ١).

غرف تمتد طولا على صف واحد، ويحتفظ هذا الحمام ببقايا قبوات اسطوانية وعقود من الآجر[١].

قصور الصمادحية :

يشير بعض مؤرخى العرب فى الاندلس إلى القصور الرائعة التى شيدها المعتصم ابن صمادح فى المريه عاصمة ملكة يخصص بعض الشعراء قصائد فى مدح قصر الصمادحية، إلا أن المصادر العربية وأعمال التنقيب الأثرية لم تزودنا للاسف بالبيانات التفصيلية التى تعين على تحديد موضع هذه القصور او تتيح لنا معرفة مجالسها ونظام البناء فيها.

ولقد ورد اسم الصمادحية فى احدى لقصائد التى وصفت القصر، كما زودنا العذرى بتفاصيل دقيقة عن هذا القصر، ولا نبالغ فى القول إذا اعتبرنا العذرى الاخبارى الوحيد الذى زودنا بتفاصيل هامه عن هذا القصر، ويضاعف من قيمة وصفه للصمادحية أن العذرى من أهل المريه وأنه كان معاصرا للمعتصم بن صمادح، وقد اتاح له وجوده فى المريه أن يتعرف شخصياً على العمل المعمارى المحقق فى ظل هذا الملك فوصفه يعتمد على المشاهدة والمعاينة، وهما مقومان اساسيان للتحقيق التاريخى والحضارى، يقول العذرى فى وصف بساتين الصمادحية : «فمنها القصر الكبير المتطلع من جوفيه إلى جبل ليهم، وفى قبلية بستان عظيم جدا فيه جميع الثمار وغريبها مالا يقدر واصف على أن يصفه، مع طول مساحته قرب عرض القصبة[٢]». ثم يتطرق إلى وصف مجلسه العظيم ويليه فى قبلته مجلس عظيم مقرنس[٣]، بالرفوف المزوقه المنقوشة المنزول فيها الذهب[٤] الطيب مفروش بالرخام الابيض وقد ازر بالرخام المنقوش وفى ذلك النقش تاريخ بنائه والذى أمر به، ويليه صحن قبليه ابواب عليها شراجب[٥] يطلع منها أن أحب إلى جميع مدينة المرية وإلى بحرها واقبال السفن إلى مرساها وخروجها منه إلى العدوة وسائر البلاد، وبنى فى شرقها دارا للحكم فيه، متقن جدا[٦].

(١) جوميث مورينو : المرجع السابق، ص ٣١٨.

(٢) ترصيع الاخبار، ٨٥.

(٣) راجع مافاب هنا، ص ١١١، هـ٤.

(٤) راجع ما فات هنا ص ١١١ ، هـ٤.

(٥) راجع ما فات هنا، ١١١ ، هـ ٣.

(٦) العذرى : المصدر السابق، ص ٨٥.

ومنذ عهد قريب قام الاثرى الاسبانى دون فرنشيسكو بريتو مورينو بأعمال تنقيب هامة داخل أسوار قصبة المريه لاسيما فى المرتفع الثانى الذى كان يشتمل على القصور ومقر القائد اذ عثر على اجزاء من الحوائط امكن ارجاعها إلى عصر المعتصم، وخرج بنتيجة مدهشة وهى أن الرخام المنقوش والمصفح بالذهب اللذين زين الصالات الملكية، والذى عثر عليه، بالاضافة إلى رواية العذرى، تكفى لاثبات ان التقليد المعمارى والزخرفة الخلافية استمرت فى بنيان القصور التى شيدها المعتصم(١).

ويأتى المقرى برواية تلقى بعض الضوء عن بناء الصمادحية ملخصها أن المعتصم عندما شرع فى تشييد هذا القصر قام عماله بانتزاع ملكية بستان لبعض الأيتام، ولم يفلح احتجاج الوصى على الايتام على هذا الاجراء، فاضطر إلى الكتابة الى المعتصم نفسه ليفصل بينه وبين هؤلاء العمال، ولم يسع المعتصم الا ان يأمرهم برد البستان إلى أصحابه اليتامى، ولما حاول هؤلاء العمال اقناعة بضرورة ادماج أرض هذا البستان إلى مسطح القصر لتوفير نوع من التناسق على بنيان القصر رد عليهم بقوله «والله أن عيبها فى عين الخالق اقبح من عيبها فى عين المخلوق(٢)»، وقد استطاع وزيره ابن أرقم بعد ذلك شراء هذا البستان بعد أن استلطف الوصى والايتام وكافأهم عليه بما اشتهوا من الثمن، وضمت إلى قصر الصمادحية، فاستقام بها بناءها(٣).

ومما يجدر ذكره أن مؤرخى العرب لم يزودونا بتفاصيل عن مجالس الصمادحية ولا حتى عن اسمائها باستثناء مجلسين كبيرين(٤)، أحدهما مجلس البهو الذى ذكره كل من الفتح بن خاقان وابن الخطيب ونسباه إلى خيبران العامرى(٥)، والمجلس الثانى هو مجلس الحافة ذكره ابن خاقان وأشار إلى أنه من بناء المعتصم مع أننا نعرف تماما بأن الصمادحية من بناء المعتصم ابن صمادح، لم يوضح ما اذا كان من بين مجالس الصمادحية أو قصر آخر، ويكتفى بأن يشير إلى

(1) Luis Seco de Lucena : Op. Cit., P. 18.

(٢) المقرى : نفح الطيب : جـ٤، ص ٣٣٨ ، ٣٣٩؛ راجع أيضاً :

Dozy (R) : Recherches sur L'histoire et a Litterature de L'Espagne Pandant le Moyen age, Vol I, Leyde, 1881; PP. 245 y 246.

(٣) المقرى : المصدر السابق، جـ٤، ص ٣٣٩.

(٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلامية، ص ١٣٩ ، ١٤٠.

(٥) ابن خاقان : تلائد العقيان، ص ٤٨، ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين، ص ٤٥.

أنه ذهب إلى مجلس البهو ومجلس الحافة، فيقول : «فكثيرا ما كان يعمر أندية اللهو ويداولها من مجلس الحافة إلى البهو، كلاهما سرى المنظر خمرى المرمر[١]، ونخلص من هذا النص بأن جدران هذين المجلسين كانت تكسوهما لوحات من المرمر الخمرى اللون.

ويعتقد الاستاذ لويس سيكودى لوثينا ان هذين المجلسين هما نفس المجلسين اللذين ذكرهما العذرى باعتبارهما قسما متمما للقصر الذى شيده المعتصم داخل نطاق القصبة[٢].

وكانت تخترق حديقة القصر جداول وقنوات تنعطف وتتعرج كالحية النضناض بين أفنية القصر وبساتينه فتزيدها سحرا وتكسبها جمالا ويعبر ابن خاقان عن ذلك بقوله «حضر مجلسه بالصمادحية فى يوم غيم، وفيه اعيان الوزراء ونبهاء الشعراء، فقعد على موضع يتداخل الماء فيه، ويتلوى من نواحية[٣].

وقد وصلنا وصف أدبى آخر لقصر الصمادحية لابن الحداد الشاعر، ولكن هذا الوصف لسوء الحظ لم يضف جديداً بحيث نستطيع أن نستكمل صورته المتكاملة[٤].

ويرى الاستاذ لويس سيكودى لوثينا أن الصمادحية لم تكن داخل سوو القصبة ولا داخل مدينة المريه، ويعلل ذلك انها كانت حديقة كبيرة احتلت أرض فسيحة تخترقها القنوات والجداول التى كان يتغنى بجانبها الشعراء والتى وصفها العذرى

---

(١) ابن خاقان : المصدر السابق، ص ٤٨.

(2) Luis Seco de Lucena : Op. Cit., P. 19.

(٢) ابن خاقان : المصدر السابق، ص ٥٠، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلامية، ص ١٤٠.

(٣) يصف احدى مجالسه فيقول :

رأس بظهر النون الا أنه ... سام، فقبته بحيث النون
هو جنه الدنيا تبوأ نزلها ... ملك تملكه التقى والروع
فكأنما الرحمن عجلها له ... ليرى بما قد كان ما سيكون
وكأن بانية سنمار فما ... يعدوه تحسين ولا تحصين
وجزاؤه فيه نقيض جزائه ... شتان ما الاحياء والتحيين

(راجع المقرى : نفح الطيب، جـ٥، ص ٢٤٠).

كشاهد عيان، ويضيف بأن أعيان المريه كانوا يمتلكون الضياع الكبيرة والمزارع فى وادى بجانه ويستند فى ذلك إلى نص العذرى : «وبنى المعتصم بخارج مدينة المرية بستانا وقصوراً متقنه البنيان ......»[١].

وكيفما كان الأمر، فيمكننا أن نخرج من النصوص السابقة بحقيقة هامة هى، أن قصر الصمادحيه كان يتضمن عدداً من القصور أو المجالس شأنه فى ذلك مثل قصر الامارة بقرطبه[٢] وقصر الزهراء[٣] وقصر المبارك باشبيليه[٤]، ومن ابرز هذه المجالس المجلسان الكبيران البهو والحافة اللذان تردد ذكرهما فى الروايات العربية.

بقايا دار عربى بربض الحوض: عثر ما يقرب من ثلاثين عاما على آثار لدار فى الربض الغربى من المرية وهو ربض الحوض على مقربه من طريق لاشانكا ، وقد ثبت من الاثار المكتشفة انها لدار على جانب كبير من الثراء الزخرفى[٥]، يتوسطها صحن فى جانبه الشمالى تنفتح به ثلاث فتحات الوسطى تزيد فى الاتساع عن الفتحتين الاخريين، كانت عقوده المندثرة تقوم على اعمدة مربعة، ويتوسط الصحن بركة مربعة عمقها ٩٠سم تتصل بجب عمقه ٣م[٦]، وتبرز فى أرضية الصحن بقايا جدران مربعة الشكل محددة الهيئة كانت مخصصة لحوض أو فواره، وتدور بالصحن قاعات طويلة ضيقة، ويبرز فى أحد جوانب القاعة عدد من الاعمدة المربعة، يعتقد الاستاذ توريس بلباس انها ربما اقيمت لتسند عقد وتحد قبه[٧]، وارض القاعات بالدار مبنية بملاط خلط بالزبت ليكتسب فيما يبدو لمعانا

---

(1) Luis Seco de Lucena : Op. Cit., P. 20.

وراجع العذرى /م ترصيع الاخبار، ص ٨٥.

(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة، جـ١ ، ص ١٨٨ . المساجد والقصور، ص ٨١.

(٣) نفس المرجع، ص ١٨٩ ، المساجد والقصور، ص ٨١.

(٤) السيد عبد العزيز سالم : قصور بنى عباد باشبيلية الوارد ذكرها فى شعر ابن زيدون بحث فى ألفية ابن زيدون (تحت الطبع) وله ايضاً : العمارة الاسلامية فى الاندلس وتطورها، (عالم الفكر) المجلد الثامن، العدد الأول، ابريل مايو / يونيو ١٩٧٧ ، الكويت، ص ١٠١ .

(5) Torres Balbas (Léopoldo) : Restos de una Casa Arabe en Almeria, (Al-Andalus), Vol. X. 1945, pp. 170 - 172.

(٦) جوميث مورينو: الفن الاسلامى، ص ٣٢١.

Torres Balbas: OP. cit., pp. 172 - 174.

وله ايضا : الفن المرابطى والموحدى: ترجمة الدكتور سيد غازى، دار المعارف بمصر ١٩٧١ ، ص٣١.

(٧) الفن المرابطى والموحدى: ص ٣٢.

وقوة، وازدانت ازر الجدران بالقاعة بأشرطة هندسية منقوشة دهنت باللونين الاسود والادكن فوق ارضية بيضاء ويزدان احد الازر بتوريقات قد دهنت باللون الاصفر[١]، وقد استخرجت من ارضية هذه الدار قطع من الجص بها توريق نموذجي[٢]، تتشابة بقدر كبير مع توريقات قبة على بن يوسف بمراكش، كما استخرج تاجان صغيران من النوع الكورنثى اوراقها ملساء من نفس طابع بعض تيجان المسجد الجامع بتلمسان[٣].

هذا وقد ارجع الاستاذ توريس بالباس تاريخ بناء هذه الدار الى عصر الموحدين[٤]، ولكن الاستاذ جوميث مورينو يرى انها ترجع الى عصر الطوائف[٥]، واخيرا خرج الاستاذ توريس بالباس برأى جديد فى تاريخ هذه الدار فأرجعه الى عصر المرابطين[٦].

وكيفا كان الأمر، فان تخطيط هذه الدار قد امدنا بصورة تكاد تكون متكاملة عن نماذج الدور العربية فى ذلك العصر الاسلامى.

الاثار الدينية:

المسجد الجامع بالمرية: يصف الرحالة الالمانى منتزر المسجد الجامع بالمرية بعد سقوط المدينة فى ايدى الملكين الكاثوليكين بخمس سنوات، وكان قد تحول الى كنيسة، انه من اجمل مساجد مملكة غرناطة وأبدعها، وكانت مئات الثريات تضئ فى بيت صلاته، وكان مفروشا بلوحات الرخام ويتوسطه حوض للوضوء، كما يحدثنا أنه زار خزانة الجامع حيث كان يحفظ زيت الوقود للكؤوس والثريات[٧]، كما يذكر منتزر ان جامع المرية كان مفروشا بأشجار الليمون والنازنج[٨].

(١) توريس بالباس : الفن المرابطى والموحدى، ص ٣٢.
(٢) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص ١٥١.
(٣) السيد عبد العزيز سالم. نفس المرجع والصفحة، وانظر له ايضا : المغرب الكبير، حـ ٢، ص ٧٥٢.
(4) Torres Balbas : Resos de una casa Arabe p. 175.
(٥) جوميث مورنينو : الفن الاسلامى، ص ٤٢٠.
(٦) السيد عبد العزيز سالم،: تاريخ مدينة المرية الاسلامية: ص١٥٠.
(7) Munzer : Viaje por Espanay Portugal, trad esp. Por Lopez Teno, Madrid, 1951, pp. 30.31.
عن السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الاسالمية، ص ١٥٠.
(٨) السيد عبد العزيز سالم: العمارة الاسلامية فى الاندلس وتطورها، (عالم الفكر)، المجلد الثامن، العدد الأول، ص ٩٣.

وفى الربع الاول من القرن السادس عشر تعرض بنيان الجامع للتدمير والتخريب، عقب زلزال وقع فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٥٢٢، وقدمهد ذلك لتحويل الجامع الى كنيسة، ففى سنة ١٥٦٠م تقريباً انشأت الكنيسة الاولى المسماه دى سان خوان، ولم تلبث هى الاخرى ان اصيبت عمارتها باضرار فادحة فى بداية القرن السابع عشر، وفى بداية القرن التاسع عشر الميلادى تحول البناء على التوالى إلى سجن ثم مستودع للمدفعية، ثم تحول إلى كنيسة من جديد فى سنة ١٨٧٨، بعد ان سلم نهائيا الى جماعة الاباء الفرنسيسكان(١)، فحفظوا بقايا الجامع والكنيسة حتى اليوم (٢).

وآثار هذا المسجد مازالت تحتفظ بها اليوم كنيسة سان خوان الواقعة قريبا من دار الصناعة (٣)، فلقد اجرى الاستاذ توريس بلباس حفريات اثرية فى هذه المنطقة خلال الاعوام ١٩٣٦/٣٤ كشف فيها عن جزء من جامع المرية ورم المحراب، ولم يتمكن من اصدار نتائج هذه الاعمال حتى سنة ١٩٥٣، ولقد تعرضت أجزاء من كنيسة سان خوان عام ١٩٣٨ للغارات الجوية تسببت فى سقوط بعض الزخارف الجصية، وقد اتاح ذلك الفرصة للتفكير فى ملاحظات جديدة(٤).

ويرجع الاستاذ توريس بالباس التاريخ التأسيسى لهذا الجامع الى اواخر القرن العاشر الميلادى، اى ينسب بنيانة الى عهد الخليفة الحكم المستنصر(٥)، بينما يعتقد الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنه أقيم فى عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر إستنادا الى أنه لايجوز أن تقام مدينة دون أن يؤسس بها مسجد جامع لفترة طويلة من الزمان(٦).

واياما كان تاريخ بنيان الجامع فقد زيد فى بيت الصلاة اكثر من مرة خلال

(1) Munzer : Viaje por Espanay Portugal, trad esp. Por Lopez Teno, Madrid, 1951, pp. 30.31.

عن السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الاسالمية، ص ١٥٠.

(٢) السيد عبد العزيز سالم، العمارة الاسلامية فى الاندلس وتطويرها، (عالم الفكر) المجلد الثامن، العدد الاول، ص ٩٣.

(3) Ewert (Christian) : El mihrab de la mezquita mayor de Almeria, (Al-Andlus), XXXVI, 1971, pp. 401 - 402.

(٤) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص ١٥٠.

(٥) نفس المرجع السابق، ص ١٤٥.

(6) Ewert (Christian) : El mihrab de la mezquita mayor de Almria, pp 392-293.

القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)، ويحدثنا العذرى عن مرحلتين متتاليتين للبناء، احداهما فى سنة ٤١٠هـ (١٠١٩م) فى عهد خيران العامرى، وذلك عندما امر بزيادة بيت صلاة من جهة القبلة، فيقول: «وزاد (اى خيران) فى قبلة جامع المرية سنة عشر وأربعمائه، زيادة جميلة اتسع بها جامع المرية»[١]، والمرحلة الثانية فى عهد زهير العامرى الذى وسع الجامع من جهاته الشرقية والغربية والشمالية، وفى ذلك يقول العذرى: «بنى وزاد فى جامع المرية من غربية وشرقية وجوفيه بلاطا من كل ناحية، وعظم المسجد»[٢].

وتتفق تفاصيل هذه الزيادة المنسوبة الى زهير فى رواية العذرى مع رواية ابن الخطيب التى تشير الى ان الزيادة تمت من ثلاث جهات، وتؤكد فى نفس الوقت على ان القبلة لم تتغير من مكانها[٣].

ولقد تمكن العالم الاثرى الاستاذ توريس بلباس من التوصل الى تحديد احدى الزيادتين وذلك خلال الابحاث الاثرية التى اجريت فى المنطقة الجنوبية من الجامع، فقدلاحظ سيادته ان اسس الجدران الممتدة نحو جدار القبله بامتدد صفوف الاعمدة تميل بعض الشئ عن صفوف الاعمدة القائمة، كما لاحظ انها اقيمت من الطابية، وتشير هذه الصفوف الى ان الامر يتعلق ببناء يتكون من سبعة بلاطات، كذلك تمكن توريس بلباس ان يميز بوضوح فى الجانب الغربى من جهة الاروقة الخمسة بلاطا جانبيا اكثر تطرفا من المعتقد انه كان يقابلة فى الجانب الاخر بلاط مماثل يتجاوز فى اتساعه البلاط الاوسط الذى كان اكثر بلاطات الجامع الاول اتساعا، كما امكنه العثور فى الزاوية الجنوبية الغربية من جهة الاروقة الخمسة على اسس البلاط المتطرف الغربى الذى ينهى القطاع المدعم لزاوية القبلة، وكانت الاسس الظاهرية للبلاط المتطرف تدعم الجدران الخارجية وهناك ظهرت اثار مداخل جانبية للمسجد، وهكذا نستدل من رواية العذرى ان اتساع بيت الصلاة تغير مرتين فى مدة اقل من عشرين سنة، وليس ذلك بغريب على مدينة اتسم عمرانها منذ البداية بالنمو السريع سيما فى اعقاب انهيار الخلافة الاموية بقرطبة[٤].

(١) ترصيع الاخبار، ص ٨٣.

(٢) ترصيع الاخبار، ص ٨٣

(٣) يقول ابن الخطيب : «وزاد فيه الزيادات من جهاته الثلاث ما سوى القبلة، (أعمال الأعلام القسم الخاص بالاندلس، ص ٢٢٦).

(4) Ewert (Christian) : Op. Cit., pp 396 - 297.

وبالاضافة الى كل ما سبق ان ذكرناه عثر الاستاذ توريس بلباس فى حفرياته على مجموعة من القطع الزخرفية المفرغة في الجص تبرز فى تكويناتها الزخرفية الورقة المصبعة، وهو أسلوب زخرفى من الأساليب الشائعة فى القرن الخامس الهجرى أو النصف الأول من القرن السادس الهجرى[١]، فى حين يرجعه الاستاذ جوميث مورينو الى الفترة الزمنية التى سبقت الغزو المرابطى مباشرة[٢] ويرى الاستاذ كريسنال ايوارت ان هذه المرحلة الزخرفية الى تبدو لاول وهلة غير متفقه مع أى جزء من الاجزاء النباتية التى كشف عنها البحث الاثرى ترجع الى ايام المعتصم محمد بن صمادح آخر ملوك الطوائف فى المرية من ٤٤٣ - ٤٨٤هـ، (١٠٥١ - ١٠٩١م)، وهو الذى شيد قصرا عظيما بالصمادحية وأجرى المياه الى المسجد الجامع[٣].

الاجزاء الباقية من الجامع: يشغل اسطوان المحراب بالمسجد الجامع بالمرية وهو محراب يميل بزاوية قدرها ١٥ درجة نحو الشرق بمعنى ان محرابه مشرق تشريقا خفيفا[٤] اربع اساطين من خرائب الكنيسة التى تتكأ دعائمها الضخمة من القرن السابع عشر على البناء الاسلامى، ويمكننا ان نشاهد اليوم بوضوح جزءا من الجدار الخارجى الشرقى لبيت الصلاة حتى ارتفاع ٥,٤٠سم فوق مستوى ارضية المحراب وذلك داخل نطاق الاسطوان المتطرف من الكنيسة المذكورة[٥].

وقد تمكن الاستاذ توريس بالبأس من التعرف على فتحة باب على كل من جانبى المحراب فى جدار القبلة الذى مازال يحتفظ بصورته اليوم[٦]. كان ينفتح على بعد ٢,٩٠ سم من طرة المحراب الغربى باب سعته ١,٠٥ سم، لم يتبق منه اليوم سوى النطاق العلوى لفتحته القديمة، اما الطرف الادنى من عتب الباب الخشبى فيوجد على ارتفاع ٣,٩١٥سم فوق ارضية المحراب الحالية، ولانشك فى

(1) Torres Balbas : Op. cit., pp. 420 - 422.

(٢) جوميث مورينو، الفن الاسلامى، ص ٣١٩.

(3) Ewert (Christian) : Op. cit., p. 400.

(٤) كذلك كانت القبلة مشرقة فى كل من جامعى القيروان وقرطبة الاول، (راجع ، احمد فكرى: المسجد الجامع بالقيروان، مطبعة المعارف، مصر، ١٩٣٦، ص ١٠٤، السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، حـ١، ص ٣٦١).

(5) Ewert: Op. Cit., p. 403.

(6) Torres Balbas : Op. cit., pp. 418 - 420.

أنه فى العصر الذى كان يستخدم فيه البناء كاتدرائية كان الباب المذكور ينفتح نحو الشرق، ثم اقيم فى فتحته عتب حجرى قطاعه قوطى متأخر، والفتحة العليا تشير الى ان الفتحة الاصلية كانت تؤدى مهمتها كمخزن للمنبر المتحرك الذى كان طرازه يماثل الطراز المعمارى الموجود فى جامع قرطبة(١). وإلى الجهة الشرقية من المحراب كان ينفتح باب أخر اتساعه ١,٣٤ مترا اغلق فى القرن السابع عشر(٢).

أما عن مئذنة الجامع فلم تكشف الابحاث الاثرية بعد عن أساسها، ويعتقد الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنها كانت تقوم فى جوفى الجامع فى منتصف المجنبة الشمالية التى أقامها زهير العامير عند زيادته للجامع من جهاته الثلاث(٣).

المساجد الأخرى بالمرية: لم يصلنا من اسماء هذه المساجد غير ثلاث ذكرتها كتب التراجم هى : مسجد اللبيس، وصاحبه عبد الرحمن بن أبى رجا البلوى، ويقع فى ربض الحوض (٤)، ومسجد حبونه (٥)، ومسجد طرفه(٦).

المقابر: تشير المصادر العربية إلى وجود مقبرتين كبيرتين خارج اسوار ربض المرية بالقرب من الطرق المؤدية إلى الابواب الرئيسية للمدينة، الاولى مقبرة باب بجانه من ظاهر المرية(٧)، والثانية مقبرة الربض أو

---

(1) Ewert, Op. cit., p. 403.

(2) Ibid., P. 404.

(3) Torres Balbas, Op. Cit., p. 420.

(٤) ابن الابار : التكملة، ص ٤٦٣، سالم، المرجع السابق، ص ١٤٤.

(٥) ابن الابار : التكملة، حـ١، ص٢٥٧، سالم: المرجع السابق، ص ١٠٤.

(٦) ابن بشكوال : الصلة، ص١٠٣، سالم: المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٧) ابن بشكوال : (ابى القاسم خلف بن عبد الملك) : كتاب الصلة، حـ٢، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦، ص ٤٢٧، راجع ايضا، ابن الابار : التكملة للكتاب الصلة، حـ١، ص٨٤، المعجم فى اصحاب القاضى الامام ابى على الصدقى، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٤٢، ابن الخطيب: الاحاطة جـ١، ص ٢٠٩، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ١٢٩.

الحـوض بالمرية [١].

فأما المقبرة الاولى، وهى مقبرة باب بجانه، فكانت تقع خارج باب بجانة أحد أبواب الربض الشرقى المعروف بالمصلى، وقد أقيمت هذه المقبرة فى عهد خيران العامرى بعد قيام هذا الربض، وتعتبر مقبرة باب بجانه المقبرة الرئيسية بالمرية، وفيها دفن عدد كبير من اعيان المدينة[٢].

وأما المقبرة الثانية، فهى مقبرة الربض أو الحوض وتقع فى السهل الممتد ما بين السور القبلى لربض الحوض والساحل، وهذه المنطقة تعرف اليوم باسم Llano del cordonero (سهل الجبال)، ولقد عثر فيها على شواهد كثيرة تحمل كلها كتابات عربية تتعلق بمسلمين دفنوا بها، ويحتفظ بالمتحف الاهلى للاثار بمدريد باحد هذه الشواهد، نقشت عليه كتابة بالخط الكوفى نصها:

«بسملة ... تصليه ... يأيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور هذا قبر اسماعيل..»[٣].

ومن كبار الشخصيات التى دفنت فى هذه المقبرة الكاتب ابو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذرى المعروف بابن الدلائى (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م)[٤].

---

(١) ابن بشكوال :المصدر السابق ، جـ١ ، ص٦٧ ، حـ٢، ص ٣٤٤ ابن الفرضى: تاريخ علماء الاندلس، جـ١ ، ص ١٩٢ ، ابن الابار: التكملة، جـ١ ، ص٤١ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ١٢٩ .

(٢) ابن بشكوال : المصدر السابق، حـ٢، ص ٤٢٧، ص ٥٥٨، ابن الابار : المعجم ص ١٤٢، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(3) Levi - Provencal (E) : Inscription Arabes D'Espagne, T. I, Leyde - Paris - Mc MXXXI, 1931, P. 130.

(٤) ابن بشكوال : المصدر السابق، جـ١ ، ص ٦٦ – ٦٧ (ترجمة ١٤١).

الفصل الثانى

الحيــــاة الاقتصــــاديــة

الفصل الثانى

الحيـاة الاقتصادية

أولا :الزراعة والحاصلات الزراعية للاقليم:

كان لطبيعة سطح المرية الصخرى بجبليها[١]، وطبيعة مناخها الذى يتميز بالجفاف وشدة الحرارة مع ندرة الامطار التى قلما تسقط عليها[٢]، أثر كبير فى قلة انتاجهاالزراعى[٣].

وعلى الرغم من جفاف المريه وقلة خيراتها، فقد كان بظاهرها مواضع كثيرة اختصت بمميزات طبيعية ومناخية أتاحت لها امكانية الزراعة، ومن ثم كانت بمثابة مزارع خاصة تمير منها المرية بما يلزمها من انتاج زراعى.

ومن بين هذه المواضع وادى المرية الغنى بغروسه ومزروعاته وفيه يقول الادريسى: «وكان بها (أى المريه) من فواكه واديها الشئ الكثير الرخيص، وهذا الوادى المنسوب إلى بجانه بينه وبين المريه اربع اميال وحوله جنات وبساتين وارجاء وجميع نعمها وفواكها تجلب إلى المريه»[٤]، ويصف الشقندى وادى المريه بقوله: «واديها المعروف بوادى بجانه من أفرج الاودية، ضفتاه بالرياض كالعذارين حول الثغر»[٥]. ويصف المقرى هذا الوادى نقلا عن أبى جعفر بن خاتمه فيقول: «ووادى المرية طوله أربعون ميلا فى مثلها كلها بساتين بهجة وجنات نضره وانهار مطرده، وطيور مغرده»[٦].

---

(١) الحميرى: الروض المعطار، ص١٨٤.

(٢) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين، ص٨٣.

(٣) ولعل ذلك كان سببا فى ان بعض الشعراء كان يتندر بذلك فى قوله:

قالوا المريه صفها	فقلت نط وشيح
وقيل فيها معاش	فقلت ان هبت ريح

(الحميرى: الروض المعطار ص١٨٣).

(٤) الادريسى: صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس، ص١٩٧.

(٥) المقرى: نفح الطيب، جـ٤، ص٢٠٦.

(٦) نفح الطيب، جـ١، ص١٥٤، انظر ايضا، شكيب ارسلان: الحلل السندسيه فى الاخبار والاثار الاندلسية، الطبعة الاولى، مطبعة الرحمانية، ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦م، ص٢٠٣.

ويزودنا ابن الخطيب في القرن الثامن الهجري بوصف رائع لوادي المريه في إحدى مشاهداته فيقول: «واستقبلنا وادي بجانه وما ادراك ما هو، النهر السيال والغض المياد ولافياء والظلال، المسك مافت في جنباته، والسندس ما حاكته يد جناته، نعمه واسعه ومساجده جامعه، ازرت بالغوطتين زيايتينه واعنابه، وسخرت بوان شعائبه، بحيث لاتبدو للشمس آيات، ولاتتأتى للحرباء حيات، والريح تلوى اعطاف غصون البان ارداف الكثبان، وتجاذب عرايس الخمائل»[1].

وإلى جانب حاصلات وادي المريه، كانت برجه ودلايه (من أعمال المريه) ايضا تزودان المريه بحاجتها الزراعية، ويصف المقرى برجه بقوله: «ومدينة برجه ... وهي على واد مبهج يعرف بوادي عذراء، وهو محدق بالازهار والاشجار، وتسمى برجه بهجه لبهجه منظرها»[2]. وكان من انتاجها الزراعي الفواكه الكثيرة[3].

أما دلاية، فلقد اشتهرت بعود الانجوج الذي «لا يفوقه العود الهندي ذكاء وعطر رائحه، وقد سيق منه إلى خيران الصقلبي صاحب المريه، وان اصل منبته كان بين احجار هنا لك»[4].

وبالاضافة إلى المواضع السابقة كان يكثر التوت[5] بحصن شنش. على

---

(١) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين، ص٤٧.

(٢) المقرى: نفخ الطيب، جـ١، ص١٤٣، ١٤٤، وفي برجه يقول ابو الفضل بن شرف القيرواني:

رياض تعشقها سندس | توشت معاطفها بالزهر
مدامعها فوق خدى ربا | لها نظرة فتنت من نظر
وكل مكان بها جنة | وكل طريق اليها سقر

وفيها أيضا قوله:

حط الرجال برجه | وارتد لنفسك بهجه
في قلعة كسلاح | ودوحة مثل لجه
فحصنها لك امن | وروضها لك فرجه
كل البلاد سواها | كعمرة وهي حجة

(المقرى: المصدر السابق، جـ١، ص١٤٢).

(٣) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، جـ٢، ص٢٢٨.

(٤) المقرى: المصدر السابق، جـ١، ص١٣٧، وعود الا لنجوج عود يتبخر به، (نفس المصدر والجزء والصفحة، هـ٣).

(٥) ابن سعيد: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٢٥.

مـرحلة مـن المرية، ويعـرف واديهـا بـوادى طبـرنش[١]، وكـان هـذا الـوادى مشهـورا بزيتـونه، وفيه كان يعصر ويستخرج الزيت[٢].

كما اشتهرت ايضا مدينة اندرش – من أعمال المريه – بزراعة الكتان[٣]، وكان يزرع فى قرية شلوبين – التى تلى المريه – من جهة المغرب – قصب السكر والموز والقسطل[٤]، وغيرها من المحاصيل.

ومن كل ما تقدم يتبين لنا ان مدينة المرية كانت تعيش على خيرات ما حولها من مدن وقرى.

وإلى جانب ما كان يغله وادى المريه والقرى التابعة لها من المحاصيل المختلفة، كانت تضم منيات ومنتزهات وبساتين كثيرة يلوذبها الناس فى أوقات القيظ حيث ينعمون بالهدوء والراحة بعيداً عن متاعب المدينة، فلقد كان للعرب سواء فى الشرق أو فى الغرب فلسفة خاصة فى بساتينهم، هى التى اعطت لتلك البساتين طابعهاالمميز[٥].

هذا ولقد كان البستان العربى يحاط بسور عال، ويزرع خضرة تغطى جدرانه ويجعل فى البستان اشباه الغرف والاسوار كلها من النبات الاخضر، ذلك لكى لا يقع بصر الناس إلا على الخضرة والزهور فتأنس انفسهم، بل لقد بلغ من ايمان العرب بهدوء البساتين وانعزالها عما حولهم ، انهم كانوا يسمون القبر بالروضة لأنه يماثلها فى الوحدة، بل لقد ارتبط تخطيط البستان بفكرة دينيه، فالى جانب كونها مكانا للاعتزال والتأمل والاستمتاع بالحياة، نظر اليها على أنها قطعة من الاخرة أى

---

(١) المقرى: المصدر السابق، جـ١، ص١٥٥.

(٢) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين، ص٨٤.

(٣) وفيها يقول ابو الحجاج بن عتبه الاشبيلى الطبيب الاديب الشاعر:

لله اندرس، لقد حازت على ... حسن تتيه به عـلى البلدان
النهر منساب سرت خلجانه ... فى الارض بين ازاهر الكتان
فكانما انسابت هناك اراقم ... قد عدن راجعة عن الشعبان.

(راجع الحميرى: الروض المعطار، ص٣١، ٣٢، وانظر ايضا، المقرى: نفح الطيب، جـ١، ص١٥٦)

(٤) ابن فضل الله العمرى: وصف افريقية، ص٤٦، وأيضا هـ١ نفس المصدر، الحميرى: المصدر السابق، ص١١١.

(٥) جيمس ديكى: ملاحظات عن فلاحه البستان العربى فى الاندلس «تقرير عن نشاط معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد خلال شهر ديسمبر سنة ١٩٦٦» ص١٣.

الفردوس، فقد أنشأوها على هيئة دائرة فى وسطها بركة، وترمز الدائرة إلى الارض وإلى قبة السماء، كما ترمز البركة التى فى وسطها بمائها إلى اللانهاية[١].

وكان الطريق المؤدى إلى مدخل البستان يزرع بأشجار السنديان العالية كما كان التخطيط الداخلى للبستان يشمل خمائل وأبواب وممرات اكتست جميعها بالخضرة، ومن نبات الريحان ذى الرائحة العطرة القوية، كما كانت تزرع احواض الزهر بين الخمائل فى مساحات صغيرة، وأن دل ذلك على شئ فانما يدل على علم الاندلسيين ومعرفتهم الدقيقة بأنواع مختلفة ومتعددة من الزهور، فلقد اهتم مسلموا الاندلس بالزهور واحبوها لا سيما الورد، اما بقية الزهور التى كانت لديهم فكان منها الآسى والافحوان والياسمين الابيض والترياق وهو الياسمين الاصفر والبنفسج والخيرى او التمام وكذلك السوسن كما عرفوا زهور الاشجار مثل نور الكتان ونور اللوز ونور الرمان وكلها زهور جميلة تتجلى فتنتها على اشجارها[٢].

ومن امثلة هذه المنيات والمتنزهات والبساتين برجه ودلاية التى كان يقصدها المعتصم بن صمادح ويقيم فيها بعض الوقت، يتمتع بمناظر الخضرة الرائعة فيها وانسياب المياة خلالها، وينعم بالهدوء السائد فيها، ويعبر عن هذا ابن خاقان قائلا: «وهما منظران لم يجل فى مثلهما ناظر، ولم تدع حسنهما الخدود النواضر، غصونه تثنيها الرياح ومياه لها انسياح، وحدائق تهدى الأرج والصرف، ومنازل تبهج النفس، وتمتع الطرف فأقام فيها أياما يتدرج فى مسارحها، ويتصرف فى منازهها ومسايحها، وكانت نزهة أربت على نزهة هشام بدير الرصافة، وأنافت عليها اى انافه[٣].

ويمدنا العذرى بوصف رائع لبستان الصمادحية فيقول: «وبنى (اى المعتصم) بخارج مدينة المريه بستانا وقصورا متقنه البنيان غريبة الصناعة وجلب إليها من جميع الثمار الغريبة وغيرها، ففيها من كل شئ غريب مثل الموز الكثير وقصب السكر وأنواع سائر الثمرات مما لا يقدر على صنعته، وفى وسطه بحيرة عظيمة عليها مجالس مفتحة مفروشة بالرخام الابيض، ويسمى ذلك البستان بالصمادحية وهو قريب من المدينة جدا وقد اتصل به بساتين كثيرة تقترب من صفتها، فيها متنزهات

---

(١) جيمس ديكى : نفس المرجع، ص١٣.

(٢) جيمس ديكى : نفس المرجع، ص ١٤.

(٣) الفتح بن خافاقان: قلائد العقيان، ص٥٢، لمقرى: نفح الطيب، جـ٢، ص١٨٧.

لا يعلم مثلها في جميع المتنزهات»[1].

وإلى جانب هذه المنيات والمتنزهات، كما كان هناك متنزهات اخرى حول المريه منها دوح البان، وهو موضع به غناء وروضة غناء[2]، ومنها وادى لبينى[3]، ومنها موضعان يعرفان بالأريطى والدويحات[4]، ومن متفرجاتها منى عبدوس ومنى غسان والنجاد وبركة الصفر وعين النطية[5].

وكان يطيب للمعتصم أن يقضى بعض الوقت فى هذه البساتين بين الخضرة والماء فى الأيام الشديدة الحرارة، ذلك ليتلطف بنسيم هوائها، ويذكر المقرى ان المعتصم خرج يوما إلى بعض متنزهاته، «فحل بروضة قد سفرت عن وجهها البهيج، وتنفست عن مسكها الا ريج، وماست معاطف أغصانها، وتكللت بلؤلؤة الطل أجياد قضبانها»[6].

كذلك كان أعيان المريه يمتلكون البساتين والمتنزهات فى وادى بجانه وكانوا يقصدونها للنزهة، وطلب الراحة والهدوء بعيدا عن ضوضاء المدينة[7]، ويذكر المقرى ان الوزير أبا جعفر احمد بن عباس، وزهير الصقلبى كان لكل منهما برج بنواحى المريه ليخلو فيه لنفسه[8].

---

(١) العذرى: ترصيع الاخبار، ص٨٥.

(٢) وفى هذه البقعه يقول ابن الحداد :

وان تسعدا من اسلم الصبر قلبه ... يعرس بدوح البان من درصاتها
فبنانها الغيناء مـــــألف بانه ... جنيت الغرام البرح من ثمـراتها
وروضتها الغناء مسـرح روضة ... تتبختر فى الموشى من حبراتهـا

(انظر ابن بسام: الذخيرة، ق١، م٢، ص٢٢١)

(٣) ابن بسام: الذخيرة، ق١، م٢، ص٢١٨، وفيه يقول ابن الحداد ايضا:

رويدا فذا وادى لبنى وانه ... لـــورد لبناتى وانى لظـــامئ

(فى ابن بسام: المصدر السابق والصفحة)، ويرى الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم ان لبينى لعله جدول متفرع من وادى بجانه، (تاريخ مدينة المريه الاسلامية ص١٣٤).

(٤) ابن بسام: المصدر السابق، ص٢١٣.

(٥) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، جـ٢، ص١٩٤.

(٦) المقرى: نفح الطيب، جـ٤، ص٣٠٤

(7) Luis Seco de Lucina Op. cit., P. 20.

(٨) المقرى: نفح الطيب: جـ٥، ص٧٩، ويضيف القرى بأن أحد الادباء كتب على جداره:

خلوت بالبرج فما الذى ... تصنع يا سخيف الزمان

فلما شاهد الوزير أبا جعفر بن عباس هذه الكتابة أمر أن يكتب تحتها:

أصنع فيه كل ما أشتهى ... وحاسدى خارجه فى هوان

(المقرى: نفس المصدر والجزء والصفحة)

ومما لا شك فيه ان هذه المنيات والبساتين كانت تتيح لبعض أعيان المريه المتعة والانس، وكثيرا ما كانوا يعقدون فيها مجالس الشراب والطرب، فيقضون ساعات اثناء الليل يستروحون نسمات البساتين بين الادواح العطرة والازهار العقبة ينتشون سماعا لأصوات المغنيات فى كؤوس النبيذ(١).

ثانيا: الفنون الصناعية

على الرغم من التفتت السياسى الذى طرأ على الاندلس فى عصر ملوك الطوائف بسبب انهيار السلطة المركزية وانتزاء المنتزين فى كل انحاء البلاد، فان الاندلس لم تشهد تألقا حضاريا كما شهدته فى هذا العصر الذى يموج بالفتن، وقد أجمع مؤرخو الاندلس على ان هذا العصر يعتبر حضاريا من أزهى عصور الاندلس، فقد كان كل ملك من ملوك الطوائف يبذل قصارى جهده لاحاطة نفسه بهالة من الأبهة والفخامة تشبها بما كان يفعله خلفاء قرطبه، فتلقبوا بألقاب الخلافة، واتخذوا الوزراء والكتاب، واقتنوا المغنيين والمغنيات واجتذبوا الادباء والشعراء بالأموال والعطايا، واتخذوا من قرطبه حاضرة الخلافة الاموية بالاندلس نموذجا احتذوه فى حواضرهم حتى لقد تعددت أشباه قرطبه فى نواحى الاندلس.

ومن الجدير بالذكر أنه ترتب على ذلك ان تقدمت الفنون والصناعات تقدما لم تشهده البلاد من قبل وأخذت كل حاضره تنافس غيرها فى مضمار التقدم الفنى، ودخل الملوك اطرافا فى هذا التنافس بالاموال والهدايا، وهكذا شمل التقدم كل مناحى الحياة أدبية ومادية، ونالت المريه زمن الطوائف نصيبا كبيرا من التقدم الحضارى بفضل تشجيع ملوكها، فتقدمت فيها الصناعات، وحظيت بعض هذه الحرف قدرا كبيرا من الرقى كصناعة النسيج والرخام وغيرها تجاوزت شهرتها الآفاق فى الشرق وفى الغرب.

صناعة النسيج:

تعتبر صناعة المنسوجات الحريريه فى المريه اكثر منتجاتها الصناعية شهرة فى العالم الوسيط، وقد انتقلت اليها هذه الصناعة من بجانه، التى كانت أعظم مراكز

---

(١) السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس، جـ٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢، ص٩٦، ٩٧، ١٦، وله ايضا صور من المجتمع الاندلسى فى عصر الخلافة الاموية وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش المحفوة فى علب العاج، ص٣.

هذه الصناعة فى القرنين الثالث والرابع الهجرى، اذ كان دور الطرز بها تضم عدد كبيرا من الأنوال المتخصصه فى نسج الحرير[١]، هذا الى كثير من الصناع المهرة، إلا أن تمصير المريه واتساع العمران بها جاء على حساب عمران بجانه، والناس سراع الى الجديد، فلم تلبث المرية أن اجتذبت معظم سكان بجانه وانتجعوها من كل أوب وترتب على هذا ان انحسر عمران بجانه وتأخرت صناعاتها بعد أن انتقل المدربون من أهلها فى هذه الفنون الى المريه فيما يقرب من سنة اثنين واربعمائه[٢].

وبهذة المناسبه يجد بنا ان نشير الى طريقه انتشار صناعة الحرير التى اختصت بها الصين منذ اقدم العصور أو - كما تقول الاسطورة الصينية - منذ خمسة وعشرين قرنا قبل الميلاد، وتسوق لنا هذه الاسطورة قصة مؤداها أن أميرة صينيه تدعى (سى لنى تشى) استلفت نظرها ذات يوم ديدان صغيرة كانت تعيش على أوراق شجرة التوت فراقبتها ولاحظت سلوكها، وخرجت من هذه الملاحظة الى طريقة تربية هذه الديدان والى طريقة استخراج الخيوط من شرانقها، وقد كوفئت هذه الأميرة بأن رفعوها الى مصاف الآلهة، وكيفما كان الامر، فقد حافظ الصينيون على سر انتاج الحرير بعد أن اتقنوا طريقة استخراجه، وكتموا سر اكتشافه، لكن تشاء الظروف أن تزوجت أميرة صينية من حاكم احدى المدن الايرانية، وعند انتقالها الى مقر زوجها خبأت فى ثنايا شعرها بويضات دودة القز، وفى ايران فقست هذه البويضات وتوالدت وانتشرت، وهكذا انتشرت صناعة الحرير من الصين فى بلاد الفرس ومن فارس انتقلت سريعا إلى بيزنطه، وبذلك لم يعد انتاج الحرير ونسجه سرا[٣]، ثم انتقلت هذه الصناعة إلى اسبانيا عن طريق جماعات من اللاجئين الاغريق ونمت وتقدمت كبيرا فى العصر الاسلامى[٤]، واعتقد أن العلاقات الوديه بين بيزنطه وقرطبه كان لها أعظم الأثر فى رواج هذه الصناعة

---

(١) الحميرى: الروض المعطار، ص٣٨.

(٢) العذرى: ترصيع الاخبار، ص٨٢.

(٣) مرزوق: الفن الاسلامى، ص١٢٤، وهناك رواية أخرى تشير إلى أن راهبين يونانيين تمكنا من اخفاء بضع شرانق من دودة القز فى عكازيهما عند خروجهما من الصين وذلك فى عهد جستينيان ثم نشرا سر صناعة الحرير الصينى فى بيزنطة.

(4) Heyd (W) : Histoire du commerce du levant du Moyen Age, t. II, Leipzig. 1886, p. 694.

وغيرها من الصناعات(١) فى الاندلس.

هذا ولقد حظيت صناعة الحرير فى الأندلس بمكانة كبيرة وخاصة فى قرطبة، التى شغلت المركز الأول فى هذا المجال بالإضافة إلى صناعة الديباج والموشى، وكانت تعتمد فى صناعته على مدينة جيان التى توفرت فى قراها كل مقومات هذه الصناعة استناداً إلى الادريسى فى قوله: ولها (أى جيان) زائد على ثلاثة آلاف قرية كلها يربى بها دود الحرير(٢).

وفى أوائل القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) أخذت المرية تتبوأ شيئاً فشيئاً المركز الرئيسى لهذه الصناعة ، ولم تلبث أن حلت محل قرطبه ويشير ياقوت إلى ذلك بقوله : « يعمل بها الموشى والديباج فيجاد عمله ، وكانت أولاً تعمل بقرطبة ثم غلبت عليها المرية ، فلم يثقف فى الأندلس من يجيد عمل الديباج إجادة أهل المرية(٣).

نخلص مما تقدم بأن قرطبه كانت تحتل مركز الصدارة فى صناعة الحرير والموشى فى الأندلس، وهى صناعة كانت تشتهر بها بجانه كذلك ، ولكن منذ أوائل القرن الخامس الهجرى، احتلت المرية مكان بجانه فى هذه الصناعة وورثت أيضاً قرطبة فى صناعة الموشى والديباج .

وعن حذق وتفوق أهل المرية فى هذه الصناعة يقول الرازى : « المرية مفتاح الرزق والكسب ، وموطن الحذاق من أصحاب الصناعات ، فيها يصنع الحلل الموشيه النفيسة(٤).

وأما عن طرز الحرير أو الأنوال وأنواع المنسوجات الحريرية بالمرية ، فيشير الادريسى إلى أنها بلغت فيها خلال الربع الأخير من القرن الخامس الهجرى

---

(١) كصناعة الفصوص (الفسيفساء) وصناعة النسيج المعوف بالسقلاطون وصناعة الأحواض الخامية المنقوشة بالصور الحيوانية ، وصناعة علب العاج .

(٢) الأدريسى : صفة المغرب ، ص ٢٠٢ .

(٣) ياقوت الحموى ؛ معجم البلدان ، المجلد الخامس ص ١١٩ .

(4) Levi-provencal (B: La description de L'Espagne d'Ahmed al - Razi, (al - Andalus) , 1953 , p 67 ;

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، ص ١٥٦ ،

ABD Al - Karim (Gamal) : Referencias economicas de la Espana musulmana en la obra Yaqut Al-Hamawi " Muyam Al- Buldam" (Homenaje al brofesor carriazo), T . III sevilla 1973 . p. 127.

ثمانمائة نول ، وشملت أنواع المنسوجات الحريرية ، الحلل والديباج ، والسقلاطون والاصبهانى والجرجانى، والستور المكلله ، والثياب المعينه والخمر والعتابى والمعاجر[١] ، وبجانب هذه الأنواع يضيف ابن غالب الأندلسى بأنه « كان يعمل فيها من الوشى والسقلاطون والبغدادى وسائر أجناس الديباج .. وكان يعمل فيها الحلل الرفيعة القدر الكثيرة الأثمان[٢] .

وأما صناعة الديباج والحلل الموشيه فقد بلغت مكانة رفيعة ، اذ قال ابن سعيد نقلاً عن ابن فرج « حدث فيها من صنعة الوشى والديباج على اختلاف أنواعه ومن صنعة الخز وجميع ما يعمل من الحرير، مالم يبصر مثله لا فى المشرق ولا فى بلاد النصارى[٣] » . وعن الحرير الموشى بالذهب قال : « ويصنع فيها (أى المرية) ثياب الحرير الموشاه بالذهب ذات الصنائع الغربية[٤] » ، والى شهرتها فى صنعة الديباج يقول المقرى : « وبها من صنعة الديباج ما تفوق به على سائر البلاد[٥] » .

---

(١) الادريسى : صفة المغرب ، ص ١٩٧ ، راجع ايضاً ، الحميرى : الروض المعطار ص ١٨٤ ، المقرى ، نفح الطيب ص ١٥٤ ، ويلاحظ أنه أورد لنا اعداد مختلفة مبالغ فيها من الأنوال لنسج كل صنف من أصناف الحرير ، وأن كنا نرجح ما جاء فى نص الادريسى ، فيقول المقرى : «كان بالمرية لنسج الحرير ثمانمائة نول وللحلل النفيسة والديباج الفاخر ألف نول والسقلاطون كذلك وللثياب الجرجانية كذلك وللاصفهانى مثل ذلك وللعتابى والمعاجم المدهشة والستور المكللة » (نفخ الطيب جـ١ ص ١٥٤) ، ويرى الأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن فى هذه الأعداد مبالغة كبيرة وعلى هذا الأساس يعتقد أن المقرى نقل هذا النص محرفاً من أحد المؤرخين (تاريخ المرية الإسلامية ، ص ١٥٧ هـ ١) .

(٢) قطعة من كتاب فرحة الانفس ، تحقيق لطفى عبد البديع ، ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٣) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ص ١٩٣.

(٤) ابن سعيد « أبو الحسن على بن موسى المغربى » كتاب الجغرافيا ، الطبعة الأولى ، تحقيق اسماعيل العربى ، منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٤٠ ، وأنظر أيضاً المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ص ١٨٧ ، وقال نقلاً عن ابن سعيد « والى مصنوعات الأندلس ينتهى التفضيل .. فقد اختصت المرية بالموشى المذهب يتعجب من حسن صنعته أهل المشرق اف اذا رأوا منه شيئاً واهم أنواع الوشى النوع الذى يقال له الوشى الهشامى الذى يضرب به المثل فى الرقة » .

(٥) المقرى : المصدر السابق جـ ١ ص ١٥٣ .

اما السقلاطون[1] أو الاسقلاطون[2] ، التى استهرت بصناعته المرية فهو نسيج رقيق الملمس سميك الصنعه[3] مطرز بالذهب وكان معروفاً فى بلاد اليونان ثم انتقل فن نسجة إلى بلاد المغرب ، وحذقة صناعهم ، وكان يطلق هذا الاسم فى كل اوربا على نسيج من الحرير مطرز بالذهب ، تخصصت بغداد فى صناعتة[4] ،وكان يعرف فى بغداد باسم السقلاطون البغدادى[5] . ويرجح الذكتور السيد عبد العزيز سالم ان هذا الاسم طبق على هذا النوع من النسيج بسبب رسومات الدوائر التى تحملها المنسوجات البيزنطية والساسانية والعربية ، ولعلة نوع عرف ايضاً باسم المختوم المرقوم بالذهب[6] وفى نهاية القرون الوسطى كان هذا القماش مطرزاً بالذهب ، وكان الشرقيون يصبغونه باللون الأزرق الغامق ، اما الغربيون فكانوا يصبغونه باللون الأحمر الفاقع [7] .

واما نسيج الاصبهانى والجرجانى فقد ذاعت شهرتهما فى اصبهان وجرجان كما هو واضح من اطلاق اسميهما على هذين البلدين . والستور المكللة من المنسوجات الحريرية ثياب خفيفة رقيقة تزدان بالزخارف النباتية والأزهار التى تشبه الاكاليل[8] . والثياب المعينة ، خاماتها من الكتان أو القطن يزدانان بمربعات صغيرة على شكل معينات وقيل أنها سميت معينه لأنها تشبة العيون ، وان كان التفسير

---

(١) الادريسى : صفة المغرب ، ص ١٩٧ ، راجع أيضاً الحميرى ، الروض ، ص ١٨٤ ، وأصل الكلمة دون كسجلاط ، سقلاطون بلد من بلاد الروم تنسب إليها هذه الثياب ، الثعالبى : لطائف الإشارات، ص ٢١٥، ص ٢٣٥) وقد عرفها دوزى بأنها ضرب من نسيج الحرير مزركش بالذهب اشتهرت بغداد بصناعته وعرفته أوربا فى العصور الوسطى Ciclat بالأسبانية، Ciclaton، وبالفرنسية والإنجليزية Siglaton وباللغة الفلمنكية Cinglaton راجع :
Dozy (R) : Supplement, t. I, p . 664 b

(٢) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٥٤ .

(٣) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى ، طبعة بغداد ص ٨٩ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم تاريخ مدينة الإسلامية ، ص ١٥٤ .

(٥) النويرى . نهاية الأدب ، جـ ٢ ، ص ٣٦٩ .

(٦) عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(7) Heyd : Op . cit, t. II, p 700 .

(٨) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، ص ١٥٨ .

الأول هو الارجح[1] . وأما الخمر فأقمشة حريرية تستخدمها النساء فى ستر رؤوسهن وتنسدل على الوجة لتغطية[2] ، ويرجع أنها كانت تتميز بالرقة والشفافية .

والعتابى نوع من النسيج ، ينسج من خيوط القطن والحرير ، وتكون رقيقة الملمس بديعة الصنعة وتصبغ بعد اتمام نسجها بلونين أو أكثر [3] ، كالابيض والأسود أو الأحمر والأصفر بطريقة بديعة التنسيق فتكون النتيجة ان تظهر على شكل خطوط متوازية أو متعرجة وهى على هيئتها تشبة تقريباً جلد الحمار الوحش المخطط[4] . ويبدو ان نسيج العتابى الذى يدخل الحرير فى نسيجه لا يصمد كثيراً فهو سريع التلف ولهذا غالباً ما كانت الثياب العتابية الرقيقة تبطن ببطانه من نسيج آخر كالقطن تجنباً لهذا العيب[5] . ولقد برع العراقيون عامة والبغداديون بصفة خاصة فى نسج الثياب العتابية ، وعنهم انتشرت صناعة العتابى خارج البلاد شرقاً وغرباً وذلك اما عن طريق التجارة، واما عن طريق تبادل الصناع النساجين بين البلدين [6] . وهكذا انتقلت المنسوجات العتابيه إلى المغرب عن طريق التجارة، ومنها إلى الأندلس ومن ثم اشتهرت بالمرية. هذا وقد عرف الإيطاليون والفرنسيون صناعة المنسوجات العتابية

---

(١) نفس المرجع والصفحة.

(٢) الخمر : جمع خمار ، والخمار كل ما خمرت به المرأة رأسها من شقاق الحرير ، » راجع الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة ، نشر عبد العزيز الاهوانى (مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثالث ،١٩٥٧ ، ص ٣٠ .

Dozy (R) : Supplement t. II, 93 a.

(٣) ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد) : رحلة ابن جبير ، تحقيق وليم رايت ، ليدن ١٩٥٧ ، ص ٢٢٦ .

(٤) وقد أطلق العرب على الحمار الوحشى المخطط بالعتابى والحمارة العتابية ، وقد عرفها القلقشندى بانها حيوان فى صورة البرذون موشى الجلد بالبياض والسواد يروق الناظر حسنها ، » راجع القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٢ ، ص ٤٣ « .

(٥) ورد فى أخبار الدول : « ... أن رجلاً قال : صليت بجامع المنصورى فى بغداد فاذا أنا بانسان أعمى وعليه جبه عتابية قد ذهب وجهها وبقيت البطانة وبعض القطن ... فسألت عنه فقيل أنه الناصر بالله ٣٢٠ هـ ، » راجع القزوينى : أخبار الدول وأثار الأول فى التاريخ ، ص ١٢٨ « .

(٦) مرزوق الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة ١٩٤٢ ، ص ٥٤ .

فى العصور الوسطى عن طريق الأندلس، وانتقل إليهم اسم هـذا النـوع محرفـاً إلى Tapis [١] .

واما المعاجر ، فنسيج من الحرير شفاف ، تتخذه النساء لتغطية وجوههن أو لستر رؤوسهن[٢] ، وقد اشتهرت المرية بصناعة هذا الضرب من الثياب[٣] .

ولقد كان من خصائص المنسوجات الحريرية المصنوعة فى المرية أنها كانت تزدان بالزخارف الهندسية والنباتية القائمة على تشابكات ومربعات وحواش مكتوبة بالخط النسخ [٤] .

صناعة السفن :

يرجع الفضل الأعظم فى أنشاء دار الصناعة بالمرية إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر أقامها بها عند قيامه بتأسيس المدينة ، وقد أشار العذرى أنها كانت مقسمة إلى قسمين القسم الأول فيه المراكب الحربية والآلة والعدة والقسم الثاني كانت توجد فيه القيسارية [٥] وكانت دار الصناعة فيها تقوم بصناعة السفن والعدة والالات اللازمة لها ولما يقوم به الأسطول[٦] .

واما المواد الخام اللازمة لقيام هذه الصناعة فكانت متوفرة فى أرض المرية وفى مناطق متعددة بالأندلس، فأخشاب الصنوبر اللازمة لصناعة الصوارى والقرى، المشهور بجودته وعدم تعرضه للتلف الناشئ من التسوس، وهو نوع من الأخشاب لا نظير له فى الطول والغلظ، كانت تستجلب من جبال طرطوشة[٧] ، أو من قصر

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، ص ١٥٨ .

(٢) نفس المرجع والصفحة ، جاء فى المحيط « الاعتجار : بلف العمامة دون التلحى ولبسه للمرأة والمعجر – كمنير » والمعجر ثوب تعتجر به النساء ، « المحيط ، مادة : عجر » ،

Dozy (R) : Supplement, II, p. 96 b.

(٣) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٥٤ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٥٨ ، وأنظر أيضاً ، كونل « أرنتت » الفن الإسلامى، ترجمة أحمد موسى ومراجعة محمد إبراهيم الدسوقى، مطبعة أطلس القاهرة ، ١٩٦١، ص ١٥١ .

(٥) العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٨٦ .

(٦) ابن غالب الأندلسى : قطعة من فرحة الانفس ، ص ٢٨٣ .

(٧) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٢٤ .

أبى دانس[١]، أو من شلطيش[٢]، وبعضها كان يتوفر فى يابسة[٣]، قادس[٤]، شلب[٥]، وفى الجزائر الواقعة بازاء شنتمرية[٦].

ومعدنى الحديد والنحاس كان يتوفران فى كثير من مدن الأندلس لاسيما فى المرية التى اشتهرت بهما[٧]، وكان الحديد يكثر فى طليطله[٨]، وغرناطة[٩]، والظاهر ان دار صناعة المرية اعتمدت فى مراسى السفن على دار صناعة شلطيش التى تخصصت فى هذه الصناعة[١٠].

ولا شك فى قيام تكامل صناعى بين مختلف ثغور الأندلس لسد حاجة الصناعة بكل منها اذ انه من المستبعد ان تعتمد دار صناعة المرية فقط على مواردها الذاتية من المواد الخام لا سيما فى الفترة التى كانت تابعة فيها للخلافة الأموية والأمثلة كثيرة على تبادل المواد الخام بين المدن الآندلسية بعضها وبعض، فمثلاً، نجد أن الزفت والقطران كان يستخرج من كورة جيان ويحمل منها إلى اشبيلية، ثم إلى الجزيرة الخضراء لصناعة السفن فى دار الصناعة بها[١١].

فن النحت على الرخام

كان لتوافر الرخام الصقيلى الملوكى[١٢] بالمرية اثره الكبير فى دعم الصناعات الرخامية كصناعة الأحواض والبيلات واللوحات المنشورية الشكل (المقبريات) أو شواهد القبور.

---

(١) الادريسى: صفة المغرب، ص ١٨١، الحميرى : المصدر السابق، ص ١٦١.
(٢) الحميرى : المصدر السابق، ص ١١١.
(٣) نفس المصدر، ص ٩٨، المقرى : نفح الطيب، جـ ١، ص ٢١٢.
(٤) الحميرى : المصدر السابق، ص ١٤٥.
(٥) الادريسى : المصدر السابق، ص ١٨٠.
(٦) الحميرى : الروض المعطار، ص ١١٥.
(٧) الادريسى : صفة المغرب، ص ١٩٧، الحميرى : المصدر السابق، ص ١٨٤، راجع ايضاً المقرى : نفح الطيب، جـ ١، ص ١٥٣ عن توفر معدن الحديد بكورة المرية.
(٨) الادريسى : المصدر السابق، ص ١٨٨، الجميرى : المصدر السابق، ص ١٣٣.
(٩) ابن الخطيب : الاحاطة فى اخبار غراناطة، جـ ١ ص ١٠٤.
(١٠) الحميرى : المصدر السابق، ص ١١٠.
(١١) ابن حيان المقتبس، نشر عبد الرحمن الحجى، ص ١٠١.
(١٢) المقرى : نفح الطيب، جـ ١، ص ١٥٣، جـ ٤، ص ٢٠٦.

وكانت مقاطع الرخام موجودة فى جبل سيرادى لوس فيلا بريس Sierra de los filabres الواقعة شمالى فنيانه وطبرنش وجنوبى برشانه[1] ومنها كان يقطع وينحت حسب الطلب .

ولقد ذاعت شهرة المرية فى صناعة « الأحواض » الرخامية ، يؤكد ذلك الكشوف الأثرية باطلال قصر القصبه بالمرية وتتضمن اثار احواض متباينة الشكل والزخرفة ، ومنها حوض ناقص القاع من الرخام الأبيض يزدان بنقوش ادمية وحيوانية ونباتية فقد بقيت فيه أثار أقدام بشرية تلبس أخفافاً ، وخلف ذلك شجرة وارجل حيوان ، ومظهره يدل على أنه رومانى شبيه « بالراعى الصالح » فيما يبدو ، وكانت تزين قاعدة الجوانب الأخرى سيقان متماوجه على نحو ما فى الفن العربى المنحدر من سلالة بيزنطة [2].

واما عن صناعة التوابيت وشواهد القبور بالمرية ، فلقد بلغ فن النحت فيها شأوا كبيراً ، فلقد ازدانت شواهد القبور بها بنقوش تمثل أشكال محاريب عقودها متجاوزة منكسرة ، تحملها عمد على مناكب ، ويدور بالعقود طرر بشكل مستطيل تعلوها افاريز وتحف بهذه الافاريز والطرر نقوش كتابية ، وكانت تغطى المحاريب المنقوشة كتابات عن المتوفى وتاريخ وفاته وبعض الايات القرانية[3] . ولقد انتقلت هذه الشواهد المقبرية إلى المرية فى عصر المرابطين من المشرق الإسلامى ومنها إنتشرت فى شتى نواحى الأندلس . ولذلك سمى هذا النوع باسم شواهد المرية . "Lasestelas Almerienses" وينسب إلى المرية معظم التوابيت التى اكتشفت فى مقابر الاندلس ، وتمتاز هذه التوابيت بانها مصنوعة من الرخام الأبيض[4] .

كذلك اختصت المرية بصناعة سوارى العمد وتيجانها وبلاطات الرخام فقد ذكر المقرى نقلاً عن الرازى « وفى ناشره (من أعمال المربه) مقطع عجيب

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٦٣ ، وهـ ٥ .

(٢) جوميث مورينو : الفن الإسلامى فى اسبانيا ، ص ٣١٩ ، ٣٢٤ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، ص ١٦٤ .

(4) Torres Balbas (Leopoldo) : Cementerios hispanomusulmanas, (al-Andalus), Vol. XXII, 1957 p. 147 - 149.

عن السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

للعمد »[1]. ويذكر العذرى أن مجالس بستان الصمادحية كانت مفروشة بالرخام الأبيض[2].

الصناعات الأخرى :

قامت بالمرية إلى جانب صناعة النسيج والسفن وفن النحت على الرخام صناعات أخرى مثل صناعة استخراج الزيوت من الزيتون فى وادى طبرنش من أعمال المرية[3] وصناعة التحف المعدنية فقد ذكر المقرى أنه كان يصنع فى مدينة المرية أنواع متعددة من آلات الحديد والنحاس[4] ، كما كشفت الابحاث الأثرية فى منطقة المرية عن ثريات معدنية بعضها فى حالة جيدة تجلت فيها دقة الصناعة وجمال الزخرفة وهى شبيهة بنظائرها فى الفن القبطى والفن الفاطمى[5].

أما عن التحف المصنوعة من الزجاج فقد ذكر المقرى أنه كان « يصنع بالمرية... الزجاج الغريب العجيب وفخار مذهب »[6]، والزجاج العجيب هو نوع من الزجاج بثير الاعجاب بدقة صناعته استناداً إلى القطع الزجاجية التى اسفرت عنها الحفائر الاثرية فى منطقة المرية ويتجلى فيها جمال التكوين بعضها من لون واحد ، والبعض الآخير متداخل فيه لونان تداخلاً ينتزع الإعجاب من كل من يراه وتقوم زخرفة هذا النوع الآخر على اضافة خيوط زجاجية إلى الإناء بلون يختلف عن لون الإناء نفسه ، مما يعطيه شكلاً عجيباً[7].

ومما ساعد على قيام هذه الصناعات توافر الخامات اللازمة لقيامها بالمرية ، كمعدن الرصاص الذى يتوفر فى مدينة برجه من أعمال المرية[8] ، وفى دلاية أيضاً[9] ، وحجر مشابه لحجر الياقوت بقرية تاشره فى أشكال مختلفة والوان زاهية ،

(١) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٣٨ .

(٢) العذرى : ترصيع الاخبار، ص ٨٥.

(٣) راجع مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص٨٤.

(٤) المقرى : نفح الطيب حـ١ ، ص١٨٧ .

(٥) محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية فى المغرب والأندلس ، دار الثقافة ، بيروت، لبنان ، ص ١٧ .

(٦) المقرى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٨٧ .

(٧) مرزوق : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٨) المقرى : المصدر السابق : جـ ١ ، ص ١٤٣ .

(٩) المراكشى : المعجب ، ص ٤٤٨ .

ويتميز بتحمله لحرارة النار ، ومعدن الفضة [1] ، هذا خلاف ما ذكر من معادن خلال حديثنا عن الصناعات .

ثالثاً : التجارة

حظيت مدينة منذ قيامها بميزتين هامتين ، الأولى ، أنها اتخذت قاعدة أساسية للاسطول الاندلسى [2] ، والثانية كانت مركزاً هاماً للتجارة الداخلية والخارجية، اذ كانت نواة تجارية وصناعية ساعدت على نمو تجارة الدولة الاموية فى الاندلس مع موانى البحر المتوسط [3]، فمن مينائها كانت تبحر السفن إلى شرق البحر المتوسط والى العدوة المغربية محملة بخيرات الاندلس ومنتجات مصانعها وتعود محملة بما تحتاجه الدولة الاموية من منتجات هذه البلاد.

ولقد لاحظ ابن غالب الأندلسى أهمية موقع المرية على البحر المتوسط فى ازدهار التجارة فقال : «فهى باب الشرق ومفتاح التجارة والرزق» [4]، كذلك يذكر ابن سعيد نقلا عن الرازى «باب الشرق ومفتاح الرزق» [5].

ومما ساعد على قيام المرية بدورها التجارى أنها كانت تضم بالاضافة الى دار الصناعة قيسارية كان يؤمها التجار ويأمنون فيها على أموالهم، على نحو ماكان قائما فى كبريات مدن الاندلس كاشبيليه وغرناطه، ويشير العذرى عند تعرضه لذكر القيسارية إلى أهميتها بقوله : «قد أمن فيها التجار بأموالهم وقصد اليها الناس من

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٣٨ .

(٢) راجع عن أهمية المرية كقاعدة للاسطول الاندلسى ما جاء هنا فى بحثنا ، الفصل الأول من الباب الأول ، ص ٣٢ وما بعدها .

(3) Montavez (Pedro Martinez) : Islam cristiandad e la economia mediterranea de la baja edad media, (CIII Congreo Intermacional de ciencias historicos), Moscu, 1970, p 10.

(٤) كتاب فرحة الانفس، ص ٢٨٣.

(٥) المغرب ، جـ٢ ، ص ١٩٣ ، ولعل الذى نقل عنه ابن سعيد هو عيسى بن احمد بن محمد بن موسى الرازى، ثالث المؤرخين من بين ال الرازى، الذى وضع كتابا عن تاريخ الاندلس ، والكتاب مفقود للان ، ويرى الاستاذ انخل جونثالث بالنثيا أنه كان يصل بتاريخ الاندلس الى عصر هشام المؤيد، (راجع تاريخ الفكر الاندلسى ترجمة الدكتور حسين مؤنس، الطبعة الأولى مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥ ص ١٠٨ ، السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، الاسكندرية ١٩٦٧ ، ص ٢٠١).

«مصارهم» والقيسارية مجموعة من المبانى العامة على هيئة رواق تتفرع منه أزقة وزنقات اتخذت على جوانبها مخازن وحوانيت وقد تقام فيها مساكن احيانا[٢]. ويشبهها الرحالة ابن جبير بالخان العظيم تغلق عليها ابواب حديد، وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض»[٣].

واذا كانت القيسارية فى المشرق تؤدى وظيفتين فى آن واحد، خزن المتاجر وايواء النزلاء من التجار على نحو ما هو معروف فى فنادق الاندلس فان قيسارية الاندلس كانت سوقا تجارية لخزن وبيع السلع والمتاجر وعلى الاخص الاقمشة الحريرية. وقد ترتب على وجود القيسارية وما يلحق بها من أسواق، انتشار المنشآت ذات السمة التجارية كالفنادق وقد كانت الفنادق من الكثرة بالمرية بحيث يذكر الادريسى أن عددها بلغ فى عصر المرابطين تسعمائه وسبعون فندقا[٤]. حقيقة أن هذا العدد الكبير يتعلق بالمرية فى فترة تبعيتها لحكم المرابطين ، ولكن يساعد بقدر كبير على تأكيد الصفة التجارية للمدينة وابراز جوانب هامة من حضارة المرية فى العصر السابق .

وساعد موقع المرية البحرى واتخاذها قاعدة بحرية وتجارية فى آن واحد وقيام القيسارية وتعدد الفنادق ، ساعد كل ذلك على قيام علاقات تجارية بين المرية وبين ثغور افريقية ومصر الشام ، ويؤكد ابن عذارى قيام اتصال وثيق فى البحر بين المرية وتنس [٥] من جهة وبينها وبين ثغور مصر والشام [٦] من جهة أخرى .

---

(١) ترصيع الاخبار، ص ٨٦.

(٢) انظر مادة قيسارية فى دائرة المعارف الاسلامية.

(٣) ابن جبير : رحلة ابن جبير، ص ٢٤١ .

(٤) الادريسى : صفة المغرب، ص١٩٨؛ فى الواقع انه من الصعوبة بمكان قصر الدراسة الحضارية للمرية حتى دخول المرابطين الاندلس على نحو ما حددناه فى عنوان البحث اذا ان التطور الحضارى لا يطابق الاحداث التاريخية زمنا لهذا كان اعتمادنا على بعض النصوص المتأخرة عن موضوع الدراسة ضروريا لاعطاء صوة متكاملة لهذه الدراسة.

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٢٤ .

(٦) البكرى : صفة المغرب ، ص ٢٠ ، هذا الاتصال تزايد زمن عبد الرحمن الناصر ويؤكد ذلك الصدام البحرى المسلح بين سفينة اندلسية كانت تتجه من المرية إلى الإسكندرية وبين احدى سفن الفاطميين بالقرب من صقليه (ابن الاثير : الكامل ، ص ٨ ، ص ٨٥ ، ميخائيل أمارى : المكتبة الصقلية ، ص ٥٦٢ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٦١١ سالم فى : تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والاندلس ، ص ١٧٧ .

ويذكر الاستاذ هايد ان الاندلسيين كانوا يستوردون منتجات الشرق اما بمراكب مصرية أو سورية عن طريق ثغر المرية ، أو عن طريق القوافل التى تأتى عبر الساحل الشمالى لافريقيا (١) ، وهذا الطريق البرى كان يبدأ من بلاد الاندلس إلى طنجه عبر مضيق جبل طارق مجتازاً المغرب الأقصى مروراً بسبته والمغرب الأوسط عن طريق تلمسان ووهران والمهدية والقيروان والمغرب الأدنى عن طريق طرابلس وبرقة حتى يصل إلى مصر ثم يتجه إلى بلاد الشام عبر الرملة ودمشق، ثم إلى العراق عبر الكوفة وبغداد والبصرة ثم إلى فارس مارا بالاهواز ، ثم إلى كرمان والهند والصين (٢) .

ومن الجدير بالذكر ان عظمة المرية كمركز تجارى هام بدأت منذ سقوط الخلافة الأموية بالأندلس وقيام دويلات الطوائف ومما يؤيد هذا الرأى ماذكره المقرى من أن المعتمد بن عباد اعطى ابا عبد الله بن ابراهيم مبلغاً من المال ليتعيش به ، فلم يجد هذا الرجل افضل من استغلال هذا المبلغ فى التجارة فانصرف إلى المرية التى كان يعجبه سكناها والتجارة بها ذلك « لكونها مينا لمراكب التجار من مسلم وكافر فاشتغل فيها بالتجارة ، وجنى منها ثروة كبيرة » (٣) ، وكذلك اشارة الادريسى بقوله : « ولم يكن بالاندلس كلها ايسر من أهلها (أهل المرية) مالا ، ولا اتجر منهم فى الصناعات وأصناف التجارات تصريفاً وادخاراً والمدينة فى ذاتها مدينة كبيرة كثيرة التجارات والمسافرون إليها كثيرون ولم يكن فى بلاد الاندلس أحضر من أهلها نقداً ولا أوسع منهم أحوالاً » (٤) .

ولا جدال فى أن الفضل الأعظم فيما جناه أهل المرية من ثروات طائلة انما يرجع إلى اشتغالهم فى التجارة ، وإلى نشاط حركتها التجارية مع الشرق ، فقد كانت مقصد مراكب التجار من الاسكندرية وجميع مدن الشام (٥) ومحطاً للسفن وداراً للتجار والمسافرين (٦) . ويؤكد ياقوت نشاط حركة الصادر والوارد بالمرية فى

(1) Heyd' Op. cit., t. II. P. 724.

(٢) ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ١٥٤ .

(٣) المقرى : نفح الطيب، حـ٥، ص ١١٠ .

(٤) صفة المغرب، ص ١٩٧ ، ص ١٩٨ .

(٥) صفة المغرب، ص ١٩٧ ؛ راجع ايضا، الحميرى : الروض العطار، ص ١٨٤ .

(٦) السقطى (ابو عبد الله محمد بن ابى محمد المالقى) . كتاب آداب الحسبه، تحقيق ليفى بروفنسال وكولان، باريس ١٩٣١ ، ص ٥٠ .

قوله : « منها (أى المرية) يركب التجار ، وفيها تحل مراكب التجار ، وفيها مرفأ للسفن والمراكب » [١] . ويفهم من نص ياقوت أنه كانت هناك حركة صادرات تجارية من المرية إلى مختلف موانى البحر المتوسط وكذا حركة واردات تجارية إليها من تلك الموانى .

وينبغى أن نقر بأن النصوص التاريخية العربية سواء المعاصرة للأحداث أو المتأخرة، قد ذودتنا فى الواقع بما يكفى من الأخبار لالقاء بعض الضوء على صادرات الاندلس ووارداتها سواء ما يتعلق بالمحاصيل الزراعية أو ما له صلة بالمنتجات الصناعية ، فابن حوقل يذكر أن « بالأندلس غير طرز يرد إلى مصر متاعه وربما حمل منه شئ إلى أقاصى خراسان وغيرها » [٢]، ويضيف فى موضع آخر فأما أرديتهم المعمولة ببجانه فتحمل إلى مصر ومكة واليمن غيرها » [٣] .

ومن المحاصيل والمنتجات الصناعية التى كانت تصدر من المرية إلى بلاد الشرق الوشى صناعة المرية [٤] والزجاج والفخار المزجج والزليجى [٥] ، والبسط التنتلية صناعة مرسية وكانت السلع يغالى فى ثمنها بالمشرق ، والعنبر الذى كان يحمل إلى مصر وتباع أوقيته بعشرين ديناراً ، والجنياطه وحجر المرقيشينا الذهبية ومعدن الزئبق يحمل إلى جميع الأفاق [٦] ، وحصى المرية الذى يشبه الدرفى رونقه بالوانه العجيبة [٧] ، كما كانت تحمل من مرسيه الأسرة المرصعة والحصر الفتانة الصنعة كآلات الصفر والحديد من السكاكين والامقاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس والجندى ما يبهر العقل كلها تجهز وتصدر إلى بلاد أفريقية وغيرها [٨] .

---

(١) معجم البلدان، المجلد الخامس، ص ١١٠ ، ص١٨ ،
Al - Karim (Gamal), Op. cit, 134.

(٢) ابن حوقل صورة الارض، ص ١٠٥ ، ص ١٠٦ .

(٣) نفس المصدر، ص ١٠٩ .

(٤) الضبنى : بغية الملتمس، ص ٤٦٨ ، المقرى : نفح الطيب، جـ٤ ، ص٢٠٧ .

(٥) المقرى : المصدر السابق حـ١ ، ص ١٤٥ ، ص١٨٧ .

(٦) المقرى : نفح الطيب، حـ١ ، ص١٣٧ ، ص١٣٨ .

(٧) نفس المصدر ، حـ١ ، ص١٨٧ ، حـ٤ ، ص ٢٠٧ ، وكلن يحمل الى البلاد ويستخدمه الناس لتبريد مياهم فيضعونه فى البراريد وكيزان الماء، ـراجع ايضا : السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص ١٦٣ ، هـ٣).

(٨) المقرى : المصدر السابق، حـ١ ، ص١٨٧ .

وأهم ما كانت تصدره المرية من منتجاتها المنسوجات الحريرية التى كانت لها سوق نافعة فى المشرق الإسلامى .

أما المحاصيل والمنتجات الصناعية التى كان يستوردها أهل الأندلس من الشرق فأهمها القمح الذى تحمله المراكب من تنس إلى سواحل الأندلس [١] ، والعطور جميع أصنافها ما عدا الزعفران والعنبر من أرض الهند [٢] ، والرخام من قرطاجنه وأفريقية وتونس ومن بلاد الافرنج [٣] .

ولم تقتصر العلاقات التجارية بين المرية وثغور المشرق الإسلامى فحسب بل تجاوزتها إلى الجمهوريات الإيطالية مثل جنوه وبيزا [٤] .

(١) ابن سعيد المغربى : كتاب الجغرافيا، ص ١٤٢ .

(٢) المقرى : المصدر السابق، حـ١ ، ص ١٣٩ .

(٣) نفس المصد، حـ٢ ، ص١٠٤ .

(4) Heyd' Op. cit. t, II, p. 725.

الفصل الثالث

الحركـــــة العلميـــــة

الفصل الثالث

الحركة العلمية

أولا : الحركة الادبية واللغوية:

بلغت الدولة الاموية فى الاندلس اوج مجدها الحضارى فى عصر الخلافة، الذى يشمل عهد الخليفة الناصر وولده الحكم المستنصر، ثم عهد الحاجب المنصور محمد بن ابن عامر ولما انهارت الخلافة الاموية وسارت الفوضى انحاء الاندلس فى اعقاب الفتنة، أخذت شمس الاندلس تنحدر نحو المغيب مؤذنه بقيام دويلات الطوائف.

وعلى الرغم من التفكك السياسى الذى طرأ على البلاد وما ترتب عليه من فتن واضطرابات وحروب اهلية، ومنازعات بين مختلف هذه الدويلات، فقد سطعت شمس الشعر والادب، وبلغ النشاط الادبى مداه وتنافس ملوك الطوائف فى اقتناء فحول الشعراء والكتاب، وبالغوا فى اجتذابهم الى حواضرهم بالهبات القيمة، فارتقت دولة الادب فى الاندلس وازدهرت ازدهارا لم تشهده من قبل[١]، وأصبحت قصور قرطبة واشبيلية والمرية وبطليوس منتديات لاهل الشعر والادب، ولم يقتصر الامر على ذلك فقد صحب هذه النهضة الادبية نهضة فنية غنائية لانظير لها من قبل، عندما تنافس ملوك الطوائف فى اجتلاب حذاق الغناء الى حواضرهم[٢]، ويذكر الشقندى فى رسالته: «ولم تزل الشعراء تتهادى بينهم تهادى النواسم بين الرياض، وتفتك فى اموالهم فتكة البراض، حتى أن أحد شعرائهم بلغ به مارآه من منافستهم فى امداحه أن حلف أن لايمدح أحدا منهم بقصيدة إلا بمائة دينار»[٣]. وبذلك تحولت عواصم الاندلس الى بغدادات صغيرة كثيرة[٤]، اضف الى ذلك كله ماساد هذا العصر من روح الاسراف والبذخ والاجرام السافر الذى لايتورع عن شئ من المطامع والنزوات الى الخناجر والسموم[٥].

---

(١) أنخل جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ١٣ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس، ص ١٠٠ .

(٣) المقرى : نفح الطيب، حـ٤، ص ١٨٠ .

(٤) غارسيا غوميث: الشعر الاندلسى، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٤٤ .

(٥) غارسيا غرميث: نفس المرجع، ص ٤٤ .

ولم تكن المرية بعيده عن هذه الحركة الادبية المباركة، فكانت من بين دول الطوائف التى ازدهرت فيها العلوم والآداب، وبلغت أوج ازدهارها الادبى فى عصر المعتصم بن صمادح الذى يعتبر بحق العصر الذهبى للعلوم والاداب وذلك بفضل تشجيعه وبذله للمال، ولعل أبلغ وصف فى ذلك قول الفتح بن خاقان يمتدحه «ملك اقام سوق المعارف على ساقها، وأبدع فى انتظامها وأتساقها واوضح رسمها، وأنت فى جبين أو انه رسمها، ولم تخل ايامه من مناظرة، ولاعمرت الابمذكرة ومحاضرة»[1].

وهكذا ازدهرت الحياة الادبية فى المرية بفضل ملكها المعتصم وبفضل أدبائها البارزين أمثال الوزير الكاتب أبو العباس أحمد بن زكريا ، وأبو المحسن مختار عبد الرحمن بن سهر الرعينى، واحمد بن ادهم، واحمد بن قاسم النحوى المعروف بابن الاديب، وابراهيم بن احمد بن محمد بن اسود الغسانى، ومحمد بن محمد ابن الحسن الزبيدى، وابو عبد الله بن عبادة المعروف بابن القزاز.

واعظم ادباء هذا العصرجميعا الوزير الكاتب ابو العباس احمد بن زكريا ويكنى ابا جعفر، كان عليما بفنون الادب، قديرا على التعبير عن ارائه فى يسر ورقة، تمتع بشهرته فائقة، بجانب مهارته فى الخطابة، وتبحرة فى الفقة، مقتبسا للشعر من غير طبع فيه[2]. ومما ساعد تبوئه هذه المكانة الادبية السامية هوايته لجمع الكتب فيقال ان مكتبته كانت تزيد على اربعمائه الف مجلد كامل عدا الاوراق والكراسات المنفصلة[3]. وعلى الرغم من المواهب المتعددة التى تميز بها الا انه اتصف بالكبرياء والغرور والعجب بنفسه لدرجة انه عند زيارته لقرطبة مع زهير العامرى واجه اديب قرطبة ابا عامر بن شهيد بكل احتقار وازدراء، وذم اهل قرطبة عندما سئل عنهم بقوله: «ما رأيت بقرطبة الا سائلا أو جاهلا»[4].

---

(١) ابن سعيد : المغرب، حـ٢ ، ص١٩٦ ، ص١٩٧ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، م٢ ، ص ١٧٥ ، وأنظر أيضا ، ابن الخطيب، الاحاطة، حـ١ ، ص ٢٦٧ ، دوزى : ملوك الطوائف، ترجمة الاستاذ كامل كيلانى، ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) خوليان ريبيرا : المكتبات وهواه الكتب فى أسبانيا، ترجمة الدكتور جمال محرز، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الخامس، الجزء الأول، مايو ١٩٥٩ ص ٨٠ .

(٤) ابن بسام: الذخيرة، ق١ ، م ٢ ، ١٧٦ ، وراجع أيضا ، أنحل جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الاندلسى، ص ١٠٩ .

ومن مشهور شعره ابيات كان يرددها فى كل مجلس وعند كل مناسبة، وبخاصة فى اوقات لعبه الشطرنج:

عيون الحـوادث عنى نيــام　　　وهضمى على الدهر شئ حرام

وذاع هذا البيت عند الناس، فاستنكروه، الى حد ان بعض الشعراء قلب مصراعه الاخير فقال:

سيوقظها قدر لاينام[1].

وقد انتهى امر ابن عباس بوقوعه أسيرا فى قبضة باديس بن حبوس صاحب غرناطه الذى قتله بيده فى ٢١ ذى الحجة ٤٢٧ هـ (١٠٣٥م)[2].

اما ابو الحسن مختار بن عبد الرحمن بن سهر الرعينى[3]، الذى تولى قضاء المرية فى عهد زهير العامرى، فقد كان جامعا لفنون العلم والمعرفة، وتمكن فيهما، وتميز اسلوبه بالسلاسة والعذوبة، وكان الرعينى شخصية قوية تعتز بنفسها ويقال ان زهير ملك المرية استدعاه يوما من مجلس حكمه، فجاءه يمشى على مهل، فاستعجله رسول زهير، فلم يسرع فى مشيته، فلما دخل مجلس زهير قال له: «يافقيه ماهذا البطء؟ فتأخر الى باب المجلس، وطلب عصا، وشمر ثيابه، فقال له زهير: ماهذا؟ قال هذا يليق باستعجال الحجايب لى، فضحك زهير واستحلاه ولم يعد الى استعجاله»[4] وبالاضافة الى ملكته الادبية فقد كان شاعرا مطبوعا، وتغلب على شعره روح السخرية فيذكرون انه دخل ذات يوم حماما وكان يجلس بازائه عامى اساء اليه الادب، فقال الرعينى:

الا لعـن الحمـام داراً فانــه　　　سواء به ذو العلم والجهل فى القدر
تضيع به الاداب حتى كانهـا　　　مصابيح لم تنفق على طلعة الفجر[5]

---

(١) ابن الخطيب: الاحاطة، حـ١، ص ٢٦٩، وأنظر أيضا دوزى: ملوك الطوائف ص ٤٩، بالنثيا: تاريخ الفكر الاندلسى، ص ١١٠.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق، حـ١، ص٢١٨.

(٣) ابن بشكوال: كتاب الصلة، القسم الثانى، ص ٦٢٤، ٦٢٠، ابن سعيد: المغرب، حـ٢، ص١٠٧.

(٤) المقرى نفح الطيب، حـ٤، ص ٣٥٢.

(٥) المقرى نفح الطيب، حـ٤، ٣٥٢.

وتوفى الرعينى بقرطبة سنة خمس وثلاثين واربعمائه (١٠٤٣م) [١].

ومن ادباء المرية ايضا أحمد بن ادهم مولى بنى مروان ويكنى ابابكر، اصله من جيان، وسكن قرطبة، وذكر ابن حيان انه ولى القضاء بالمرية لخيران العامرى وكان متمكنا فى الفقه غزيرا فى الادب، صائبا فى حكمه وتوفى فى ذى القعدة سنة ٤٢٩هـ (١٠٣٧م)[٢].

وكان أحمد بن قاسم النحوى المعروف بابن الاديب، من اهل العلم،والادب بقرطبة ثم نزل بالمرية وأستقر بها، وكف بصره فى حداثة سنة، وتوفى المرية فى سنة ٤٤٢هـ (١٠٤٠م)[٣].

وكان ابراهيم بن احمد بن محمد بن اسود الغسانى، وهو من أهل بجانه من المهتمين بالعلم متصفا بالصلاح والفهم والتواضع، وتوفى سنة ٤٦٧هـ (١٠٧٤م)[٤].

ومن أعلام الادب وعلوم اللغة فى المرية ايضا، محمد بن محمد بن الحسن الزبيدى؛ الاديب النحوى، وكان من اهل الادب والرياسة، وقداهلته هذه الصفات لتولى القضاء لها [٥]، والف فى النحو كتابا سماه «الواضح» واختصر كتاب العين للخليل بن احمد اختصارا حسنا [٦].

ومن مشاهير الادباء فى عصر بنى صمادح ابو عبد الله محمد بن عباده المعروف بالقزاز، وكان من بيت كتابه ونباهه [٧] وبجانب براعته فى النثر برع ايضا فى الشعر والموشحات التى كثر استعمالها عند اهل الاندلس[٨] ، ومن شعره فى

---

(١) ابن بشكوال : كتاب الصلة، القسم الثانى، ص ٦٢٥.

(٢) ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة، جـ١، ص ٤٠ ، ٤١ «ترجمة ١١٥».

(٣) ابن بشكوال : المصدر السابق، القسم الاول ص ٥٣ «ترجمة ١١٠».

(٤) نفس المصدر، ص ٩٦، «ترجمة ٢١٥».

(٥) الحميدى «أبو عبد الله محمد بن ابى نصر فتوح بن عبد الله الازدى» : جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الاندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦، ص٣٨.

(٦) الضبى : بغية الملتمس، ص ٦٦، المقرى، نفح الطيب، حـ٥، ص٢٤.

(٧) ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة، ص ٣٩٣، ترجمة ١٠٩٩).

(٨) ابن سعيد : المغرب، حـ٢، ص١٣٦، ١٣٧.

ابن صمادح قوله:

ولو لم أكن عبدا لآل صمادح وفى ارضهم اصلى وعيشى ومولدى
لما كان لى الا اليهم ترحل وفى ظلهم أمسى وأضحى وأغتدى[1].

ومن قصيدة أخرى يمدح فيها المعتصم قوله:

نفى الحب عن مقلتى الكرى كما قد نفى عن يدى العدم
فقد قرحبك فى خاطرى كما قرفى راحتيك الكرم[2]

وكان للشعراء عند المعتصم بن صمادح بوجه خاص سوق نافقه، فقد قصده كبار شعراء هذا العصر، واحاط نفسه بطائفه من فحول الشعراء اضفوا على دولته- رغم صغرها - مظهرا من الفخامة والعظمة[3].

ومن أعظم هؤلاء الشعراء الذين قصدوا المرية فى عهد خيران العامرى، الشاعر أبو عمر أحمد بن دراج القسطلى[4] الذى تمتع بشهره فائقة فى نظم الشعر فكان بين جلة العلماء والمقدمين من الشعراء[5]، ويصفه الثعالبى فى كتاب اليتيمة بقوله: «هو بالصقع الاندلسى كالمتنبى بصقع الشام»[6].

وذكره ابن حيان بقوله: سباق حلبة" الشعراء العامريين وخاتمة محسنى أهل

---

(١) المقرى : نفح الطيب، حـ٤، ص ٣٨٠.

(٢) نفس المصدر ، حـ٥، ص ٢٤١.

(٣) أنجل جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى، ص ١١٠، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص ١٧٦.

(٤) ابن سعيد : المغرب، حـ٢، ص٦٠، من قسطلة دراج من اعمال جيان، (نفس المصدر والجزء والصفحة).

(٥) الحميدى : جذوه المقتبس فى ذكر ولاه الاندلس، ص ١١٠، وانظر ايضا، ابن بشكوال : كتاب الصلة، حـ١، ص٤٠ الضبى، بغية الملتمس، ص ١٥٨، ابن بسام الذخيرة، ق١، م١، ص٤٣.

(٦) الثعالبى (ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسبورى) : يتميه الدهر فى محاسن أهل العصر، حـ٢، تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، الطبعة الثانية، ١٩٥٦، القاهرة، ص ١٠٤، وانظر ايضا : ابن بسام: الذخيرة، ق١، م١، ص٤٤، ابن سعيد المصدر السابق، ص ٦، المقرى : نفح الطيب، حـ٤، ص ١٨٤.

الاندلس أجمعين»[1]. وينم شعر القسطلى عن مجموع علمه وعلى منهجه فى البلاغة والرسائل مما يدل على سعة إطلاعه وتمكنه [2]. ويذكر الحميدى انه سمع «أبا محمد على بن احمد، وكان عالما بنقد الشعر يقول : لو قلت انه لم يكن بالاندلس أشعر من ابن دراج لم أبعد، وقال مرة أخرى لو لم يكن لنا من فحول الشعراء الا احمد بن دراج لما تأخر عن شأو «حبيب والمتنبى»[3] ويشبهه المستشرق الاسبانى الاستاذ غرسية جومث بالشاعر الاسبانى جنجرا وذلك فى تعقيده عن الفهم[4].

ومن المعروف ان ابن دراج القسطلى لم يجد بدا فى زمن الفتنه بعد أن ضاقت به الحال من ان يضرب فى مناكب شبه الجزيرة بحثا عن مستقر جديد وخرج فعلاً من قرطبة واخذ يجول فى أنحاء الاندلس من ملك الى ملك ومن أمير إلى أمير مما عبر عنه ابن حيان : قائلا «فاستقرى ملوكها أجمعين ما بين الجزيرة الخضراء فسر قسطة من الثغر الأعلى يهز كلا بمديحة»[5]. وكان خيران العامرى صاحب المرية ممن مدحهم ابن دراج، اذ مدحة بقصيدة طارت شهرتها فى المشرق والمغرب، وهو متوجه الى سرقسطة سنة ٤٠٧هـ (١٠١٦م) ومنها :

لك الخير فقد أوفى بعهدك خيران ‏ ‏ ‏ وبشراك، قد أواك عز وسلطان[6]

وتعتبر هذه القصيدة من أجل ما نظم ابن دراج وأصدقه، أما خيران فلم يكافىء ابن دراج على مانظمة فى مدحه بجائزة مجزية[7].

---

(١) ابن بسام : المصدر السابق ق١ ، م١، ص ٤٤.

(٢) الحميدى: المصدر السابق، ص ١١٠، راجع ايضا، ابن بشكوال المصدر السابق ، ص٤٠، الضبى، المصدر السابق، ص ١٥٨.

(٣) الحميدى : جذوه المقتبس، ص ١١٣، ص ١١٤، وراجع ايضا، ابن بشكوال: الصلة جـ١، ص ٢٤٠، الضبى : بغية الملتمس، ص ١٦١.

(٤) الشعر الاندلسى، ص ٣٨، وراجع ايضا، انخل جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى، ص ٦٦.

(٥) ابن بسام : الذخيرة: ق ١، م١، ص٤٤، وعن ابن دراج ايضا، راجع الدراسة الرائعة التى عقدها الدكتور محمود على مكى فى مقدمة ديوان ابن دراج، (ديوان ابن دراج القسطلى، المقدمة).

(٦) ديوان ابن دراج، ص ٦٨، راجع ايضا ابن بسام : الذخيرة ، ق١، م١، ص٤٥، ابن الخطيب: أعمال الاعلام، : القسم الخاص بالاندلس، ص ٢١٢.

(٧) الحميدى : جذوه المقتبس، ص ٣٩٤، (ترجمة ٩٣٠).

ومن مشاهير شعراء المعتصم بن صمادح، أبو الفضل جعفر بن أبى عبد الله ابن شرف البرجى، وله تواليف فى الامثال والاخبار والاداب والاشعار[١] لكنه ينزع عادة نحو الفلسفة[٢]، ولذلك عرف بالحكيم الفيلسوف[٣]، واشتهر بمدح المعتصم ابن صمادح، ومما مدحه به قوله:

لم يبق فى الجود فى أيامكم اثر . الا الذى فى عيون الغيد من حرر[٤]

وممن اتصل بالمعتصم من الشعراء أبو عبد الله بن الحداد وأبو حفص بن الشهيد، اما ابو عبد الله بن الحداد واهله من وادى آش وسكن المرية، فقد ارتفعت منزلته عند المعتصم إلى حد ان اسند إلية الوزارة، وكان من الطبيعى ان ينظم ابن الحداد جل شعره فى مدح بنى صمادح ارباب نعمته، ومن مدائحه للمعتصم قوله:

لعلك بالوادى المقدس شاطئ	فكالعنبر الهندى ما انا واطئ
ولى فى السرى من نارهم ومنارهم	جواد هواء والنجوم طوافئ[٥]

واحب ابن الحداد صبية نصرانية تدعى نويره قال فيها شعر ينم عن عاطفة مشبوبه[٦]، وكذا استمرت حبائل الود ممتدة بينه وبين المعتصم فترة من الزمان الى ان تغير قلب المعتصم عليه فأقصاه عنه وذلك لان ابن الحداد رماه بالبخل، فآثر ابن الحداد الرحيل عن المريه حتى لا يتعرض لسخطه ومقته، فسار الى سرقسطه فى سنة ٤٦١هـ (١٠٦٨م)، واقام بها فى كنف المقتدر بن هود، وكانت تنتاب ابن الحداد بين الحين والحين حالات من اليأس والتشاؤم فيتحدث عن الزهد والاعتزال[٧] ويتمثل ذلك فى بيتين من شعره انشدهما عند خروجه من المرية.

---

(١) ابن بشكوال : كتاب الصلة، ص ١٣٠، ص ١٣١، ابن بسام، الذخيرة، القسم الثالث مخطوط، لوحة ٢٧٤، ابن سعى : الكمغرب، حـ٢، ص ٢٣٠، ص ١٣١.

(٢) غارسيا غوميث: الشعر الاندلس، صا ٥٢

(٣) أنخل جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى، ص ١١.

(٤) ابن سعيد : المصدر السابق، حـ٢، ص ٢٣٢.

(٥) ابن بسام: الذخيرة، ق ١ ،م٣، ص ٢٠٢، ابن سعيد : المصدر السابق، حـ٢، ص١٤٤

(٦) ابن بسام: الذخيرة، ق١، م٢، ص٢٠٢.

(٧) انخل جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى، ص ١١٢

لزمت قناعتي وقعدت عنهم　　فلست أرى الوزير ولا الاميرا

وكنت سمير اشعارى سفاها　　فعدت لفلسفياتي سميرا[1]

ولم يهنأ ابن الحداد فى حياته الجديدة بسرقسطة فقد كان ما يزال متعلقا بصديقه ابن صمادح فلم يلبث ان عاد الى المرية بعد ان صفح عنه المعتصم وتوفى بها فى سنة ٤٨٠هـ(١٠٨٧م) [2] ومن آثاره ديوان شعر كبير مدون على حروف المعجم، وكتاب فى العروض سماه بالمستنبط [3]، وقال ابن بسام فيه «ترى العلم ينم على أشعاره ويتبين فى منازعه وآثاره، وله فى العروض تأليف، وتصنيف مشهور معروف»[4].

أما الشاعر أبو حفص بن الشهيد، فكان فارس النظم والنثر [5]، أنشد قصائد كثيرة فى مدح المعتصم، من ذلك قوله:

سبط اليدين كأن كل غمامه　　قد ركبت فى راحتيه أناملا

لاعيش الا حيث كنت وانما　　تمضى ليال العمر بعدك باطلا[6]

وفى بلاط ابن صمادح عاش ابو عبد الله البكرى الجغرافى الشاعر فترة من الزمن حظى فيها بالرعاية، واصطفاه المعتصم وآثر مجالسته ورفع مرتبته[7]، وكان شاعرا فذا له شعر كثير وخمريات تدور حول ميله الى ملذات الحياة، فمن ذلك قوله:

---

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق١، م٢، ص٢٠١.

(٢) ابن الابار: التكملة لكتاب الصلة، ص ٢٩٩.

(٣) ابن بسام: المصدر السابق، ق١، م٢، ص٢٠١، ابن الابار: المصدر السابق ص ٣٩٨، ابن سعيد: المغرب، حـ٢، ص ١٤٣، ص : ١٤٤ الكتبى (محمد بن شاكر بن احمد): فوات الوفيات، تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد حـ٢، مطبعة السعادة، بمصر، ١٩٥١، ص٢٤١.

(٤) ابن بسام: المصدر السابق، ق١، م٢، ص٢٠١.

(٥) ابن بسام: الذخيرة، ق١، م٢، ص٢٣٩، راجع أيضا، ابن عذارى: البيان المغرب، حـ٣، ص١٧٥، ابن سعيد: المغرب، حـ٢، ص ٢٠٩، ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم الخاص بالاندلس، ص ١٩٠.

(٦) ابن سعيد: المصدر السابق، ص ٣٠٩.

(٧) ابن الابار: الحلة السيراء، حـ٢، ص١٨٦.

خليلى أنى قد طربت الى الكأس   وتقت الى شم البنفسج والآس
فقوموا بنا نلهو ونستمـع الغنـاء   أنسرق هذا اليوم سرا من الناس [١]

ومن الشعراء الدين اجتذهم المعتصم بهباته ابو القاسم اسعد الذى مدح المعتصم بقصيدة منها :

اذا سار سار الجود تحت لوائه   فليس يحط المجد الا اذا حطا[٢]

ومنهم الشاعر ابو القاسم خلف بن فرج الالبيرى المعروف بالسميسر، وكان من أعظم شعراء البيرة فى عصر الطوائف، امتاز بين معاصريه من الشعراء بالهجاء[٣] وبالسخرية اللاذعة [٤] وفيه يقول ابن بسام: «كان باقعة عصره واعجوبة دهره ... له طبع حسن، وتصرف مستحسن ، فى مقطوعات الابيات، وخاصة اذا هجا وقدح»[٥]، ومن أمثلة شعره فى هجاء المعتصم ومدينة المرية قوله:

بئس دار المرية اليوم دارا   ليس فيها لساكن ما يحب
بلدة لاتمار الا بريـح   ربما قد تهب أولاتهـب[٦]

وقوله:

قالوا المرية فيهـا   نظافة قلـت ايـه
كأنها طست تبـر   ويبصق الدم فيه[٧]

وقد ألف كتابا سماه «شفاء الامراض فى انتهاك الاعراض»[٨]

ومن الوافدين على المرية من شعراء الاندلس الشاعر أبو الحسن جعفر بن الحاج، أحد فحول شعراء عصره، وتميز على غيره بميله الى الزهد[٩]، وقد وصفه

(١) نفس المصدر الجزء ، ص ١٨٧.
(٢) المقرى : نفح الطيب، حـ٥، ص ٢٣٩.
(٣) ابن سعيد : المغرب، حـ٢، ص١٠٠.
(٤) غارسيا غوميث : الشعر الاندلسى ، ص ٥١.
(٥) ابن بسام: الذخيرة، ق١ ، م٢، ق٣٧٢.
(٦) ابن بسام : الذخيرة، ق١ ، م٢، ص٣٧٢، وأنظر أيضا ، المقرى: نفح الطيب حـ٤ ، ص ٣٦٠.
(٧) ابن بسام : المصدر السابق والصفحة، المقرى : المصدر السابق والصفحة.
(٨) أنخل جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى، ص ١١٣.
(٩) الضبى : بقية الملتمس، ص ٢٥٧، «ترجمة ٦١٦».

ابن سعيد بقوله: «اختار تعب النسك على تلك الراحة»[١].

وقال من مخمسة يرثى فيها ابن صمادح، ويندب الاندلس زمن الفتنة منها :

تنتحب الدنيا على ابن معن كأنها ثكلى أصيبت بابن

اكـرم مأمـول ولا اسـتثنى أثنـى بنعمــاه ولا أثنـى

والروض لا ينكر معروف المطر[٢].

ولدينا أسماء عديده من شعراء الاندلس العظام قصدوا ابن صمادح بالمريه نخص بالذكر منهم أبو بكر بن عمار، وكان له حظ من الأدب[٣]، وأبو الوليد النحلى البطليوسى[٤]، والأسعد بن ابراهيم بن بليطه، الذى يصفه ابن بسام بانه «فارس جحفل، وشاعر محفل»[٥]، وأبو عبد الله محمد بن معمر المالكى المعروف بابن أخت غانم، وكان يقول الشعر فى يسر ذو حافظة نادره بجانب ولعه بكتب النحو والفقه والشريعة والطب[٦].

وكان المعتصم نفسه شاعراً مطبوعاً نسبت إليه أشعار كثيره، وكان بنوه أيضاً من الشعراء المجيدين. ومن ابناء المعتصم الشعراء، رفيع الدولة وأبو جعفر أحمد وعز الدولة، وأختهم الزجاله أم الكرام.

فأما رفيع الدولة ابو يحيى بن المعتصم بن صمادح، فقد وصفه الحجارى بأنه:

«فرع زاك من تلك الشجرة الكريمة، وعارض جود من صوب ملك الديمه»[٧]، ومن شعر رفيع الدولة قوله :

---

(١) ابن سعيد : المغرب، جـ٢، ص ٢٧٧.

(٢) المقرى : نفح الطيب، جـ٥، ص٢٤٢، ٢٤٣.

(٣) ابن سعيد : المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٢٩.

(٤) أنخل جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى، ص ١١٢.

(٥) ابن سعيد : المصدر السابق، جـ٢، ص ١٧.

(٦) أنخل جونثالث بالنثيا : المرجع السابق، ص ١١١، وغانم خاله المنسوب اليه هو الامام العالم غانم المخزومى، (المقرى : المصدر السابق ، جـ١، ص ٣٦٢).

(٧) ابن سعيد : المغرب، جـ٢، ص ١٩٩ «ترجمة ٤٨٤».

لئن منعـوا عنى زيـارة طيفهـم ولم الف فى تلك الطلول مقيلا
فما منعوا ريح الصبا سوق عرفهم وقد بكرت تندى على بليلا[1]

ومن شعر أبى جعفر احمد قوله :

اتى بالبدر من فوق القصيب فطارت نحـوه طيـر القلـوب[2]

ومن قول أخيه عز الدولة أبو مروان عبد الله بن المعتصم، يخاطب أباه من محبسه[3] :

ابعـد السـنا والمعـالى خمـول وبعد ركوب المذاكى كبـول؟
ومن بعـد ما كنـت حـرا عزيـزاً انـا اليـوم عبـد اسير ذليـل ؟
حللـت رسـولا بغـرناطـه فحـل بهـا بى خطـب جليل
وثقفـت إذ جئتهـا مرسـلا وقـد كان يكرم قبلى الرسـول
فقلـت المريـة ، اكـرم بـهـا فمـا للوصـول اليهـا سـبيل

فراجعه أبوه :

عزيـز علـى ، ونوحـى ذليـل على ما قاسـى ، ودمعى يسـيل
لقطعـت البيـض أعمـادهـا وشـقت بنـود وناحت طبول
لئن كنـت يعقـوب فى حـزنه ويوسـف انت، قصـير جميـل[4]

شاعرات المرية:

ولم يقتصر نظم الشعر على الشعراء، بل نظمه ايضا شاعرات عشن فى عصر المرية الذهبى فى ظل بنى صمادح، وفى خلال يقظته الادبية ونهضته الشعرية[5] ،

(١) ابن الابار : الحلة السيراء، جـ٢ ، ص٩٥ ، وأنظر أيضاً، ابن سعيد : المصدر السابق، جـ٢ ، ص ٢٠٠.

(٢) ابن سعيد : نفس المصدر، جـ٢ ، ص ٢٠٠.

(٣) كان رسولا لابية إلى ابن تاشفين، فأمر هذا باعتقاله، «راجع مذكرات الامير عبد الله، ص ١٦٧ ، ابن الابار : الحلة السيراء، جـ٢ ، ص ٨٨ ، ٨٩».

(٤) ابن الابار الحلة السيراء، جـ٢ ، ص ٨٨ ، ٨٩.

(٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ٧٤ وما يليها.

ومن شاعرات المرية: الغسانية البجانية، وزينب المرية، وغاية المنى، وام الكرام بنت المعتصم بن صمادح.

الغسانية البجانية:

عاشت في بجانه من عمل المرية في القرن الخامس الهجرى[1]، واتسم شعرها بالاصالة والعمق[2]، ومن نظمها في الغزل وشكوى الفراق:

اتجزع ان قالوا سترحـل اظعـان وكيف تطيق الصبر ويحك إذ بانوا
فما بعد الا الموت عند رحيلهم وإلافصبـــر مثـل صبر واحـزان[3]

زينب المرية:

وهى مثل سابقتها من الحرائر، قدمت شعرا ناضجا كل النضوج نابضا بالحياة صافي الاسلوب في غير عسر، صادقا الحس في غير خفاء[4]، ومن نظمها:

يا أيهـا الراكــب الغـادى لطينـه عرج انبئـك عن بعـض الذى أجد
ما عالج الناس من وجد نضمهم الا ووجدى بهم فوق الذى وجدوا[5]

غاية المنى:

وهى جارية، قدمها قيان الى المعتصم بن صمادح لكى يختبرها قبل أن يشتريها فسألها: ما أسمك؟ فقالت: غاية المنى، وكان ابن صمادح يريد قينه شاعره، فقال لها الامير : اجيزى.

اسألوا غاية المنى
فقالت في سرعة بديهة ورقة خاطر
من كسا جسمى الضنا
وارانـــى مولهــــا سيقول الهوى أنا[6]

---

(١) ابن سعيد : المغرب، حـ٢، ص١٩٢.
(٢) مصطفى الشكعة: صور من الأدب الاندلسى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١، ص١١٥.
(٣) ابن سعيد : المصدر السابق، حـ٢، ص١٩٢.
(٤) مصطفى الشكعة: المرجع السابق، ص ١١٦.
(٥) المقرى : نفح الطيب، حـ٦، ص ٢٢.
(٦) المقرى : نفح الطيب، حـ٥، ص٢٢.

وهى واحدة من هؤلاء الشاعرات من حرائر وقيان كن يطربن الاسماع باشعارهن الانثوية العذبة الرقيقة[1].

ام الكرام بنت المعتصم بن صمادح:

واذا كانت الغسانية البجانية وزينب المرية من بنات الشعب، وغاية المنى واحدة من القيان، فان شاعرتنا ام الكرام كانت اميره من بيت ملك بنى صمادح، ولقد جرت العادة فى قصور ملوك الاندلس ان يعهدوا ببناتهم ونسائهم لمعلمات يتعهدهن بالتعليم والتهذيب وقراءه الشعر وحفظه ، وليس بغريب على المعتصم بن صمادح الشاعر وراعى الآداب، والفنون ان يعهد بتاديب ابنته[2]، لما لمسه فيها من نبوغ وذكاء حتى نظمت الشعر الجميل واسهمت بقدر فى انشاء الموشحات[3] ومن شعرها الرقيق العذب قولها:

ألا ليت شعرى هل سبيل لخلوه ... ينزه عنها سمع كل مراقب

وياعجبا اشتاق خلوة مـن غـدا ... ومثواه ما بين الحشا والترائب[4]

ان ام الكرام شاعرة رقيقة بارعة الغزل حسنة التعبير، وقد اثر انها كانت تصنع التواشيح، ولايستطيع ذلك الا الشاعر ذو القدرة، والفنان ذو الموهبة والصنعة لما تخضع له الموشحة من نسق يتكرر بين اقفال وغصون وتشطير وترصيع الذى يجعل من ام الكرام شاعره فنانه بارعة وأدبية بارزه[5].

الدراسات اللغوية والنحوية:

اهتم اهل الاندلس بالدراسات اللغوية والنحوية اهتماما خاصا منذ قيام دولة عبد الرحمن الاوسط، ولكن هذه الدراسات كانت مقصورة على قراءة النصوص الادبية سواء المنثور منها او المنظوم لتربية الملكات الادبية عند ابنائهم [6] . ثم بدأت

---

(١) مصطفى الشكعة: صور من الادب الاندلسى، ص ١١٨.

(٢) ويذكرنا فى هذا بالادبية ولادة بنت المستكفى المتوفاه سنة ٤٨١هـ، التى اثرت فى الاوساط الادبية بقرطبة بقدر كبير خاصة لدى الشاعر ابن زيدون..

(٣) مصطفى الشكعة: صور من الادب الاندلسى، ص ١١٨.

(٤) المقرى : نفح الطيب، حـ٦، ص ٢٣، ٢٣.

(٥) مصطفى الشكعة: المرجع السابق، ص ٢٠.

(٦) لطفى عبد البديع: الاسلام فى أسبانيا، ص ٧٣.

الدراسات اللغوية تعتمد على ما نقله الاندلسيون فى رحلاتهم إلى المشرق من مصنفات علماء اللغة المشارقة امثال سيبوية والكسائى وابو على القالى[١] فقد ادخل جودى بن عثمان العبسى(ت١٩٨هـ) فى الاندلس كتاب الكسائى بعد عودته من المشرق[٢]، ومنذ ذلك الحين اخذت تظهر بعض التواليف فى النحو، فكتب جودى بن عثمان كتابا فى النحو بعنوان «منبه الحجارة» [٣]، كما ألف أبوبكر بن القوطية (ت ٣٦٧هـ)، مصنفين هامين احدهما كتاب «تصاريف الافعال» والثانى «كتاب المقصود والمحدود[٤]» ومن كبار علماء النحو فى الاندلس محمد بن الحسن الزبيدى الذى كان واحد عصره فى علم النحو وحفظ اللغة[٥]، الف فى النحو كتابا سماه «الواضح»، واختصر كتاب«العين»، وله فى اخبار النحويين كتابامشهوره[٦].

وفى عصر ملوك الطوائف، ظهر عدد كبير من كبار علماء النحو واللغة فى الاندلس، وساهمت المرية بعدد كبير من علمائها فى اللغة فى هذه الحركة العلمية ومن النحويين، ابو الحسن سليمان بن محمد بن الطراوة نحوى المرية، الذى فاق زملاءة، وصفه ابن بشكوال بقوله : «لم يكن بها (أى المرية) فى هذه الصناعة مثله، وله الذكر السائر فى الافاق[٧]، ولابن الطراوه ايضا من التقييدات فى النحو ما هو مشهور[٨].

كما برز محمد بن أحمد بن عبد الله النحوى ويعرف بابن اللجاش، عالما بالاصول والنحو، ومن تواليفه اختصار فى كتاب ابى جعفر الطبرى فى تفسير القرآن (ت ٤٩٠هـ)[٩] ومنهم ايضا العالم أبو عبد الله محمد بن معمر بن أخت

(١) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ مدينة الاسلامية ، ١٨٠.

(٢) لطفى عبدالبديع : المرجع السابق، ص ٧٣.

(٣) ابن سعيد: المغرب، حـ١، ص١١٣.

(٤) ابن الفرضى : تاريخ علماء الاندلس ، القسم الثانى، ص ٧٦، «ترجمة ١٣١٨»، الضبى : بغية الملتمس، ص ٥١٩، ترجمة (١٥١٩».

(٥) ابن الفرضى : المصدر السابق، القسم الثانى، ص ٨٩، ص٩٠، «ترجمة ١٣٥٧».

(٦) الضبى : بغية الملتمس، ص ٦٦ «ترجمة ٦٠»، المقرى : نفح الطيب حـ٤، ص ٧٤، ٧٥.

(٧) ابن سعيد : المغرب، حـ٢، ص ٣٠٨، المقرى المصدر السابق، حـ٤، ص ٣٥٥.

(٨) المقرى : نفس المصدر، حـ٤، ص ١٧٥.

(٩) ابن بشكوال: كتاب الصله، جـ٢، ص٥٦٣، «ترجمة ١٢٣».

غانم الذى برز فى عصر المعتصم بن صمادح [1] وممن استوطن المرية من علماء اللغة ايضا محمد بن نعمه الاسدى العابر القيروانى، «وكان معنيا بالعلم، عالما بالعبارة ،وجمع فيها كتبا»[2]. والفقيه احمد بن محمد بن اسود الغسانى(ت ٤٦٩ هـ)[3]، والفقيه محمد يبقى للخمى (ت ٤٨١ هـ)، وكان فقيها ذو علم بالخبر وعلم الاثر [4]، ومنهم ايضا الفقيه احمد بن رشيق التغلبى البجانى الاصل «وكان حافظا للفقه وشورر فى المرية، ونوظر عليه فى الفقه»[5]. والفقية احمد بن يحيى بن يحيى البجانى وكان من كبار فقهائها، وتولى أمر الفتيابها (ت ٤٧٢ هـ)[6].

ومن الوافدين على المرية زمن الفتنة، الفقيه احمد بن عفيف بن عبد الله بن مريوال بن جراح بن حاتم الاموى، وقدعنى بالفقه وعقد الوثائق والشروط، فقصد خيران العامرى الذى احسن وفادته واكرمه وقربه إليه لفضله وامانته، وقلده قضاءلورقه[7].

ثانيا: العلوم الدينية

كما اهتم أهل المريه بعلوم الادب واللغة، اهتموا بالعلوم الدينية فاولوها نصيبا كبيرا من رعايتهم، وصنفوا فيها الكتب، ومن كبار المحدثين فى المريه فى عصر الطوائف عيسى بن محمد بن عيسى الرعينى، ويعرف بابن صاحب الاحباس (ت ٤٧٠ هـ)، وكان من جله العلماء ورجال الادب، وتولى القضاء بالمرية[8]، ومنهم ايضا ابراهيم بن سعيد بن عثمان بن وردون النميرى (ت٤٧٩ هـ) الذى كان

(١) المقرى : المصدر الساق، حـ٤، ٣٦٧.

(٢) ابن بشكوال : المصدر السابق، حـ٢، ص٦٠٣، «ترجمة ١٣٢٣».

(٣) نفس المصدر، جـ١، ص٢٦٤، «ترجمة ١٣٥».

(٤) نفس المصدر، جـ٢، ص٥٥٥، «ترجمة ١٢١٨».

(٥) نفس المصدر، جـ١، ص٥٣، «ترجمة ١١٤».

(٦) نفس المصدر، جـ١، ص٦٥، «ترجمة ١٣٩».

(٧) نفس المصدر، جـ١، ص٣٨، ٣٩، «ترجمة ٧٥»، أنخل جو نثالث بالنثيا تاريخ الفكر الاندلسى، ص٤٢٣.

(٨) نفس المصدر ، حـ٢، ص ٤٣٧، «ترجمة ٩٣٩».

معتنيا بالعلم والرواية [١]، ومحمد بن خلف بن سعيد بن وهيب، المعروف بابن المرابط (ت٤٨٥هـ)، وكان من اهل العلم والرواية [٢].

ومن علماء التفسير المهلب بن احمد بن اسيد ابى صفره الاسدى (ت٤٣٠هـ) وواضح أنه ينتسب إلى بيت المهلب بن ابى صفره، وله كتاب فى شرح البخارى اخذه الناس عنه وولى قضاء المرية[٣]، والفقيه محمد بن سعدون ابن على بن على بن بلال القروى، وكان عالما بالاصول والفروع، وكتب الحديث بمكه ومصر القيروان[٤]، وحجاج بن قاسم بن محمد بن هشام الرعينى وكان مشاوراً بالمرية[٥]، وظاهر بن هشام بن ظاهر الازدى، وكان مغتيا بالمريه[٦]، والمحدث خلف بن احمد جعفر الجراوى، «وكان معتنيا بالعلم والرواية، وتولى الخطبه بالمريه»[٧].

ثالثا: علم الجغرافيا

بدأ الاهتمام بالتأليف فى الجغرافيا عند الاندلسيين فى عصر الخلافة[٨]، وقد لقى اهتماما خاصا منهم، نظرا لانقطاعهم عن العالم الاسلامى، واحتكاكهم بالعالم الاوربى، ما اوجب عليهم ان يعرفوا مسالكه الموصله إلى بلادهم بالاضافة إلى طبيعته الجغرافيه وسكانه[٩].

وفى عصر ملوك الطوائف ظهر اول مؤلف جغرافى اندلسى ذو قيمة عظيمة وهو المسمى «المسالك والممالك» لابى عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكرى (٤٣٢/ ٤٨٧هـ، ١٠٤٠ - ١٠٩٤م)[١٠].

---

(١) ابن بشكوال: المصدر السابق، جـ١، ص٩٦، «ترجمة ٢١٧».

(٢) نفس المصدر، جـ١، ص٥٥٧، ٥٥٨، «ترجمة ١٢٢٤».

(٣) نفس المصدر، جـ٢، ص ٦٢٦، ٦٢٧، «ترجمة ١٣٧٩».

(٤) نفس المصدر. جـ٢، ص٦٠٢، ٦٠٣، «ترجمة ١٣٢٣».

(٥) نفس المصدر، جـ١، ص١٥٢، «ترجمة ٢٤٠»، الصبى: بغية الملتمس، ص٢٨٥ «ترجمة ٦٩٠».

(٦) نفس المصدر: المصدر السابق، جـ١، ص٢٤٠، «ترجمة ٥٤٥».

(٧) نفس المصدر، جـ١، ص١٧١، «ترجمة ٣٨٩»

(٨) أنخل جو نثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الاندلسى، ص٣٠٩.

(٩) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ص٢٠٠.

(١٠) أنخل جو نثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص٣٠٩.

وكثر التأليف فى الجغرافيا فى هذا العصر فظهر جمهور كبير من الجغرافيين الاندلسيين وشاركت المريه بنصيب وافر فى هذه الحركة العلمية، ويكفيها فخرا ان ينسب اليها جغرافى عظيم جليل الشأن وهو العذرى المعروف بابن الدلائى(١). وينتسب العذرى الى بنى عذره، وكان اثنين من اجدداه وهما زغيبه بن قطبه وياسين بن يحيى قد تولا قرية فى صدر الدولة الاموية بالاندلس(٢)، ومن ثم عرف بابن الدلائى نسبة إلى دلاية.

ولد العذرى فى المريه فى سنة ٣٩٣هـ (١٠٠١م)، وعندما بلغ الرابعة عشر من عمره أى فى سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م رحل مع والديه إلى المشرق ووصلوا إلى مكه فى سنة ٤٠٨هـ (١٠١٧م)، وجاوروا اعواما بها، وسمع الكثير من شيوخها ومنهم الشيخ ابى العباس الرازى، والشيخ ابو ذر عبد بن احمد الهرمرى وعليه سمع صحيح البخارى كما سمع على الكثير من القادمين اليها من أهل الرواية والحفظ من أهل العراق رخراسان والشام(٣). ورحل عن مكه فى سنة ٤١٦ هـ (١٠٢٥م).

ومما لاشك فيه، ان هذه النشأة الدينيه كان لها عظيم الأثر فى اهتمامات العذرى العلمية، فان كنا نعرف العذرى مؤلفا جغرافيا فقد وجه جل اهتمامه بعلم الحديث «بل ان عنايته بالحديث تنهض فى المقام الأول على اقراء امهات كتب الحديث وخاصة الصحيحين(٤)، ومن تواليفه فى هذا المجال «فهرسه شيوخه» وكتاب « انفضاض ابكار اوائل الاخبار»(٥)، وقد أورد ياقوت الحموى اسم كتاب له بعنوان «اعلام النبوه»(٦).

(١) هو أحمد بن عمر بن أنس بن دلهاث بن انسى بن فلذان بن عمر ان بن منيب بن زغيبه بن قطبه العذرى، ويعرف بابن الدلائى، ويكنى أبا العباس (راجع الحميدى جذره المقتبس، ص١٣٦، ترجمة ٢٣٦).

(٢) العذرى: ترصيع الاخبار، ص٩٥، دلايه: هى من اعمال المريه، تقع فى جنوب شرق برجه بمسافه تسعة كيلو مترات، (راجع: الحميرى: الروض المعطار، الترجمة الفرنسيه ص٦٦، مادة دلايه رقم ٧٥، وهامش نفس المصدر رقم ٣).

(٣) ابن بشكوال، كتاب الصله، جـ١، ص٦٧، «ترجمة ١٤١».

(٤) العذرى: المصدر السابق، ص د من مقدمة تحقيق.

(٥) نفس المصدر والصفحة.

(٦) معجم البلدان، المجلد، الخامس، ص١١٩.

والجدير بالذكر ان كتب التراجم[1]، قد خلت من أى اشارة إلى اهتمام العذرى بالتأليف فى الجغرافيا، ولم تسم له كتابا فى هذا المجال. أما الذين أشاروا إلى مصنفه فى الجغرافيه، فهم الجغرافيون القدامى بالاندلس، فقد ذكره البكرى فى «المسالك والممالك»، كما ذكره الادريسى فى مقدمه كتاب «نزهه المشتاق فى اختراق الافاق» وابن عبد المنعم الحميرى فى «الروض المعطار فى خبر الاقطار»[2]، كذلك ذكره ياقوت الحموى – وهو مشرقى – فى معجم البلدان، وأشار الى كتابه «نظام المرجان فى المسالك والممالك»[3].

وكتاب «ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك»، الذى صنفه العذرى واستحسنه جغرافيو الاندلس فقد معظمه ولم يتبق منه الا جزء مخطوط عنوانه : «السفر السابع من ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك اليس جميع الممالك» وقام بتحقيقه الاستاذ الدكتور عبد العزيز الاهوانى (مدريد ١٩٦٥)، ويذكر المحقق فى مقدمة له أن هذا «الجزء الذى وصل الينا لا يتجاوز عشر الكتاب غالبا»[4].

ويتضمن هذا الجزء وصفا جغرافيا ضمنه المؤلف أشارت تاريخية للمواضع التى تعرض لها فى كور تدمير، وبلنسيه، وسرقسطه، واشبيلية، ولبله وشذونه والجزيرة الخضراء وقرطبه، استند فيها على روايات احمد بن محمد الرازى وابنه عيسى مع تكملة الاخبار إلى ايامه[5].

وقسم العذرى هذا الجزء – الذى بين ايدينا – إلى اقسام، كل قسم تناول كوره من كور الاندلس[6]، ثم يتلو ذلك ذكر الطريق من قاعدة الكوره السابقة إلى قاعدة الكوره التى يتحدث عنها، ووصفه للطريق على أساس المحلات أو على اساس

(١) الحميدى: جذوه المقتبس، ص١٣٦، «ترجمه ٢٣٦»، ابن بشكوال: الصله جـ١ ص٦٦ «ترجمة ١٤١»، الضبى: بغيه الملتمس، ص١٩٥، «ترجمة ٤٤٦».

(٢) حسين مؤنس: الجغرافيه والجغرافيون فى الاندلس، (صحيفه معهد الدراسات الاسلاميه فى مدريد) المجلدان السابع والثامن، مدريد ١٩٥٩/ ١٩٦٠ ص٢٧٩.

(٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، المجلد الخامس، ص١١٩.

(٤) العذرى: ترصيع الاخبار، ص أ من مقدمه المحقق.

(٥) حسين مؤنس: الجغرافيه والجغرافيين فى الاندلس،٢٨٠.

(٦) ترصيع الاخبار، راجع صفحات ارقام ١، ١٧، ٢١، ٨١، ٩٥، ١١٧، ١٢١.

الاميال أو الفراسخ[1]. ثم يتكلم العذرى عن المدن التابعة للكورة ويعددها واحدة واحدة[2]، معتمدا فى ذلك على ما نقله من احمد الرازى أولا، ثم يضيف من عنده تفصيلات هامة ان دلت على شئ فأنما تدل على اطلاع ومعرفة ومشاهدة[3] ثم يتحدث عن الاقاليم التابعة لكل كورة وأعمالها وفى خلال حديثه عن الكورة نجده يمدنا بتفاصيل تاريخية عن هذه الكوره[4].

والكتاب يعتبر من أهم ما صنف فى الجغرافية الاندلسيه حتى الان، سواء من حيث المادة التى ضمنها اياه مؤلفه، هذا بجانب دقته فى التحديد وضبطه فى رسم الاعلام[5]. ومن الجدير بالذكر، أن نقرر أن العذرى قد اتبع منهجا علميا، حيث أنه بدأ مما حيث انتهى عنده احمد الرازى، فسعى بقدر امكانه الى اضافة تفاصيل جديدة إلى وصف شبه الجزيرة واذا كان الوصف الدقيق لجغرافيه الرازى انها من طراز البلدان، فان جغرافيه العذرى تضمنت بجانب دراسه البلدان المسالك والممالك فى دراسة وصفية علمية دقيقة[6].

وتوفى العذرى فى سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥م)، ودفن بمقبره الحوض بالمريه وصلى عليه ابنه أنس بتقديم المعتصم بالله محمد بن صمادح[7].

---

(١) العذرى : المصدر السابق، راجع صفحات ارقام ٣، ١٧، ١٩، ٢١، ١٠٨، ١١٠، ١١٧.

(٢) نفس المصدر، راجع صفحاته ارقام ١٠، ٢٠، ٣٢، ٢٤، ٥٥، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ١٠٩، ١١١، ١٢٠، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧.

(٣) نفس المصدر، راجع مثلا عن مدينة بلنسيه ص١٧، ١٨ وكذلك عن مدن شاطبه وجزر شقر ص١٨، ٢٠، انظر ايضا مؤنس، المرجع السابق، ص٢٨١.

(٤) نفس المرجع، ص ٢٩٢.

(٥) نفس المرجع، ص٢٨٧.

(٦) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص٢٩٠.

(٧) ابن بشكوال: كتاب الصله: جـ١، ص٦٧، الضبى: بغيه الملتمس، ص١٩٧ أما ياقوت الحموى، فقال أنه توفى فى سنة ٤٧٦هـ وقيل ٤٧٨هـ ببلنسيه (معجم البلدان، جـ٥، ص١٦٩)، ولكن الارجح هو ما ذكره ابن بشكول، (كتاب الصله جـ١، ص٦٧).

الخاتمـــــــة

خاتمـــة

ونصل في نهاية هذا البحث إلى عدد من الحقائق اسفرت عنها دراستي الطويلة للمريه الإسلامية منها : ان حركة بناء المدن في الأندلس نشطت نشاطاً واضحاً فى العصر الأموى، وكانت المريه احدى ثمراتها . وعلى الرغم من ان المريه مدينة اسلامية البنيان تم بناؤها في سنة ٣٤٤ هـ فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر إلا انها شغلت موضعاً عمرانياً قديماً، فقد استدل الباحثون من الحفريات الأثرية على ان المريه اقيمت على اسس فينيقية قديمة عرفت بإسم باستولس، والموضع القديم المذكور كان معروفاً فى العصر الإسلامى الأول قبل ان يشرع المسلمون فى تأسيس المرية بزمن طويل، وفيه اسس البحريون حصناً أو رباطاً اتخذوه مرأى ومحرساً، فأطلق علي الموضع كلمة اسم مرية بجانه، وظلت هذه التسمية مركبة إلى ان اكتفت المدينة المحدثة بالشطر الأول من الأسم المركب بعد ان مصرها عبد الرحمن الناصر .

وإذا امعنا النظر فى خريطة الأندلس باحثين عن موقع المرية، فاننا نلاحظ انها حظيت بموقع ممتاز فى جنوب شرق شبه جزيرة ايبريا فهى تطل على خليج شديد الإتساع والعمق يتميز بهدوء مياهه وقلة امواجه، كما يتميز بحصانته ومنعته، فحول البؤرة العمرانية التى تندرج فى الإرتفاع نحو جبل ليهم والخندق تتناثر حصون وقلاع تزيدها حصانة ومنعه، ولم تكن المرية حتى أوائل القرن الرابع الهجرى سوى رباط للجهاد، ولم تظهر اهميتها كميناء وقاعدة بحرية للأسطول الأندلسى إلا من عام ٣٢٨ هـ، عندما عين الخليفة الناصر أول والى من قبلة على بجانه فأخذ هذا الوالى من ميناء المرية منطقة لعملياته البحرية، ثم فطن الناصر إلى أهمية موقعها وما يتميز به من مزايا، فأمر ببنائها وادار حولها سوراً محفوظاً من العدو بالحراس والسمار وجعلها حاضرة الاقليم المحيط بها، واسند ولايتها إلى ولاه يقيمون فى قصبتها وتضاف إليهم بجانه الحاقا وتمضى السنون ويكتشف الحكم المستنصر أكثر من أبيه اهمية موقع المرية بالنسبة للساحل الجنوبى الشرقى، فيشرع فى دعمها ويتخذها قاعدة بحرية تضم معظم قطع الأسطول الخلافى وذلك لمواجهة الخطر النورمانى والفاطمى، وفى عهد خلفه هشام المؤيد يواصل حاجبه محمد بن عبد الله بن أبى عامر الإهتمام بالأسطول الأندلسى، ويستعن بهذا الأسطول فى نقل قواته ومعداته إلى العدوة المغربية للإحتفاظ بسلطان الأمويين هناك . وهكذا ظهرت اهمية قاعدة المرية البحرية ظهور ذا خطر زمن الخلافة الأموية

فى الأندلس، وظلت تحتفظ بأهميتها بعد ذلك زمن دويلات الطوائف فتألقت المرية وتبوأت المركز الأول بين قواعد الأسطول الأندلسى خاصة فى عهد المعتصم بن صمادح الذى وجه جل عنايته باسطوله .

ومن الناحية الإستراتيجية لعبت المرية دوراً هاماً إبان أحداث المرحلة الأخيرة من الخلافة الأموية فى الأندلس حتى استقلال بنى صمادح بحكمها فقد كانت بحكم حصانتها نقطة الإنطلاق العسكرى لقوى خيران العامرى وحلفائه، وقد ازداد مركز خيران قوة يوماً بعد يوم بسبب انتزائه بها وإتخاذها مركزاً لنشاطه السياسى والعسكرى، وعندئذ أصبحت مطمعاً للطامعين وتناوبها المنتزون والثوار إلى أن استقر الحكم فى النهاية فى بيت صمادح برضاء أهلها .

ولما كانت المرية قاعدة بحرية وعسكرية فى آن واحد فقد اسندت رئاستها إلى قائد البحر محمد بن رماحس الذى ظل فى منصبه إلى أن قضى عليه المنصور فى عام ٣٦٩ هـ، ومما تجدر الإشارة إليه أن المصادر العربية لم تمدنا بولاة المرية منذ مقتل محمد بن رماحس حتى عام ٣٧٣ هـ ومع ذلك فقد تمكنت بفضل ما أورده العذرى من أخبار أن اضع جدولاً لولاة المرية من بعده حتى عام ٤٠٠ هـ، واستنتجت من هذا الجدول أن سياسية الخلافة الأموية انذاك كانت تقضى بان يتولى المدن الواقعة فى مناطق الثغور وقواد عسكريون - كابن الرماحس نفسه - نظراً لأهمية المرية بإعتبارها قاعدة للأسطول الأندلسى على البحر المتوسط واستمرت المرية يحكمها ولاه من قبل الحكومة المركزية بقرطبة إلى أن سقطت الدولة العامرية، وضعف نفوذ الخلافة الأموية مما ترتب عليه اشتعال نار الفتنة وقيام دويلات الطوائف، فانتزى الرؤساء والقواد والولاه على اختلاف اجناسهم فى سائر انحاء الأندلس، واقتسموا خططها واستبد كل منهم بحكم ما تغلب عليه من النواحى، وفى خضم هذا الصراع انتزى خيران العامرى بالمرية وكان - من جلة فتيان المنصوربن أبى عامر الصقالبة وقد نال خيران فى عهد هشام المؤيد مكانه رفيعه مكنته من رئاسة الصقالبه وقيادتهم والمشاركة فى جماعة الفحول النائين عن الدولة - بعد أن تغلب على مدينة مرسية عام ٤٠٣ هـ واستولى على كل أقاليم كورة تدمير، ودانت له المرية بعد تغلبه على افلح الصقلبى عام ٤٠٥ هـ، ومن ثم اصبحت المرية قاعدتة الرئيسية فجلب إليها أموالة وعدته واستوزر ابا جعفر احمد بن عباس بن أبى زكريا ليعاونه فى تدبير شئونه المملكة .

ولم يفتنى ان ابرز دور خيران العامرى فى احداث قرطبة وكيف انه لبى دعوة

علی بن حمود القائم بسبتة ومساندته له عسكرياً ضد الخليفة المستعين بقرطبة، وكان من أثر هذا التحالف انتصار على بن حمود ودخول قرطبة فى عام ٤٠٧ هـ لكن خيران الذى كان طامعاً أن يجد مولاه هشاماً حياً لم يلبث أن أصيب بخيبة أمل عندما اتضح له حقيقة موت هشام فندم على ما بذله لابن حمود من عون، واظهر خلافه بعد ان غادر قرطبة على الفور إلى شرق الأندلس، وعمد إلى تنصيب خليفه من أعقاب بنى اميه سنة ٤٠٧ هـ لقبه بالمرتضى . وأوضحت كيف عزم خيران على فتح قرطبة بعد ان انضم إليه منذر التجيبى صاحب بعد سرقسطه وعدد من فرسان الفرنجه، وكيف أجمع المتحالفون على خذلان المرتضى بعد أن أشاروا عليه أولاً بمهاجمة بربر غرناطه قبل سيرهم إلى قرطبة، وقيام خيران بمكاتبة ابن زيرى الصنهاجى وإتفاقه معه على الغدر بالمرتضى ولما هاجم المرتضى بجيشه بربر غرناطه تخلى منذر وخيران عنه وانسحبا من المعركة فحلت به الهزيمة وأطيح بالمرتضى الذى سقط صريعاً فى سنة ٤٠٩ هـ، وقد انتهيت إلى أن خيران تدخل فى الأحداث السياسية بقرطبة عدة مرات. ثم تعرضت لعلاقات المرية فى عهده مع جاراتها بشرق الاندلس وبينت كيف أن الحسد يدفع مجاهد العامرى إلى الإعتداء بجيوشه وأساطيله على المرية، فقط طمع مجاهد فى أن يطرد خيران منها وأن يستولى عليها وأن يضمها إلى مناطق نفوذة لكنه باء بالفشل. كما تعرضت للعلاقات العدائية بين خيران وجيرانه البربر اصحاب غرناطة، ولم نعثر فى المصادر التى بين ايدينا ما يلقى مزيداً من الضوء على هذه العلاقات، ومع ذلك فقد رجحت أن سياسة المصلحة كانت الهدف الأول الذى كان يوجه خيران العامرى فى كل تحركاته، مع ما تميز به أيضاً من مكر ودهاء وشجاعة وأقدام وحسن دبير حتى بلغت مملكة المرية فى عهده اقصى اتساع لها فقد كانت تحدها شرقاً المنطقة الممتدة من الساحل الأسبانى الجنوبى الشرقى ومن وجهة الغرب حتى وادى آش وحدود مملكة غرناطة ومن ناحية الشمال حتى بسطة وجيان هذا بالإضافة إلى أوريولة ومرسيه، وهذه الإنطلاقة الخارجية لم تأت من فراغ بل انعكاساً لسياسته الخارجية الناجحة جنت ثمارها المرية فأصبحت من أهم مدن الأندلس لما اتسم به عصره من تشييد وإصلاح .

ثم أوضحت كيف أن المرية واصلت ازدهارها فى عهد زهير الذى جرى على سياسة سلفة وسعى إلى اصطناع سياسة خارجية استهدف من ورائها المحافظة على املاكه ودعم قوته وادت به فى بعض الأحيان إلى مواجهة خصومه ومنازلتهم، بل

اضطرته احيانا أخرى إلى أن يتغلب على حلفائةبنى حبوس بن ماكسن أصحاب غرناطة وقيامه بحمله على غرناطة إنتهت بهزيمته ومصرعه وبمصرعه تفقد المرية أكبر قواعدها الشمالية مدينة جيان التى دخلت فى أعمال غرناطة، وتنتهى فترة ولاية الصقالبة على المرية . وتبدأ منذ ذلك الحين رقعة المملكة فى الإنكماش فأخذت أملاكها البعيدة تخرج من حوزتها تدريجياً، ويقوم بأمر المرية من بعده شيخها أبو بكر الرميمى فقام بإدارة شئون المرية وضبط الأمن والنظام بها، إلى أن كاتب أهلها عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول بن أبى عامر ببلنسيه الذى قدم إلى المرية وضمها إلى أعماله فى عام٤٢٩ هـ غير أن العلاقات بينه وبين مجاهد العامرى سرعان ماتوترت فخرج عبد العزيز إلى بلنسيه مبادراً لإستصلاح مجاهد وولى على المرية ابنه عبد الله فى عام ٤٣٠ هـ واستوزر له ذا الوزارتين ابا الأحوص معن بن محمد بن صمادح فاستغل معن ابن صمادح فرصة غياب المنصور وموت ابنه عبد الله ودعا لنفسه وانتزى بالمرية فى عام ٤٣٣ هـ، بذلك يبدأ عهد جديد فى حكم المرية تحت أسرة بنى صمادح .

ومما لا شك فيه أنه بفضل علاقات الصداقة والمودة التى جمعت بين معن وباديس صاحب غرناطة استقامت الأمور لأبى الأحوص بن صمادح ودانت لورقة وبباسة وجيان وغيرها، لما عرف عن معن بن صمادح من الدهاء بجانب ما كان يتمتع به من العلم والثقافة والأدب، فاستقرت الأحوال بالمرية ونعمت بالهدوء، وهو لذلك يعتبر المؤسس الحقيقى لدولة بنى صمادح فى المرية، فقد اقام على حكمها زهاء عشر سنوات إلى أن توفى فى عام ٤٤٣ هـ و خلفه ابنه أبو يحيى محمد الملقب بالمعتصم الذى اسندت إليه مقاليد الأمور بالمرية وهو حدث لم يبلغ الرشد بعد، مما كان له أثره العميق فى ضعف الحكومة وتجرأ النواحى على الانفصال، وبالتالى فى انكماش رقعة المملكة فقد كان من الطبيعى أن يستغل الولاه من قبله فرصة ضعفه ويثورون عليه وأهم هؤلاء الثوار ابن شبيب عامل أبيه على لورقة وبفضل تحالف الأخير مع المنصور بن عبد العزيز ابن أبى عامر صاحب بلنسيه لم يتمكن المعتصم من استرجاع لورقة رغم مساندة باديس صاحب غرناطة له وإذا عرفنا أن المعتصم أيضاً قد فشل فى الإستيلاء على حصن من عمل تدمير رغم مساعدة حليفه باديس له، فان دلالة ذلك هى عدم خبرة المعتصم الحربية وبالتالى انعكاس ذلك على قوة الاماره وما ترتب على ذلك من انحسار اقاليمها وإنكماش رقعتها والأحداث التالية خير شاهد على ذلك وأول مظاهر الوهن أن

العلاقات الودية التي كانت تربط بين المرية وغرناطة لم تلبث ان انقلبت إلى علاقات عدائية، إما لأن المعتصم كان أندلسياً يكره البربر ويتعصب للأندلسيين أو بسبب تطلع ابن صمادح إلى الإستلاء على غرناطة ذاتها وضم أملاكها إليه، أو ربما بسبب الدور الذى لعبه يوسف بن نغرالة اليهودى وزير باديس الذى اسر إلى ابن صمادح بذلك حتى خرج بقواته واستطاع الاستيلاء على بعض اراضى من أعمال غرناطة الشرقية وعلى حصن وادى آش، واغارت بعوثه على غرناطة، ومع أن العلاقات بين الدولتين لم تلبث أن عادت إلى حالتها الأولى إلا أن ذلك كان لفترة وجيزه فمجرد وفاة باديس وتولى حفيده عبد الله بن بلقين اماره غرناطة وقعت منازعات كثيرة بينهما اعتقد أن مردها كراهية المعتصم العميقة للبربر واضطراره فى بعض الأحيان إلى مهادنتهم لسياسة المصلحة وحصاً على أملاكه فقط .

كذلك تعرضت للحديث عن علاقات المعتصم بالمعتمدبن عياد صاحب أشبيلية وبينت أنها علاقات عدائية وأن تأزم العلاقات وتوترها بين الدولتين انتهى إلى قيام المعتمد بغزو المرية، ومع ذلك فقد استطاع المعتصم بدهائه ان يسوى هذه الخلافات والإجتماع بالمعتمد على حدود اشبيليه والمريه وتم الصلح بينهما .

وبوجه عام توصلت لى النتيجة بأنه على الرغم من فشل سياسه المعتصم الخارجية بحيث أدت إلى انكماش رقعة مملكته، فأن المرية شهدت إزدهاراً كبيراً فى شتى النواحى شملت الجوانب العمرانية والأدبية وغيرها .

ثم اختتمت القسم التاريخى من الرسالة بتوضيح الأسباب التى أدت إلى دخول المرابطين مسرح الأحداث بالأندلس، وبينت سياسة المعتصم نحو المرابطين وسعيه على التقرب إلى اميرهم، ثم تحدثت عن الجواز الثالث لابن تاشفين إلى الأندلس وعزمه على اسقاط ملوك الطوائف عن عروشهم توحيداً للجبهة الإسلامية وتجنباً للتفكك السياسى والعسكرى واهتممت بتصوير النهاية الأليمة لبنى صمادح فى المرية قبيل فرار معز الدولة بن صمادح إلى الجزائر .

ثم بدأت دراسة الجانب الحضارى من الرسالة وتوصلت إلى عرض صورة واضحة بقدر الإمكان عن تطور الحياة العمرانية فى المرية منذ نشأتها حتى دخولها فى ملك دولة المرابطين وكيف أن هذا العمران الذى ظهر بادئ ذى بدء مجرد بقعة عمرانية صغية الحجم لم يلبث أن اتسع بالتدريج بفضل ازدهار المدينة واستقرار الأوضاع بها وكثرة الوافدين إليها من مختلف أنحاء الأندلس ففاض غرباً وشرقاً

فشمل ربض المصلى والحوض، ثم تطرقت إلى الحديث عن الأثار الباقية بمختلف أنواعها، وحاولت أن أعرض الصورة العامة الشاملة للمرية من خلال هذه الأثار الباقية ودور الأمراء والملوك فى تمصير المرية وزيادة عمرانها بمنشآتهم المتنوعة من قصور ومساجد وقلاع واسوار، كما حاولت أن أخطط لنطاق المدينة الخارجى بأبوابها المختلفة وتطبيق ذلك كله على خريطة المرية الحديثة .

وبالنسبة للجانب الإقتصادى حاولت ابراز الإنتاج الزراعى والصناعى لمملكة المرية من خلال ما اعتمدت عليه من مصادر تاريخية وجغرافيه واهتممت بوجه خاص بالصناعات التى اشتهرت بها المرية واهمها على الاطلاق صناعة المنسوجات الحريرية التى طبقت شهرتها الآفاق، هذا إلى جانب صناعة التحف والأدوات الرخامية كالأحواض والبيلات واللوحات المنشورية الشكل وشواهد القبور بالمرية لتوافر الرخام الصقيلى المملوكى بها، هذا إلى جانب صناعات أخرى مثل صناعة استخراج الزيوت من الزيتون وصناعة الأدوات المعدنية والتحف المصنوعة من الزجاج.

أما التجارة فقد تحدثت عنها طويلاً لأهمية الموقع الجغرافى للمرية فى التحكم فى طرق التجارة فى الداخل والخارج والتحكم فى تصريف الفائض الداخلى للمحاصيل الزراعية والإنتاج الصناعى الأندلسى سواء إلى الغرب أو الشرق، إلى حد أنها وصفت بباب المشرق، وكيف ترتب على هذا النشاط التجارى الكبير اتخاذها سوقاً عالمية ومحلية كبيرة ساعدت على اجتذاب الوافدين إلى المريه واكتظاظها بالسكان .

ثم انتقلت إلى ابراز الجانب الفكرى من الدراسة الحضارية بألوانه المتعددة فأشرت إلى أن سياسة ملوك المريه وحكامها كانت خيراً على النهضة الفكرية التى شملت هذه المملكة منذ أن زال ظل الخلافة الأموية حتى دخول المرابطين الأندلس، فقد ساعد حكام المرية بعطاياهم الجزيله للشعراء على انتجاعها ونظم القصائد فى مديح هؤلاء الحكام وكيف تألقت العلوم والآداب فى حمى هؤلاء الكلوك فبرز العلماء من أهل المرية أو الوافدين ليها فى مختلف فروع المعرفة . وكان لهؤلاء أعظم الأثر فى دفع حركة التقدم الحضارى للمرية بوجه خاص، وللأندلس بوجه عام فى عصر الطرائف .

وهكذا استكملت صورة المرية فى العصر موضوع الكتاب تاريخها الحافل بالأحداث وتراثها الزاخر بالآثار الأدبية والمادية على السواء .

قائمة المخطوطات والمصادر والمراجع العربية والأجنبية

المخطوطـــات

١- ابن بسام (أبو الحسن على)، ت ٥٤٣هـ / ١١٤٧م،

الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، القسم الثالث، مخطوط بغداد.

٢- ابن حيان (أبو مروان) : ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٩م،

المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس، قطعة عن عهد عبد الرحمن الناصر ميكروفيلم رقم ٢٠٨، مودع بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة، عن مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم ٨٧.

٣- النويرى (محمد بن قاسم) : (ألفة سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٥م)،

مخطوطة الألمام بالأعلام فيما جرت به الاحكام المقضيه فى وقعة الاسكندرية، صورة شمسية محفوظه بمكتبة كلية الآداب جامعة الاسكندرية تحت رقم ٧٣٨م، عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة خدابخش تحت رقم ٢٣٣٥.

المصادر العربية القديمة

ابن الابار (أبو عبدالله محمد القضاعى)، ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م.

١- الحلة السيراء، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، الطبعة الأولى، جزئين، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٣.

٢- التكملة لكتاب الصله، جزئين، مطبعة الخانجى بمصر والمثنى ببغداد، ١٩٥٦.

٣- المعجم من أصحاب القاضى الأمام ابى عبد الله الصدفى، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧.

أبو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن محمد) :

٤- تقويم البلدان، تحقيق دى سلان، باريس ١٨٤٠.

ابن أبى زرع (أبى الحسن على عبد الله الفاسى) :

٥- الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المطبعة الفاسيه، ١٣٠٥م.

ابن الاثير (على بن أحمد) : ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م،

٦- الكامل فى التاريخ، جزء ٧، ٨، القاهرة ١٣٥٣ هـ.

الادريسى (الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز)، ت حوالى ٥٤٨ هـ / ١١٥٥م،

٧- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الافاق، تحقيق دى غوية ودوذى، ليدن، ١٨٦٤.

ابن بسام (ابو الحسن على) : ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٧م،

٨- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول من المجلد الأول، القاهرة، ١٩٣٩.

٩- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول من المجلد الثانى، القاهرة، ١٩٤٢.

١٠- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، القسم الرابع من المجلد الأول، القاهرة، ١٩٤٥.

١١- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، القسم الثانى من المجلد الأول، تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥.

ابن بشكوال (ابو القاسم خلف بن عبد الملك) : ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٣م،

١٢- كتاب الصله فى تاريخ أئمة الاندلس، جزئين - الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.

البكرى (أبو عبيد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م،

١٣- المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب، تحقيق البارون دى سلان، الطبعة الثانية، الجزائر، ١٩١١.

ابن بلقين (الامير عبد الله الزيرى)،

١٤- مذكرات الامير عبدالله، المسماه بكتاب التبيان، تحقيق الاستاذ ليفى بروفنسال دار المعارف، ص، ١٩٥٥.

ابن جبير (ابو الحسن محمد بن أحمد) : ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م،

١٥- رحلة ابن جبير، تحقيق وليم رايت، ليدن، ١٩٠٧.

ابن حزم (أبو محمد على) : ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م،

١٦- كتاب طوق الحمامة فى الالفة والآلاف، تحقيق بتروف، ليدن، ١٩١٤.

١٧- نقط العروس فى تواريخ الخلفاء، تحقيق الدكتور شوقى ضيف (مجلة كلية الآداب)، مطبعة جامعة القاهرة، ديسمبر ١٩٥١.

١٨- جمهرة انساب العرب، تحقيق الاستاذ ليفى بروفنسال، دار المعارف بمصر.

الحميدى (ابو عبد الله محمد بن فتوح) : ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م،

١٩- جذوه المقتبس فى ذكر رجال الاندلس، القاهرة، ١٩٦٦.

الحميرى (ابو عبد الله محمد بن عبد الله) : ت أواخر القرن التاسع الهجرى،

٢٠- كتاب الروض المعطار فى خبر الاقطار، تحقيق الاستاذ ليفى بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧.

٢١- مواد اندلسية جديدة من الروض المعطار لصلاح الدين المنجد، (مجلة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية)، المجلد الخامس - الجزء الأول القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م.

ابن حوقل (ابو القاسم) : ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م،

٢٢- كتاب صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت.

ابن حيان (ابو مروان) : ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٩م،

٢٣- المقتبس فى اخبار بلد الاندلس، قطعة نشرها الاب ملشور انطونيا، باريس، ١٩٣٧.

٢٤- المقتبس فى اخبار بلد الاندلس، قطعة نشرها الدكتور عبد الرحمن الحجى، بيروت، ١٩٦٥.

٢٥- المقتبس فى أخبار بلد الاندلس، قطعة نشرها الدكتور محمود على مكى، لجنة احياء التراث الاسلامى، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

ابن خاقان (ابو النصر الفتح بن محمد) : ت ٥٣٥هـ / ١١٣٤م،

٢٦- قلائد العقيان، طبعة مصر، ١٣٢٠ هـ.

ابن خرداذبه (ابو القاسم عبيد الله) : ت ٣٠٠هـ / ٩١٣م،

٢٧- المسالك والممالك، تحقيق دى غويه، ابريل ١٨٨٩، مكتبة المثنى بغداد.

ابن الخطيب (لسام الدين) : ت ٧٧٦هـ / ١٢٧٤م،

٢٨- أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، (الجزء الخاص بالاندلس)، تحقيق الاستاذ ليفى بروفنسال، الطبعة الثانية دار المكشوف بيروت، ١٩٥٦.

٢٩- أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، (القسم الخاص بالمغرب)، تحقيق الدكتور أحمد مختار العتبادى والاستاذ محمد ابراهيم الكتانى، دار الكتب بالدار البيضاء المغرب، ١٩٦٤.

٣٠- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب والاندلس (مجموعة رسائله) تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى، مطبعة جامعة الاسكندرية، ٥٨.

٣١- الاحاطة فى اخبار غرناطه، تحقيق الاستاذ محمد عبد الله عنان، جزءان دار المعارف بمصر، ١٩٥٥.

الخفاجى (شهاب الدين) :

٣٢- شفاء العليل فيما فى كلام العرب من الدخيل، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٢٥ هـ.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م،

٣٣- مقدمه العلامة ابن خلدون، المكتبة التجارية، مصر.

٣٤- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، جزء ٤، جزء ٧، بولاق ١٢٨٤هـ.

ابن خلكان (ابى العباس شمس الدين أحمد بن أحمد) : ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م،

٣٥- وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان، حققه الدكتور احسان عباس جزء ٧، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

ابن دراج القسطلى :

٣٦- ديوان ابن دراج القسطلى، نشر وتحقيق الدكتور محمود على مكى، دمشق، ١٩٦١.

ابن سعيد المغربى (على بن موسى):

٣٧- المغرب فى حلى المغرب، جزءان، تحقيق الدكتور شوقى ضيف دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣ - ١٩٥٥.

٣٨- كتاب الجغرافيا، الطبعة الأولى، تحقيق الاستاذ اسماعيل العربى منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠.

السقطى (ابو عبد الله محمد بن أبى محمد)،

٣٩- كتاب اداب الحسبه، تحقيق الاستاذ ليفى بروفنسال والاستاذ كولان، باريس ١٩٣١.

السلاوى (احمد بن خالد) : ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٠م،

٤٠- الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى، جزء ١، المطبعة البهيه المصرية، القاهرة، ١٣١٢هـ.

الضبى (احمد بن يحيى بن أحمد) : ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م،

٤١- بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الاندلس، دار الكاتب العربى، ١٩٦٧.

ابن عذارى (أبو عبيد الله محمد) : كان حيا ٧١٢هـ / ١٣١٢م،

٤٢- البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب، طبعة بيروت، الأول والثانى فى جزئين، دار الثقافة، بيروت - لبنان.

٤٣- البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب، الجزء الثالث، تحقيق الاستاذ ليفى بروفنسال، دار الثقافة، بيروت لبنان.

٤٤- البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب، قطعة تختص بعصر المرابطين فى المغرب والاندلس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧.

العذرى (ابو العباس أحمد بن عمر بن أنس) : المعروف بالدلائى، ت ٤٧٨هـ / ٩٨٨م،

٤٥- نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان، والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق الدكتور عبد العزيز الاهوانى، مدريد، ١٩٦٥.

العمرى (ابن فضل الله) : ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م،

٤٦- مسالك الابصار فى ممالك الامصار، الجزء الخاص بوصف أفريقية والاندلس، نشر الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب، تونس.

ابن غالب (الحافظ محمد بن أيوب) :

٤٧- قطعة من فرحة الانفس فى تاريخ الاندلس، تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع، (مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية) المجلد الأول، الجزء الثانى، نوفمبر، ١٩٥٥.

ابن الفرضى (ابو الوليد، عبد الله بن محمد بن يوسف الازدى) : ت ٤٠٣هـ / ١٠١٣م،

٤٨- تاريخ علماء الاندلس، نشر كوديره، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ١٩٦٦.

القلقشندى (ابو العباس أحمد) : ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م،

٤٩- صبح الاعشى فى صناعة الانشا، جزءه، دار الكتب المصرية ١٩١٣ - ١٩١٩.

ابن القوطية (ابو بكر محمد بن عمر القرطبى) :

٥٠- تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق دون خوليان ريبيرا، مدريد، ١٩٢٦.

ابن الكردبوس (ابو مروان عبد الملك) :

٥١- كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء، القسم الخاص بالاندلس، تحقيق الدكتور احمد مختار العبادى، (معهد الدراسات الاسلامية بمدريد)، ١٩٧٢.

المراكشى (عبد الواحد)،

٥٢- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق الاستاذ محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الاسلامى، القاهرة، ١٣٥٣هـ - ١٩٦٣م

المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد)،

٥٣- احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم، تحقيق دى غربه، ليدن، ١٩٠٦.

المسعودى (أبو الحسن بن الحسين بن على)،

٥٤- كتاب التنبيه والاشراف، نشر ذى غويه، مطبعة ابريل، ليدن ١٨٩٣.

المقريزى (تقى الدين احمد بن على بن عبد القادر بن محمد)،

٥٥- كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، جزء ٢، طبعة بولاق القاهرة، ١٢٧٠هـ.

المقرى (أحمد بن محمد) : ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م،

٥٦- نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب، تحقيق الشيخ محيى الدين عبد الحميد، عشرة اجزاء المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٤٩.

مؤلف مجهول:

٥٧- الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية والمنسوب خطأ للسان الدين بن الخطيب، الطبعة الأولى، مطبعة التقدم الاسلامية، تونس ١٣٢٩هـ.

٥٨- اخبار مجموعة فى فتح الاندلس، تحقيق دون لافونتى ألكنتره مدريد ١٨٦٧.

ياقوت الحموى (شهاب الدين ابى عبد الله) : ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م،

٥٩- معجم البلدان، المجلد الخامس، دار صادر بيروت، ١٩٥٧.

المراجع العربية الحديثة والكتب المعربة

١- ارسلان (الامير شكيب) : الحلل السندسية فى الاخبار والاثار الاندلسية، الطبعة الأولى، مطبعة الرحمانية، مصر ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦.

٢- امارى (ميخائيل) : المكتبة العربية الصقليه، نصوص فى التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع، مكتبه المثنى ببغداد، ليبسك، ١٨٥٧م.

٣- الاهوانى (دكتور عبد العزيز) : الفاظ مغربيه من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة (مجلة معهد المخطوطات العربية)، المجلد الثالث، ١٩٧٢.

٤- بالباس (توريس) : الفن المرابطى والموحدى، ترجمة الدكتور سيد غازى دار المعارف بمصر ١٩٧١.

٥- البرقوقى (عبد الرحمن) : حضارى العرب فى اسبانيا، مصر، ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م.

٦- بروفنسال (ليفى) : الاسلام فى المغرب والاندلس، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم والاستاذ محمد صلاح الدين حلمى القاهرة، ١٩٥٨.

٧- بالنثيا (انخل جو نثالث) : تاريخ الفكر الاندلسى، ترجمة الدكتور حسين مؤنس الطبعة الأولى، مكتبة النهضة، المصرية، القاهرة، ١٩٥٥.

٨- تشركوا (كليليا سارنلى) : مجاهد العامرى قائد الاسطول العربى فى غربى البحر المتوسط فى القرن الخامس الهجرى :
الطبعة الأولى لجنة البيان العربى، القاهرة، ١٩٦١.

٩- حسن (دكتور حسن ابراهيم) : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى جزء ٤، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٨.

١٠- دوزى (رينهارت) : ملوك الطوائف، ترجمة الاستاذ كامل كيلانى، مصر، ١٩٥١.

١١- الدورى (عبد العزيز) : تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجر طبعة بغداد، ١٩٤٨.

١٢- دياب (محمد) : تاريخ العرب فى اسبانيا، مصر ٣٣١ هـ / ١٩١٣م.

١٣- ديكى (جيمس) : ملاحظات عن فلاحة البساتين العربى فى الاندلس (تقرير عن نشاط معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد خلال شهر ديسمبر، ١٩٦٦.
١٤- زيدان (جورجى) : تاريخ التمدن الاسلامى، مراجعة وتعليق الدكتور حسين مؤنس، جزء ٤، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٨.
١٥- سالم (دكتور السيد عبد العزيز): تاريخ المسلمين واثارهم بالاندلس، دار المعارف، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.
١٦- ———— : تاريخ مدينة المرية الاسلامية، قاعدة اسطول الاندلس الطبعة الأولى، دار النهضة المصرية، بيروت، ١٩٦٦.
١٧- ———— : المغرب الكبير، الجزء الثانى، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦.
١٨- ———— : قرطبة حاضر الخلافة فى الاندلس، جزآن ودار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١ - ١٩٧٢.
١٩- ———— : التاريخ والمؤرخون، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، ١٩٦٧.
٢٠- ———— : المساجد والقصور بالاندلس، سلسلة أقرأ، ١٩٠، القاهرة، ١٩٠٨.
٢١- ———— : العمارة الاسلامية فى الاندلس وتطورها (علم الفكر)، المجلد الثامن، العدد الأول ابريل، مايو، يونيو ١٩٧٥، الكويت.
٢٢- ———— : تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى، الطبعة الثانية، دار المعارف، ١٩٦٩.
٢٣- ———— : مدينة مرسيه، موطن الشيخ الزاهد أبو العباس المرسى مطبوعات جمعية الاثار بالاسكندرية، ١٩٦٩.
٢٤- ———— : صور من المجتمع الاندلسى فى عصر الخلافة الاموية وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش المحفوره فى علب العاج.
٢٥- ———— : قصور بنى عباد باشبيلية الوارد ذكرها فى شعر ابن زيدون،

بحث فى العية ابن زيدون، (تحت الطبع).

٢٦- ــــــــــــ : والعبادى (دكتور أحمد مختار) البحرية فى المغرب والاندلس، بيروت، لبنان، ١٩٦٩.

٢٧- سرور (محمد جمال الدين) : سياسة الفاطمين الخارجية، دار الفكر العربى، ١٩٦٧.

٢٨- الشكعة (دكتور مصطفى) : صور من الأدب الاندلسى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١.

٢٩- الصوفى (دكتور خالد) : تاريخ العرب فى اسبانيا فى نهاية الخلافة الاموية، حلب، ١٩٦٣.

٣٠- الفاسى (محمد) : الاعلام الجغرافية الاندلسية، (مجلة البينه) العدد ٣، ١٩٦٢.

٣١- عاشور (دكتور سعيد عبد الفتاح): اوربا فى العصور الوسطى، جزء ١، القاهرة ١٩٦٦.

٣٢- عباده (عبد الفتاح) : سفن الاسطول الاسلامى وأنواعها ومعداتها، مطبعة الهلال بمصر ١٩١٣.

٣٣- العبادى (دكتور احمد مختار): دراسات فى تاريخ المغرب، والاندلس، الطبعة الأولى، الأسكندرية، ١٩٦٨.

٣٤- ــــــــــــ : سياسة الفاطمين نحو المغرب والاندلس (صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد، ١٩٥٧.

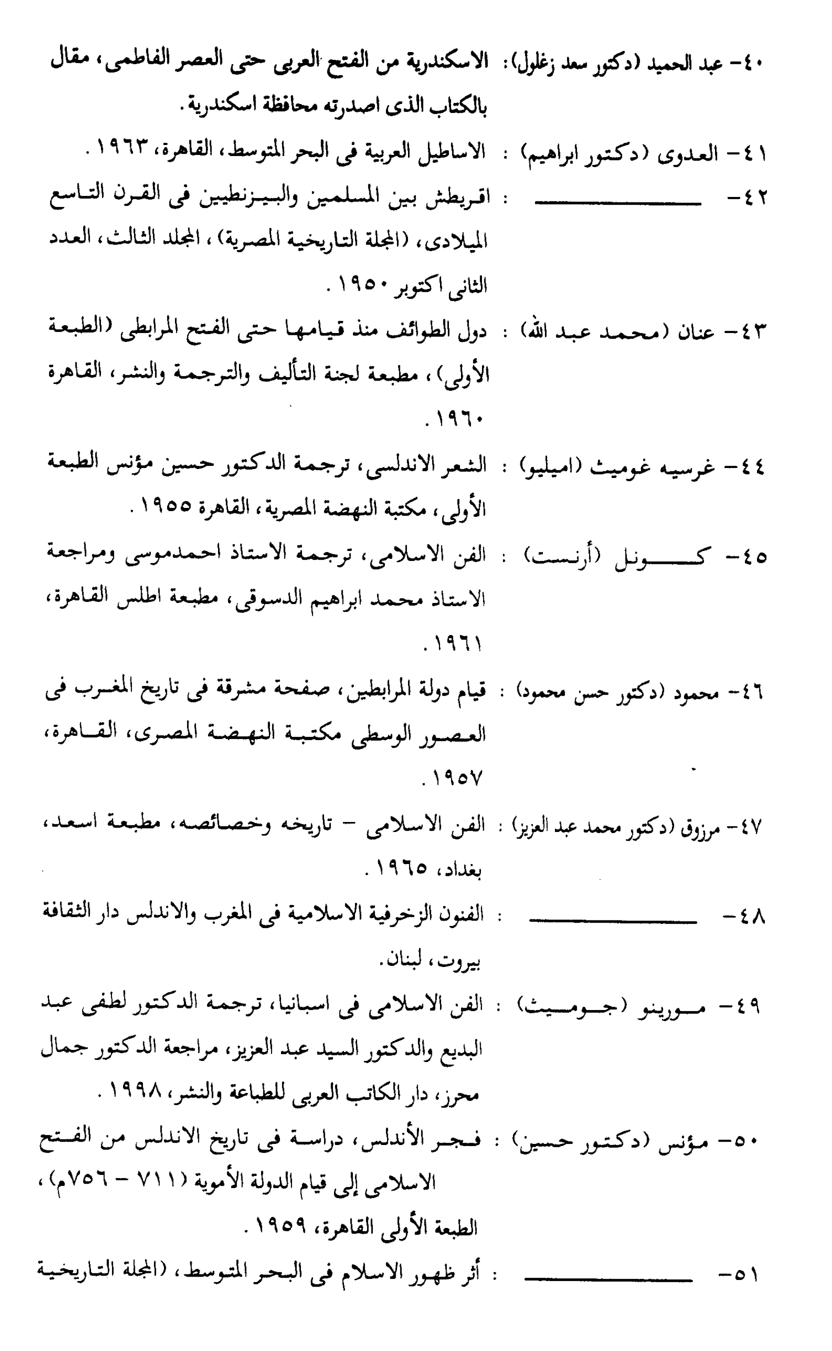
٣٥- ــــــــــــ : قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام دار النهضة المصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٦٩.

٣٦- ــــــــــــ : الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين (مجلة كلية الأداب بجامعة الاسكندرية) العدد الحادى والعشرون، مطبعة جامعة الاسكندرية، ١٩٦٨.

٣٧- ــــــــــــ : من التراث العربى الاسبانى نماذج لاهم المصادر العربية والحوليات الاسبانية التى تأثرت بها، (عالم الفكر) المجلد الثامن، العدد الأول ١٩٧٧، الكويت.

٣٨- عباس (دكتور احسان) : تاريخ الأدب الأندلسى، عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٠.

٣٩ - عبد البديع (دكتور لطفى): الأسلام فى اسبانيا، مكتبة النهضة العربية، ١٩٥٨.



٤٠- عبد الحميد (دكتور سعد زغلول): **الاسكندرية من الفتح العربى حتى العصر الفاطمى، مقال بالكتاب الذى اصدرته محافظة اسكندرية.**

٤١- العدوى (دكتور ابراهيم) : الاساطيل العربية فى البحر المتوسط، القاهرة، ١٩٦٣.

٤٢- ———— : اقريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى، (المجلة التاريخية المصرية)، المجلد الثالث، العدد الثانى اكتوبر ١٩٥٠.

٤٣- عنان (محمد عبد الله) : دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى (الطبعة الأولى)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٠.

٤٤- غرسيه غوميث (اميليو) : الشعر الاندلسى، ترجمة الدكتور حسين مؤنس الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٥.

٤٥- كـونل (أرنست) : الفن الاسلامى، ترجمة الاستاذ احمدموسى ومراجعة الاستاذ محمد ابراهيم الدسوقى، مطبعة اطلس القاهرة، ١٩٦١.

٤٦- محمود (دكتور حسن محمود) : قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة فى تاريخ المغرب فى العصور الوسطى مكتبة النهضة المصرى، القاهرة، ١٩٥٧.

٤٧- مرزوق (دكتور محمد عبد العزيز) : الفن الاسلامى - تاريخه وخصائصه، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٦٥.

٤٨- ———— : الفنون الزخرفية الاسلامية فى المغرب والاندلس دار الثقافة بيروت، لبنان.

٤٩- مورينو (جوميث) : الفن الاسلامى فى اسبانيا، ترجمة الدكتور لطفى عبد البديع والدكتور السيد عبد العزيز، مراجعة الدكتور جمال محرز، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، ١٩٩٨.

٥٠- مؤنس (دكتور حسين) : فجر الأندلس، دراسة فى تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامى إلى قيام الدولة الأموية (٧١١ - ٧٥٦م)، الطبعة الأولى القاهرة، ١٩٥٩.

٥١- ———— : أثر ظهور الاسلام فى البحر المتوسط، (المجلة التاريخية

المصرية) مايو ١٩٥٦.

٥٢- ———————— : الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس (مطبعة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد)، المجلدان السابع، والثامن مدريد، ١٩٥٩ / ١٩٦٠.

٥٣- ———————— : السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين (المجلة التاريخية المصرية)، المجلد الثالث والعدد الأول، مايو ١٩٥٠.

٥٤- النخيلى (درويش) : السفن الاسلامية على حروف المعجم، مطابع الاهرام ١٩٧٤.

٥٥- لويس (ارشيبالد) : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط، ترجمة الاستاذ أحمد محمد عيسى مراجعة وتقديم الاستاذ محمد شفيق غربال مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠.

مراجع باللغة الأجنبية

1- Abd Al-Karim Gamal : Referencias economicas de la Espana musulmana en la obra de Yaqa Al-Hamawi AMu' Yam Al Buldam", Homenaje al profesor Carraiazo, Sevilla 1973.

2- Berterand (Louis) The History of Spain, part I, London, 1934.

3-Dozy (R): Histoire des Musulmans D'Espagne, 3 tomes, Leyde, 1932.

4- ....: Recherches sur L'histoire de la litterature de L'Espagne pendant le Moyen Age, Vol. I, leyde, 1881.

5- .... : Supplement aux dictionnaires, Paris, 1927.

6- Enciclopedia de la cultura Espanola Editora Nacional, tomo I, Madrid 1963.

7- Encyelopaedia of Islam.

8- Ewert Christian : El mihrab de la Mezquita Mayor de Almeria, (Al - Andalus), XXXVI, 1971.

9- Heyd (W): Hisloire du commerce dn levant du Moyea-Age, 2 tomes, Leipzig, 1986.

10- Huici Miranda (Ambrioso): La invasion de los Almoravides y la batalla de zalaca (Hesperis), 1933.

11- Levi - Provençal (F): L'Espagne Musulmane aux Xéme siecle, Paris, 1932.

12- .... ' Histoire de L'Espagne Musulmane, 3 tomes, Paris Leiden, 1950.

13- .... Inscription Arabes D'Espagne, 2 tomes, Leyde, Paris, Mc MXXXI, 1931.

14- .... La description de L'Espagne d'Ahmed Al-Razi, (Al-Andalus). 1953.

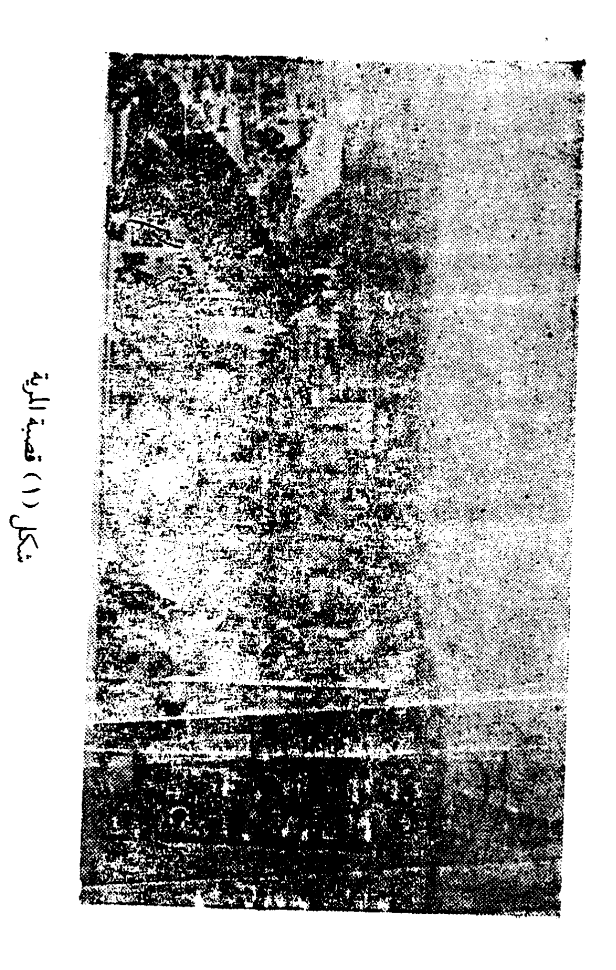
15- Montavez (Pedro Mertinez) : Islam Cristiandad en la econonomia mediterranea de la baja edad media, XIII Congreso Internacional de Ciéncias Hstoricos), Moscou', 1970.

16- Seco de Lucena (Luis): Los palacios del taifa almeriense Al-Mutasim en Cuaderon de la Hambra), III, 1967.

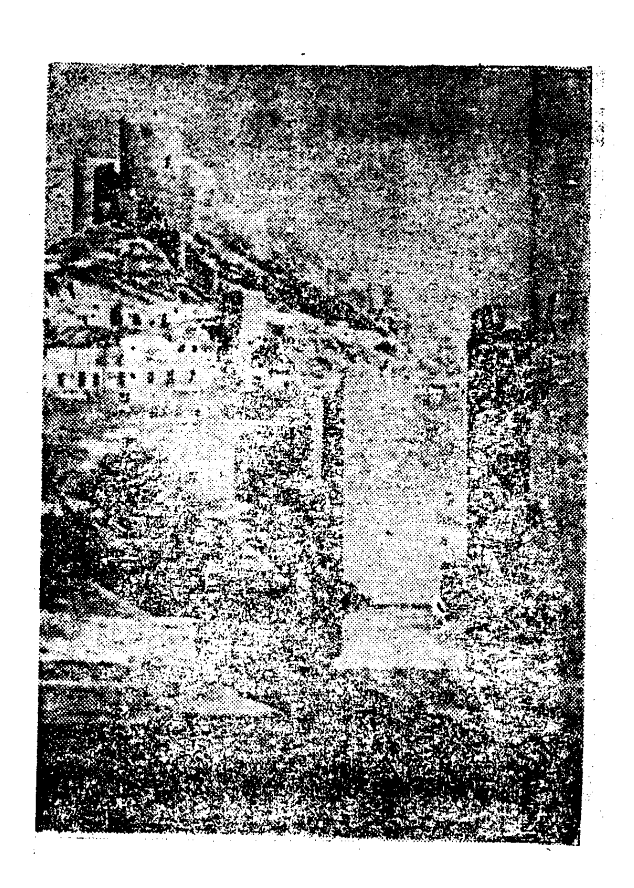
17- Torres Balbas (Leopoldo): Almeria Islamica, (Al-Andajus), Vol XXII, 1957.

18- .... Restos de una casa Arabe en Almeria, (Al- Andalus), Vol, X, 1945.

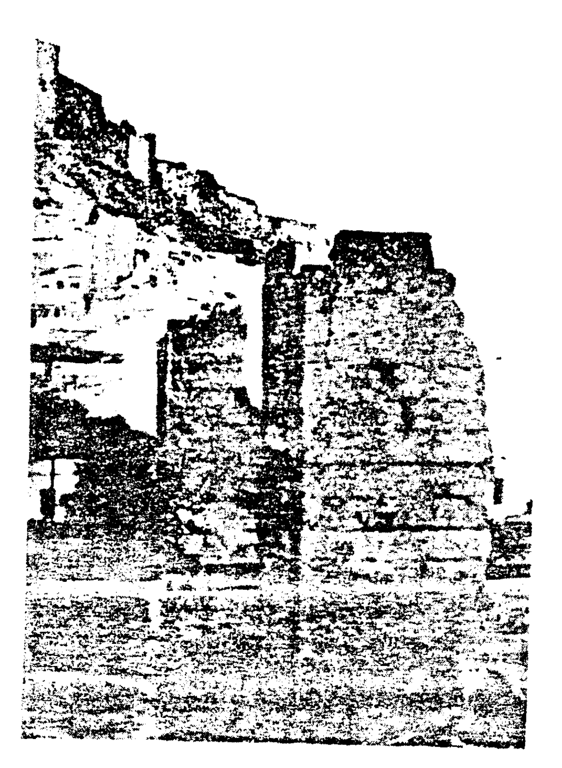
19-........ La mezquita mayor de Almeria, (Al-Andalus), Vol, XVIII, 1952.



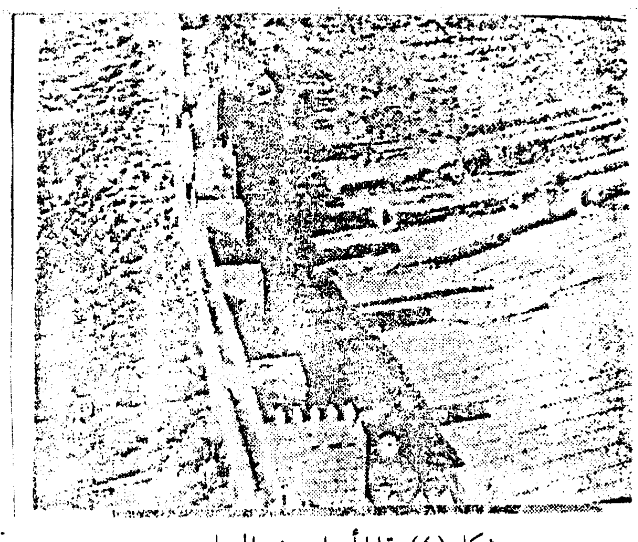
شكل (١) قصبة المرية



شكل (٢) قصبة المرية وجانب من الأسوار التي تكتنفها



شكل (٣) بقايا سور لاشانكا من القصبة إلى المدينة



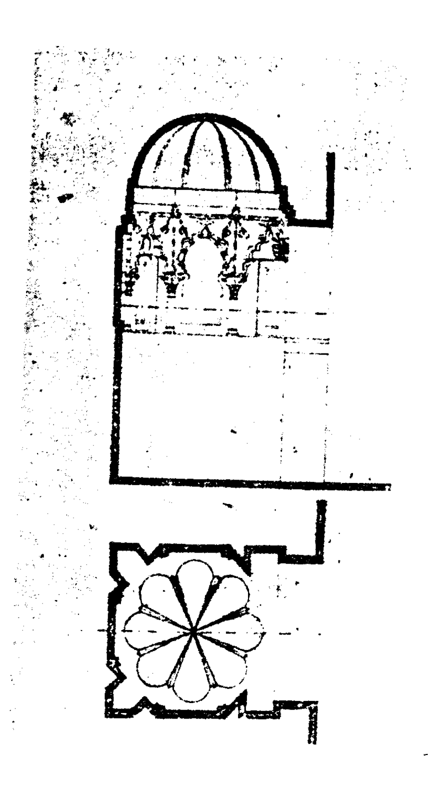
شكل (٤) بقايا أسوار ربض المصلى



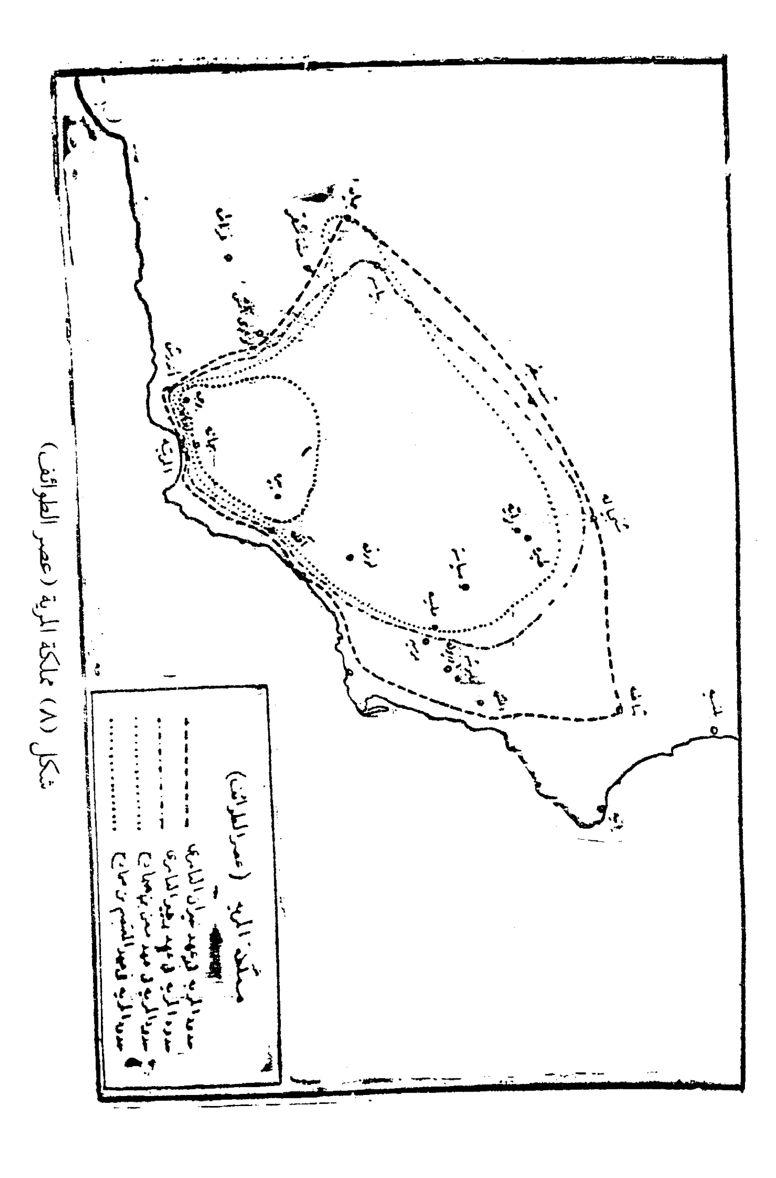
شكل (٥) محراب جامع المرية



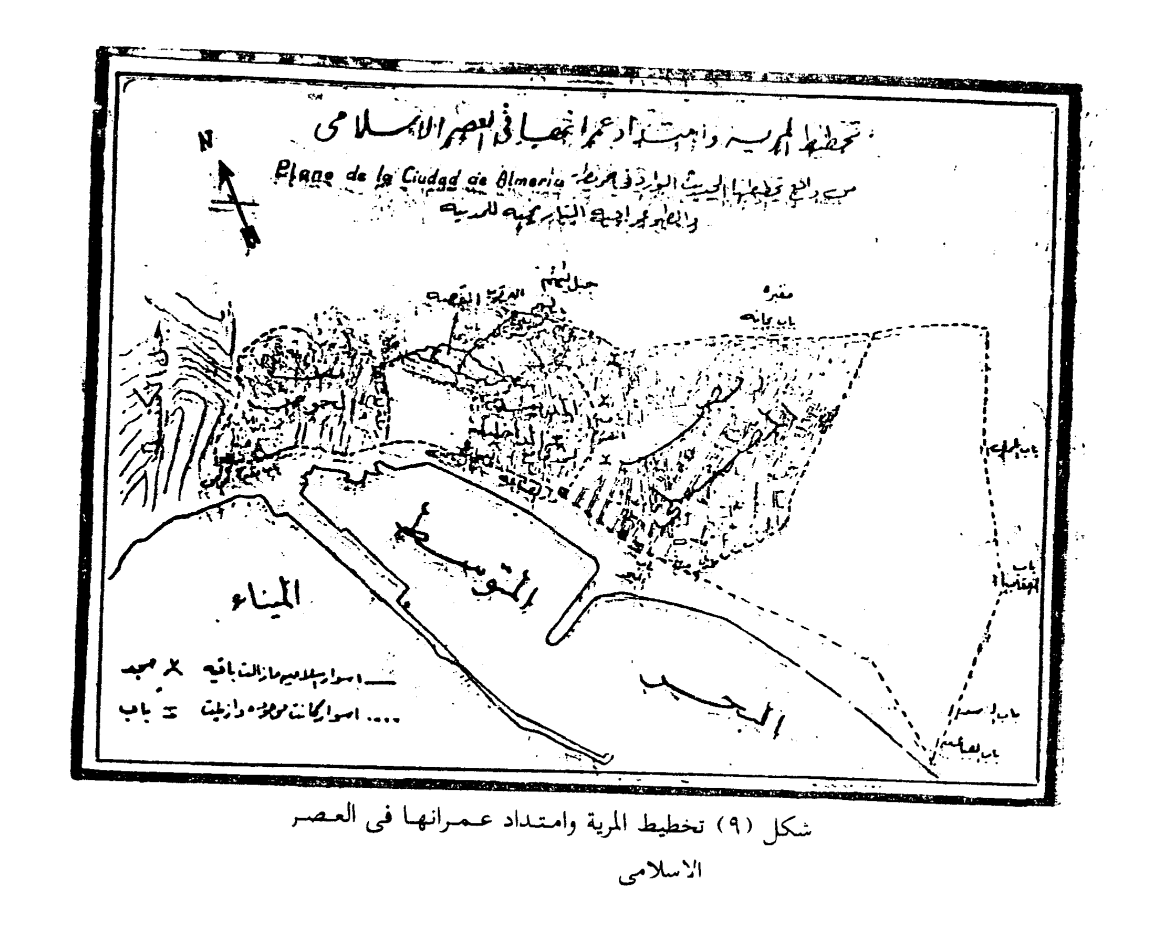
شكل (٦) قبوة المحراب جامع المرية



شكل (٧) قطاع لمحراب المسجد الجامع بالمرية



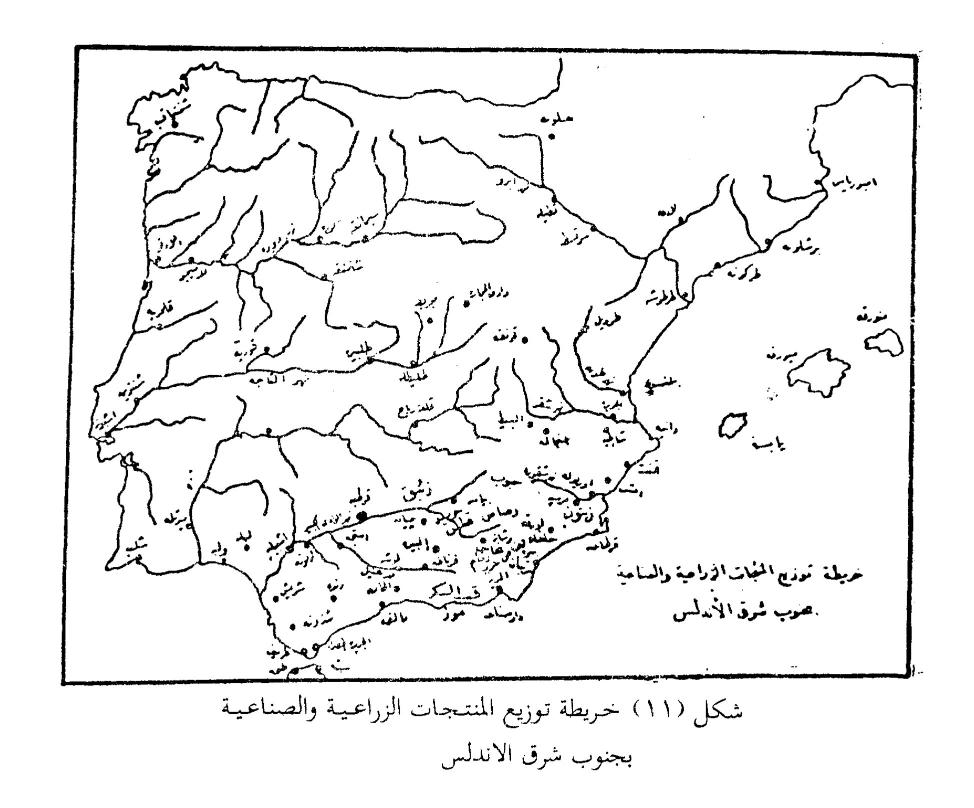
شكل (٨) مملكة المرية (عصر الطوائف)



شكل (٩) تخطيط المرية وامتداد عمرانها فى العصر الاسلامى



شكل (١٠) تخطيط لمدينة المرية فى القرن الثامن الهجرى



شكل (١١) خريطة توزيع المنتجات الزراعية والصناعية
بجنوب شرق الاندلس

فهرس المحتويات

الموضـــــــوع	الصفحة
الفصل الثالث : المرية فى ظل بنى صمادح حتى استيلاء المرابطين عليها	١٠١
أولاً قيام دولة بنى صمادح فى المريه	١٠٣
أولوية بنى صمادح	١٠٣
أحداث المراية فى عهد المعتصم بنى صمادح	١٠٦
ثانياً : ازدهار المريه فى عهد المعتصم	١١٢
ثالثاً : الاوضاع السياسية فى الاندلس قبل دخول المرابطين	١١٥
استدعاء المرابطين للجهاد فى الاندلس	١٢٢
سقوط المريه فى أيدى المرابطين	١٣٢
البـــاب الثانى	
أهم المظاهر الحضارية	١٣٥
الفصل الأول : تطور عمران مدينة المريه	١٣٧
تخطيط المريه وتطور عمرانها منذ تأسيسها حتى سقوطها فى أيدى المرابطين	١٣٩
الآثار الباقية فى مدينة المرية	١٤٢
أولاً : الآثار الحربية	١٤٢
القصبة	١٤٢
أسوار المدينة والربضين	١٤٤
أسوار المدينة القديمة	١٤٤
القطاع الشرقى	١٤٥
القطاع الغربى	١٤٧
أبواب المدينة	١٤٨
أبواب الربض الشرقى أو ربض المصلى	١٤٨
باب موسى، باب ليهم، باب بجانه	١٤٨
باب المربى، باب السودان، باب دار صناعة المريه، باب العقاب	١٤٩

الموضـــــوع	الصفحة